نادي المدينة المنورة الأدبي
« ٢٥ »



المدينة المنورة في التاريخ

دراسة شاملة

تأليف
عبد السلام هاشم حافظ

من منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي

الطبعة الثالثة
١٤٠٢هـ-١٩٨٢م

ملتزم الطبع- الوكالة العامة للتوزيع-دمشق ص.ب ٤٦٢٠





المدينة المنورة في التاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

من أقوال الرسول الكريم في المدينة المنوِرة

قال رسول الله ﷺ :

● يأتي على الناس زمان يدعو الرجل إبن عمه وقريبه هلمَّ الى الرخاء ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، والذي نفسي بيده لا يخرج منها أحد رغبة عنها إلا أخلق الله فيها خيراً منه ، ألا إن المدينة كالكير تخرج الخبث .

(رواه مسلم)

● لا يصبر على لأواء المدينة أحد من أمتى إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة .

(رواه مسلم)

● لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح في الماء .

(رواه البخاري)



تقـديم

ليس في مقدوري أن أصور الشعور الذي يسيطر على كياني حين يصل الى علمي صدور كتاب يتحدث عن وطني في مجال من المجالات . أما إن كان هذا الكتاب خاصاً بالمدينة المنورة فإن سعادتي بذلك تبلغ القمة .

وحب الانسان لبلده الذي ولد فيه ونشأ في جوه وترعرع على أرضه أمر طبيعي لا يثير تساؤلاً ولا يدعو الى دهشة ، وكلنا يعرف ذلك الحنين المؤرق الذي ملأ على المهاجرين الأوائل نفوسهم حين قدموا الى المدينة وتركوا مكة ، حتى لقد طغى على وجدانهم فأخذوا يعبرون عن ذلك تعبيراً شعرياً يهز القلوب ويعصف بالنفوس ، مما دعا الرسول الأعظم ﷺ الى أن يدعو ويقول :« اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد » .

وهذا الدعاء النبوي يحمل في طياته دليلاً واضحاً على حب الرسول الكريم لبلده مكة حباً غامراً مثيراً .

فحب الانسان لبلده أمر طبيعي ولعله سر من أسرار عمران العالم . وإذا كان حب الانسان لبلده أياً كان هذا البلد له هذا التأثير العظيم فما بالك حين يكون هذا الوطن جامعاً لألوان باهرة من المزايا والفضائل ، وما بالك حين يكون هذا الوطن هو المدينة الوطن

الروحي لكل مسلم ، والبلد الذي له دَيْن في عنق كل من يؤمن بالله رباً وبمحمد ﷺ نبياً وبالاسلام ديناً .

وقد حرصت منذ سنوات طويلة أن أخصص ركناً في مكتبتي للمؤلفات التي كتبت عن المدينة ، وقد راعني أنه رغم مرور أكثر من ربع قرن على تكوين هذا الجناح فلا زال ركناً صغيراً لا يتناسب إطلاقاً مع ما لهذا البلد من أصالة ومكانة وعظمة ، ولعلي لا أكون متجنياً إذا وجهت أصبع الاتهام لأبناء المدينة أنفسهم ، فكثير جداً من هؤلاء الأبناء وصلوا الى مراحل عالية من العلم والثقافة ، وكان في مقدورهم لو أخلصوا النية وعقدوا العزم وانصرفوا الى ما يجدي ويبقى ويفيد كان في مقدورهم أن يخرجوا للناس كثيراً من الكتب المطمورة في خزائن المكتبات من تاريخ هذا البلد المقدس ، وطائفة غير قليلة من هذه الكتب المخطوطة في خزائن المدينة المنورة نفسها معرضة للضياع والإهمال . ومن الطريف أن بعض أبناء المدينة وجهوا عنايتهم الى جهات أخرى لسبب أو لآخر وقدموا جهوداً طيبة وأهملوا مدينتهم . وهناك كتب كتبت بلغات مختلفة منذ فترات قريبة أو بعيدة ومع ذلك لم يفكر أحد في نقلها وتمحيصها . وما دام الأمر كذلك فإن من الطبيعي ألا يفكر أحد في عمل (ببلغرافيا) تحصي كل ما كُتب عن المدينة من كتب ودراسات وبحوث ومقالات ونشرات يرجع اليها الباحثون والمهتمون بالمعرفة . وقد تسرب الإهمال حتى للآثار الاسلامية فأزيل أكثرها بل لقد أزيل ما كان مستبعداً أن يزال . لقد أزيلت الصخرة التي اختفى خلفها (وحشي) قاتل سيد الشهداء عم رسول الله حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله .

وهي كصخرة من الصخور لا أهمية لها ولكنها مهمة جداً حين

تكون جزءً من معركة أحد تلك المعركة الرهيبة العظيمة والتي يحرص كثير من زوار المدينة على الوقوف على مكانها والتعرف على سيرها واتجاهاتها . لقد أزالها المهندسون الذين كانوا يشرفون على إقامة الجسر المقام فوق مكانها، ولم يخطر ببالهم إلا أنها صخرة تعوق مجرى السيل ولم يجدوا أحداً ينبههم الى أهميتها ، وهذه مناسبة أهيب فيها بالمسؤولين عن الآثار أن يبادروا الى المحافظة على الآثار الاسلامية والنبوية منها بوجه خاص ، وأن يضعوا فوق كل أثر لوحة إرشادية تعطي فكرة صحيحة عن هذا الأثر بدلاً من ترك الأمر الى التخمين والتخرص .

كما أنها مناسبة أدعو فيها المثقفين عامة وأبناء المدينة خاصة الى التعاون مع (نادي المدينة المنورة الأدبي) في تنفيذ مشروعه عن نشر المخطوطات الخاصة بالمدينة المنورة وتحقيقها وإظهارها في صورة مشرقة تتناسب ونهضتنا في مملكتنا الحبيبة والتي شملت شتى مجالات الحياة .

وبعد : فيسر نادي المدينة المنورة الأدبي وهو يستقبل القرن الخامس عشر الهجري الجديد أن يقدم كتاب (المدينة المنورة في التاريخ) للأديب الكبير الأستاذ السيد عبد السلام هاشم حافظ . والكتاب عمل مشكور بذل فيه الأستاذ الجليل جهداً كبيراً رسم فيه صورة للمدينة المنورة على امتداد التاريخ . وقد صدر الكتاب في طبعتين قبل الآن نفدتا منذ زمن طويل مما يدل على أهمية هذا الكتاب وعلى ما سد من فراغ وحققه من نجاح ، وقد أعاد الأديب الكبير النظر في كتابه وأضاف اليه معلومات جديدة كما أضاف اليه طائفة من الشروح والتوضيحات . ولقد كان بودي أن أستعرض فصول الكتاب فصلاً فصلاً لأوضح مدى ما بذله المؤلف من جهود في تأليف كتابه ولألقي الضوء على ماأضاف من جديد ـ وقدأضاف كثيراًيستحق عليه التهنئة والشكر ـ ولكن ذلك سيخرج بالكتاب عن حجمه المقرر له .

كما أن القارىء سيلمس بوضوح ما أشرت اليه وهو يقرأ الكتاب في أسلوبه الرشيق وصورته المشرقة .

ولن أتحدث عن أديبنا الكبير فهو أشهر من أن يعرف وله مكانه المرموق في الساحة الأدبية سواء في مجال الصحافة أو في مجال الأدب أو في مجال التأليف .

فحيَّاه الله قلماً حراً ، وأديباً نابهاً ، وصورة مشرقة من صور الثقافة والمعرفة .

والكلمة الوحيدة التي أحب أن أوجهها اليه هي أننا نطمع منه في جهد جديد عن المدينة يضيفه الى جهوده المبدعة وإنا لمنتظرون .

المدينة المنورة - في شهر رمضان ١٤٠١ هـ

عبد العزيز الربيع
رئيس نادي المدينة المنورة الأدبي

مقدمة الطبعة الثانية

إحدى عشرة سنة مضت على صدور كتابنا هذا « المدينة المنورة في التاريخ » في منتصف عام ١٣٨١ هـ . . ومنذ العام الفائت كانت جميع النسخ التي طبعت منه قد نفدت عن آخرها . وكان لا بد أن يصدر في طبعة جديدة . . وأن نراجع فيه بعض مواده تصحيحا وإضافة وفق المد الزمني الذي تعاصره هذه الأرض المقدسة واحتياجاتها المتطورة .

ولقد حاولنا الجهد أن يكون هذا السفر التاريخي إضمامة متكاملة لحياة المدينة المنورة . . وحصراً لجميع جوانبها منذ أن وجدت في التاريخ القديم مروراً بالعصور المتتالية . . ولئن كان عرضنا الشامل لذلك كله ، فإننا قد عمدنا إلى الايجاز في الوقت الذي قدمنا فيه شريطاً متناسقاً لإعطاء فكرة عامة عن هذا البلد الكريم الذي فتح ذراعيه لأعظم الرسالات . . فكان موطناً لإمام الهدى والأنبياء ـ عليهم صلوات الله وسلامه . .

وإنه لحق علينا أن نرعى هذا الموطن العظيم . . وأن نعرف له قدره وأن نؤدي واجبه علينا بحب وبضمير . . وأن نرتفع به وبأهله إلى المكانة التي شرفه بها الله وأراده منطلقاً لدعوة دينه وتعاليم كتابه المجيد . . وهو سبحانه نعم المولى . . وبه العون والتوفيق *

عبد السلام هاشم حافظ

المدينة المنورة ـ ربيع الأول سنة ١٣٩٢ هـ

مقدمة الطبعة الأولى

بقلم

الأستاذ حسين فريد محمد

المدينة المنورة .. بلاد رسول الله الكريم ﷺ - موطن النور والهدى وإشعاع القداسة والسلام ، كلنا نهفو إليها ونحلم بالفوز بزيارتها .. وهذا الكتاب « المدينة المنورة في التاريخ » الذي يؤرخ لهذه البلاد الطاهرة ، لون جديد في أسلوبه العصري وطريقة تناوله للأمور والأحداث التي مرت بها وعاصرها أهلها منذ دخولها باب التاريخ قبل أربعة عشر قرناً حتى وقتنا هذا .

وهنا نلمس المجهود الكبير الذي بذل في وضع هذا الكتاب النفيس ، وهو تاريخ مبسط ، وعرض شامل عن أوضاع المدينة المنورة عبر العصور في مكانتها ومآثرها ومساجدها وحكامها ، مع نماذج من أعلامها ، وأقباس من سيرة ساكنها وصاحبها سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام .

ولا أطيل فإن لهذا الكتاب القيم مكانته الجليلة في المكتبة العربية كأثر خالد ومتجدد مع الأيام .

وإن لي كلمة عن مؤلفه الأديب الشاعر الأستاذ السيد عبد السلام هاشم حافظ - الذي كان لنا شرف مصاهرته عام ١٩٥٥م ، وأذكر أنه عندما جاءنا خاطباً لكبرى بناتي تفتح له قلبي منذ أول لقاء وكأننا به على موعد مع القدر .. وما فكرت ساعتها إلا أن إبنتي

ستكون له القرينة الطيعة ، والسفيرة الفاضلة لنا في جوار الرسول الأعظم صلوات الله عليه ، ولتمثل أسرتها المحافظة وترعى نعمة الحياة في الأرض المقدسة : وقد حيَّاها زوجها ليلة زفافهما بقصيدة من عيون شعره مطلعها :

« نـادى عـليـك رسـول الله في الحلم
تحـيـين في ظُلتي الخـضـراء بـالحـرم
مـشـيئـة الله أذكـت حـبـنـا نـغـماً
بـه الحـجـاز شـدا هـيـمـان بـالهـرم »

ثم أخذت تتكشف لي عبقرية هذا الصهر الفنان المناضل من خلال ما رحت أقرأه من مؤلفاته المطبوعة في الشعر والنثر ، وما أمكنني الاطلاع عليه من مخطوطاته ، فإذا أنا تجاه عبقرية مبكرة ونبوغ مفكر حمل الرسالة بإيمانه وكافح من أجلها حتى وصل لما يحلم به . وهو يبدع ويفتن في كل ما يكتب ويعالج من مشاكل الناس الذين يستمد منهم مع تجاربه وإلهامه فنون كتاباته وروائعه .

فالأستاذ عبد السلام هاشم حافظ من قادة الفكر في القطر الحجازي ، بل ويعتبر اليوم من طليعة الإنطلاقة الأدبية في المدينة المنورة . . إنه في الثالثة والثلاثين من عمره الهجري ، وله الآن سبعة وعشرون مؤلف[1] بين مطبوع ومخطوط ، وقد عالج فيها ألوان الفنون الأدبيةمن الشعر والمقالة والنقد والدراسة . . إلى التاريخ والقصة الطويلة والقصيرة . . فهو فورة نشاط وإنتاج ، وقد عرفته الصحافة العربية والأوساط الأدبية أديباً واعياً قومياً ، ورائداً من رواد التجديد

---

(١) كان ذلك عند تقديم الكتاب في طبعته الأولى سنة ١٩٦١م .

والإخلاص للرسالة التي حمل مشعلها ويعيش من أجلها . . فهو يقول من ملحمته الشعرية (راهب الفكر) :

« قتَل الليالي في دراسته الوجود
وتشرَّب الآدابَ مشعلُ حبه
يشدو وفي أضلاعه شوك الورود
فحياته ليست له - وبقلبه
ظمأ إلى المجهول والنبع البعيد
هو شاعر يشقى بآلام البشر
ويثور للحق المضاع على الدعاة
ويحس أهوال الورى توري الحير
فيضج يأسى من عوالمه الجناة

* * *

هو شمعة في هيكل الفكر الرهيب
ودموعها أنفاس تلفظها الشفاه
يفنى بوحدته على الشط الغريب
لرسالة قدسية تهوى الحياه »

شاعر ثائر :

لم تعرف الروح الثائرة المتمردة في أدب الأستاذ عبد السلام بمعناها الواسع واحتدامها اللاهب ، حتى ظهر ديوانه القومي (صواريخ ضد الظلم والإستعمار) سنة ١٩٥٧م ويحتوي على سبع عشرة قصيدة ، تناولت مشاكل الشرق ومشاعر كل عربي متحرر ثائر على الظلم والظلام وعلى القيود والإستعمار . .

مشاعرنا جميعاً تجاه استبداد الحكام بأمرهم وطغيان المستعمرين . . مشاعر نضالنا من أجل الحرية والإستقلال والسلام . . في الجزائر وفي فلسطين وفي بور سعيد وفي كل مكان ، وها هو الشاعر يقول في أول قصائد ديوانه هذا يستفز الأرض التي نحيا عليها ، ويحتل جزءاً منها الأجنبي الغاصب :

« يا أرض ثوري واصخبي وتزلزلي
فالله لا ترضيه غاشية الظلم
ضجي بأحقاد القرون وولولي
وتنفسي بالعاصفات من النقم
حتى يظل الكون ينفث بالحمم »

وفي هذه القصيدة كان يبشر بالوحدة الإسلامية الكبرى ويعبر عن الأماني القومية لكل الناطقين بالضاد . . ويقول :

« أرض الجزيرة والعروبة للعرب
من حضرموت إلى ربا الأرز العتيد
ومن العراق إلى الجزائر موطن
يبقى توحده الديانة والعهود
يبقى عزيزاً ثائراً فوق الوجود
وطن توحده الرغائب والمنى
في المغرب العربي في الأرض الحرام
في كينيا في القدس . . حتى تركيا
وفي الكويت وفي مراكش أو سيام
في أرض باكستان . . في دار السلام
في نجد . . في البحرين . . في لبناننا

في تـونس الخضـرا ومصـر وفي اليمن
في لـيبـيـا ، في سـوريـا ، وحـجـازنـا
في لحج ، في السودان ، حتى في عـدن
في الهند في كشمير في كل المدن »

وتنطلق ثورة الشاعر من أرض الحرم إلى الهرم يشارك في ثورة مصر الحديثة :

« يـا مصـر أبنـاؤك الأحـرار لن يهنـوا
ولـن يـذلـوا لـبـاغ أو لمـغـتـنـم »

حتى يقول :

« فـمـصـر أمٌّ وهـذا الـشـرق فـلذتهـا
إن ضـيم أو نـابـه شـر فـلن تـنـم »

ويقول في معركة بور سعيد الخالدة :

« الأرض هـذي عـلـمـتـنـا الحـيـاة
وتـفـجـرت حمـماً تـبـيـد الـطغـاة »

أما قصيدته عن فلسطين فيختتمها بقوله :

« هـذي ديـار الـقـبـلة الأولى
ستـشـعـلل الـدنـيـا بـأرض المـعـاد
وتبيد أعداء الكرامة والحياه »

إلى غير ذلك من المعاني والمشاعر المتعددة التي تنطلق كالصواريخ في وجه الظالم الغاصب والمستعمر الآثم لتحطمها وتجلوهما عن الوطن الأبي الكبير إلى غير رجعة . .

ومن مخطوطات الأستاذ عبد السلام الشعرية دواوينه : « أضواء

ونغم ، ألحان الأمل ، سمراء ، الفجر الراقص » ثم كتابه عن « الرافعي ومي » الذي قدمه للإدارة العامة للثقافة بالقاهرة لتتولى نشره في سلسلة الأعلام .

متصوف ومحافظ ينادي بحقوق المرأة المشروعة :

في معظم كتابات الأستاذ عبد السلام وحتى في بعض شعره نلمس صوفيته وتمسكه الشديد بتعاليم الدين الحنيف ، وهذا من أثر البيئة المحافظة التي نشأ فيها ، وقد تعمق في أوائل تعليمه في دراسة العلوم الدينية ، فتشربت بها عقيدته وتمشت جنباً إلى جنب مع دراساته الأدبية والفنية . . لكنه يستنكر التعصب الأعمى والجمود الذي يشوه به الجهلاء سمعة المجتمع الإسلامي . . وهو يميل في مطالعاته إلى قراءة كل ما يكتب في الشعر والنقد وفي شؤون الفلسفة وبعض النظريات حول الكون والخليقة وما نحا نحوها من علوم واختراعات . . ومن مهام رسالته كمفكر وأديب . . دعوته إلى إنصاف المرأة المحجور عليها والمستبد حتى بمصيرها في بعض البلدان . . إنه يدعو إلى أن يكون لها الرأي في شريك حياتها ، كما لها الحق في أن تتعلم وتتثقف ثقافة موجهة بحيث تكون النسبة العليا من تعليمها هي علوم الدين ، لتجد دائما في أعماقها صوت الفضيلة وشعور الفطرة والضمير ، ينبهانها ويقفان بها عند الحدود التي شرعتها لها السماء في كل الكتب المقدسة ، حتى لا تطفر الطفرة المتبذلة بجسدها وأخلاقها . . وقد عالج الأستاذ عبد السلام كل ذلك في بعض أبحاثه ، وفي كتابه الذي ظهر في عام مضى باسم « حواء عارية » بنوع خاص . .

فنان يتألم ويبحث عن الجمال :

حديث الحب في حياة الأستاذ عبد السلام يبدأ بداية نظمه الشعر وهو في السادسة عشرة من عمره عندما تفتحت مشاعره على مرأى الهيكل البديع لحواء في هيأة طفلة . . وكان قبل ذلك بنحو عامين قد أصيب بحالات هبوط القلب وضعفه ، ثم بنوباته مما جعله في شبه معتزل وتحت رحمة الأطباء والعلاجات ، وهو يواصل دراسته وتأملاته حتى إذا ما استهواه الجمال الذي رآه واستبد بخياله انصرف عن التفكير في أحوال قلبه المرضية وراح يتسلى ويتفكر في أحواله العاطفية ، وكان حبا مكينا وألفة متبادلة ، وكانت له فيها سلوى وأمل وعزاء إلى جانب اللوعة والتلظي والحرمان . . وقال عن هذا العهد في ملحمته :

« ومضت سنين سبعة حلما عبر
والحب يحلو مرة أو يستعر »

وكتب عن ملهمته هذه أكثر من مؤلف ، وظهر عنها أول إنتاج طبع له : ديوانه (مذبح الأشواق) في عام ١٩٥١ م يصور ذكريات هذا الحب وأحلامه ومأساته .

ويقول في نشيده الأول :

« أنا قد بعثت جديداً هنا
وليد العواطف سامي الوطر
أتيت بروحي إلى ربوة
وجئت بقلب يناغي القمر »

ويقول في نشيده الرابع والأخير :

« رجعت وفي القلب من جذوة الحب حرق دفين
وفي الكف بعض البقايا الرجيمة
بقايا النضال وإعصار روح كليمة »

وعاش الطائر الغريد في قفص آلامه وأوهامه وعلة قلبه أياماً طويلة .. خرج بعدها يبحث من جديد .. ليحب .. ليجدد عواطفه .. ليركض خلف الجمال ولاحـظ له إلا متعة النظر والخيال . يترنم ويأسى .. يتأمل ويتعذب .. ويقول :

« كـم همت بـالحسن ريـانـاً وأوصـفـه
شعــراً ونثـراً ومــا لي فيــه من قسم »

وإنه ليقول عن هذا الحب العذري الذي آمن به ويعيش فيه :

« الحب معبد عصمة تسمو وتجمح بالخيال
هو هيكل التقديس تُحرق فيه أنفاس الألم
محراب فن خالد ـ تذكي مشاعله الهمم »

وينادي على « حواء » نصفه الجميل الرقيق من عمق أعماقه :

« تعـالي تضمخني اليوم أنفـاسك العـاطـرة
وحسنـك يندى عـلي بـأنـظارك الـزاهـرة »

ويصف الجمال في هذا الكيان الأنثوي البديع فيقول :

« صـدرك النـاهـد عربيـد بحانـات الخيـال
وبـريق المرمـر الشفاف يـطغى بـالجمـال »

ثم يقول متغزلاً :

« رآك على الجسر حـورية يحتـويها الـربيع

وزرقـة عينيك عمق لنهـر الحياة السـريع
شبـاب ورقة جسم رشيق طـروب وديـع

أما شعره في الألم فثورة أخرى تعبر عن كآبته وأحزانه تجاه الحياة وعواصفها وتصرفاتها التي تعطي وتضن في غير إنصاف .. اسمعه يقول :

« في لجـة الأحـزان قـد واجهت عمـري
ثـقـلاً يـنـوء بـه الـوجـود ويحتـويـه
وعشيت لست أرى الدروب بيوم فجري
والكـون يعـوي والعـواصف تحتـويـه »

إلى أن يقول في إصرار بإرادة تلك الحياة التي تسمو على كل ألم :

« أنـا سـر مجهـول تعـثر في الـطريق
الـدهـر كبـل خـطوه .. أدمى ضيـاه
سـأعـيش رغم الليـل والألم الـعـميـق
بـالـرغـم من دائـي ومـا يُفـنى مـداه
سـأعيش بـالحـرمـان أعتصـر الـرحيـق
من كـرمـة الأوهـام والأمـل الخفـوق »

هكذا هو المفكر الفيلسوف .. الفنان الذي يتحدى الأعاصير ويبتسم والألم يعتصر حناياه .. وهذا هو الأديب الصامد الأستاذ عبد السلام يقول :

« هـو ليس يضنيه الجهـاد أو السهـام
هـو لـن يـعـيش لـذاتـه وهـنـائـه
يجـترُّ أعـبـاء الـسـنـين ولا يـضـام

ويـصـارع الأقـدار عـنـد شـقـائـه
هـو لن يمـل كفـاحـه وسط الـزحـام
لـن يسـتـكـين عـلى المـظالم والـظلام »

حتى يقول عن هذا الفنان معزياً نفسه ـ أنه ينطق بحكمة الأجيال :

« هـو قمـة شـماء تضـرمـهـا الفـنـون
لـتـضـيء لـلنـاس الـطريـق وتحـتـرق »

حقاً إن كثيرين من الأدباء والفنانين ، هذا هو دائما حظهم من الحياة . . ألا فليكفهم مفخرة أن هذه الحياة تستنير بهم وبأفكارهم وهي تنثر النور للآخرين . . إنهم من صناع هذه الحياة المجيدة والمنتجين الخالدين . .

هذا وإن لشاعرنا الأستاذ عبد السلام هاشم حافظ هوايات جميلة منها حبه للرحلات فهو منذ عام ١٩٥٠ حتى الآن زار مصر سبعة مرات للمعالجة والسعي لطبع إنتاجه ، كما قد زار سوريا ولبنان وتركيا ، وله آمال في زيارة بلدان ما وراء البحار . . كما أنه كان يعنى بالتصوير واقتناء الصور الفنية . . أما هوايته للموسيقى فحلم يراوده ولا يمنع من تحقيقه إلا الوضع المحيط به للتأليف ، وإن كان يجيد المبادىء التي تلقاها خلال العام الذي أمضاه بمصر سنة ١٩٥٣م ويفضل أن يكون مستمعاً متذوقاً .

وقبل أن أختم هذا الاستعراض المقتضب أنوِّه إلى أن نشاط شاعرنا الأدبي متواصل الحلقات مما يدعو إلى الإعجاب الكبير . . وهو يرجو ونرجو معه ، أن ترى النور مؤلفاته القيمة ، ونأمل أن يجد من التقدير والتكريم ما يعينه على أداء رسالته ويسليه أكثر عن إصابته

القلبية التي تثير عليه الأزمات في بعض الأوقات ، وندعو الله أن يتهيأ له السبيل للتخلص منها لينعم بعض الشيء ، وهو يحيا مجاهداً بفكره وقلمه وأمانيه في ميدان الثقافة وعالم الأدب . .

أخيراً سلام على هذه البلاد الحبيبة إلى كل نفس . . سلام على طابة الطيبة التي يكفيها من الفضل أن الإسلام بدأ ينتشر منها وقد حمت الرسول المهاجر إليها -ﷺ- وناصره أهلها وفيها كانت قيادة جهاده ومقر أول خلافة له حتى عمت الرسالة السماوية أقطار الأرض ، ثم أخيراً ضمت جدثه الطاهر ومسجده الشريف ؛ فإذا هو أعظم مزار تشد إليه الرحال بعد المسجد الحرام . . . اللهم أمتعنا بالتقرب إليه وبحبه وحب آله وذويه عليهم السلام والرضوان .

حسين فريد محمد

القاهرة في
ربيع الأول ١٣٨٠ هـ
أغسطس ١٩٦١ م



بداية التكوين

إذا جئنا نستوضح ذلك الزمن البعيد لوضع « المدينة المنورة » في ميزان الوجود التاريخي ، فلا نستجلي واقعها إلا بعد الطوفان ، في عهد النبي نوح عليه الصلاة والسلام ، عندما أمره الله عز وجل ببناء السفينة التاريخية في عرض البحر ، والإقامة فيها مع أهله وذويه وأزواج من مخلوقاته تعالى من الحيوان . حيث أغرق سبحانه ـ الأرض ومن عليها من الذين طغوا وبغوا عن أمره ، فدمرهم الطوفان عن آخرهم ولم يبق من نسل آدم إلا النبي نوح وبنوه وممن معه في السفينة التي ظلت عائمة بهم في اللج سنة وعشرة أيام ، حتى أذن الله لهم وانحسرت المياه وعادوا إلى سطح الأرض من جديد . .

ولقد مرت عشرات السنين قبل أن تسكن المدينة لأول مرة . فنزل بها يثرب أبو عبيل بن عوض بن آدم بن سام بن نوح . ولذا سميت « يثرب » باسم أول من نزح إليها . ولكن هؤلاء لم ينعموا طويلا إذ أجلوا عنها ، واستقروا في المكان الذي يسمى « الجحفة » حيث فاجأهم سيل هادر وأجحفهم فيه . وقال رجل منهم يرثيهم :

« عينيَّ جودا على عبيل وهل ير
جع من فات فيضها بانسجام
عمروا يثربا وليس بها شف
ر ولا صارخ ولا ذو سنام

غـرسـوا لـيـنـهـا بمـجـرى مـعـين
ثـم حـفـوا الـنـخـيـل بـالآجـام »

وقد كان العمالقة منتشرين في جزيرة العرب . وسكنوا الحجاز بما فيه مكة والمدينة ، وملكهم هو (الأرقم) ويقطن ما بين فدك وتيماء ، وكانوا قد استبدوا واستكبروا . . ولما نصر الله تعالى نبيه موسى على فرعون ودخل الشام وأهلك من بها من العصاة ، بعث إلى العمالقة في الحجاز من قاتلهم فلم يبقوا منهم على أحد . .

وهكذا لأول مرة استوطن اليهود بعض الأماكن بالحجاز الذي كان يفيض بالنعم والخيرات من الماء والأشجار والزروعات المختلفة والجنان الوارفة . وقد كان (بختنصر) في شمال الجزيرة قد هدم بيت المقدس وظل يقاوم بني إسرائيل - هؤلاء - حتى تفرقوا عن بلاد الشام ، وكان بعضهم يقرأون في كتابهم بأن النبي محمد « ﷺ » سيظهر في احدى البلدان العربية بقرية « ذات نخل » فراحوا يهربون من الإضطهاد ويتنقلون من قرية إلى أخرى فيما بين الشام واليمن ، علهم يجدون وصف « يثرب » لإحدى القرى ، رجاء أن يلتقوا بمحمد « ﷺ » وأقامت بيثرب منهم طائفة من حملة التوراة في بني هرون ، تكاثروا ومات الآباء وهم يؤمنون بأن محمداً « ﷺ » قد جاء ، ويوصون أبناءهم باتباعه ، غير أن من أدركه كفروا به غيظا وحسدا من الأنصار الذين كانوا قد سبقوهم إليه وشرفوا باتصالهم به .

وكانت توجد ليهود بني أنيف آطام بقباء - وهم من سكان المدينة الأقدمين ، ويذكرهم لنا أحد شعرائهم في قوله :

« ولـو نـطقـت يـومـا قـبـاء لخـبـرت
بـأنـا نـزلـنـا قـبـل عـاد وتـبـع

وآطـامـنـا عـاديـة مـشـمـخـرة
تـلوح فـتـنكـي مـن يـعـادي ويمـنـع »

وبلغت قبائل اليهود في المدينة نحواً من عشرين قبيلة . غير أنه عندما نزح إليها الأوس والخزرج «الشقيقان» لم يكن قد بقي منهم سوى بنو أنيف وبنو ناغصة وبنو القصيص ، وأصبحت آطامهم مع آطام العرب تزيد على السبعين - وهي حصونهم - وقد جرفها وأزالها سيل العرم الذي تسبب عن ثقب سد مأرب[1] بأرض سبأ الخصيبة ، وقد كانت شجراء مثمرة يزيد طولها على مسيرة شهرين لراكب الدابة . آهلة بالسكان الآمنين الناعمين . وإياها تعني الآية الكريمة بقوله سبحانه وتعالى :

﴿لقد كان لسبإ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا سيل العرم﴾ في ذلك الوقت ، وقد استوطنت قبائل وبطون الأوس والخزرج[2] بالمدينة ، عقدوا مع جيرانهم من اليهود حلف جوار وعدم اعتداء حتى أنهم تكاثروا وأثروا ، وخاف اليهود غلبتهم فنكثوا الحلف . واهتبلوا هم الفرصة . وقد كانت هناك عادة ذميمة بأن يفتض (قيطون) ملك اليهود ، كل عروس ليلة زفافها ، فكبر على العرب الخضوع والإنصياع لهذه الفعلة النكراء ، فتشاوروا . . واعتزم منهم « مالك بن العجلان » أن ينتقم ، وقد كانت أخته ستزف ، فارتدى زي النساء - وفي يده سيفه - واندس بينهن عند الدخول بالعروس على (قيطون) وأجهز عليه بطعنة قاتلة ، ثم انطلق

---

(١) هذا السد بناه لقمان الأكبر في اليمن ؛ وفيه تجتمع مياه الأمطار ثم تتفرق في مجاري للزراعة .
(٢) قدموا من اليمن .

إلى الشام ، وفيها الكثير من قومه . وقصد إلى كبير غسان أبي جبيلة من بني جفنة بن عمرو ، وكان لهذا مُلْك فيها ، واستنجد على اليهود الطغاة ، فجهزه بجيش كبير سار به إلى الجنوب كأنه يقصد اليمن ، ثم دعا بني إسرائيل إلى الخروج إليه ممن يريد عطايا الملك - لئلا يتحصنوا في المدينة ، فجاء إليه كبراؤهم ، وقد أعد لهم طعاما ، ثم قتلهم ، وساعد أبو جبيلة أيضا في محاربة من كان منهم بالمدينة وفي إزالة شرورهم وعبثهم . .

كان ذلك بداية القضاء على اليهود ، وقد اشترك (تبع) الأصغر ابن حسان - آخر تبابعة اليمن - في إذلالهم وتشريدهم . . .

ونَعِمَ الأوس والخزرج بالمقام - وهم قبائل عدة - إتخذ بعضهم السكنى بالقرب من وادي بطحان والحرة الغربية ، وسكن البعض الآخر في الحرة الشرقية وعمروها ، وصارت لهم فيها آطام كثيرة أشهرها واقم التي قال فيها شاعر منهم :

«نحن بنينا واقماً بالحرة
بلازب الطين وبالإصرة »

وكانت تقع دائماً بينهم منافسات وحروب فيقاوم بعضهم البعض . . . وأول موقعة خاضوها هي « حرب شمير » ، وقد دامت هذه الحروب فيما بينهم نحوا من قرن وربع القرن حتى كان آخرها قبل عام الهجرة بخمسة أعوام « حرب يوم بعاث » وقتل فيها الكثير من أشراف الطرفين . . .

* * *

تعتبر بعض قبائل الأوس والخزرج جزءاً من أنصار المدينة ، أما الجزء الآخر فهم من سلالة العلماء الأربعين الذين كانوا يرافقون « تبعا

الآخر » وهو تبان أسعد أبي كرب . الذي عمر البيت الحرام وكساه ـ وقد مروا بالمدينة ، وطلبوا منه البقاء بها لأنهم وجدوا في كتبهم أنها مهاجر نبيّ اسمه محمد ـ حتى يلتقون به ، فوافقهم « تبع » وأكرمهم بأن بنى لكل واحد منهم داراً وأقطعه زوجة وجارية ، وزوده بالمال الوفير ، كما أنه إبتنى داراً باسم رسول الله عليه الصلاة والسلام ـ لينزل بها ، وأعطى لكبيرهم كتابا مختوما بالذهب يعلن فيه إيمانه به ليسلمه إلى النبي ﷺ إن أدركه هو أو ولده أو أحفاده . وجاء في كتاب تبع قوله الجميل هذا :

« شهدت على أحمد أنه
رسول من الله باري النسمْ
فلو مد عمري إلى عمره
لكنت وزيرا له وابن عم »

وهذه الدار التي ابتناها للنبي ﷺتعاقب عليها الملاك إلى أن أصبحت للصحابي أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ـ وهو من سلالة كبير العلماء ، ولا تزال هذه الدار تعرف باسمه إلى اليوم في عصرنا الحاضر . . وإن أزيلت معالمها . .

وفي أيام بعثة الرسول ﷺ كان سيد أهل المدينة هو عبد الله بن أبيّ الذي رأس الطرفين من الأوس والخزرج ولم يكونا قد اجتمعا على رجل غيره من قبل .

ومن الأسباب الهامة في قيام حرب (يوم بعاث) ذلك النزاع الذي حدث في مكة عندما جاء نفر من المدينة من بني عبد الأشهل وعلى رأسهم أبو اليسر ـ لمحالفة قريش ، وقابلهم رسول الله ﷺ يعرض عليهم نفسه بقوله : هل لكم في خير مما جئتم له ؟ وقرأ عليهم

بعض آيات القرآن الكريم وأضاف لقوله يستنصرهم لدعوته : بايعوني واتبعوني فإنكم ستجتمعون بي . والتفت إليهم أحدهم وهو إياس بن معاذ يقول : هذا والله خير لكم مما جئتم له ، ولكن أبو الحيسر انتهره ، وانصرفوا دون أن ينعقد الحلف .

منذ ذلك الحين دخلت المدينة المنورة ميدان الحياة الصاعد ، وراح التاريخ يسطر الصفحات الخالدة بمداد النور والمعرفة عندما هاجر إليها وهبط بها الرسول الأعظم عليه أفضل الصلاة والسلام عام ٦٢٢ لميلاد السيد المسيح عليه السلام ، وكان يومها مبدأ التاريخ الهجري إشراقاً غامراً على القرون وعلى دول العالم المتعاقبة حتى الأبد ، بمشيئة الفرد الصمد وهو أجل من قائل : « فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها » . .

أسماؤها ومكانتها

بلغت أسماء المدينة نحوا من خمس وتسعين إسما ، وهذه الكثرة فيها تدلّ ولا شك على عظمة المسمى وفضله ، وقد عناها في قوله رسول الله ﷺ عند خروجه مهاجراً من مكة إلى المدينة .

« اللهم إنك أخرجتني من أحب البقاع إليّ فأسكني في أحب البقاع إليك » .

وهذه هي المدينة المنورة أحب البقاع إلى الله . ونذكر هنا بعضا من أسمائها إتماما للفائدة .

« يثرب » نسبة إلى أول ساكنيها . وعلى عهد الرسول ﷺ سميت المدينة المنورة - ثم ، المؤمنة ، المحبوبة ، المقدسة ، البارة ، دار الأبرار ، أرض الله ، طابة ، طيبة ، سيدة البلدان ، دار السلام ، المحرّمة ، المباركة ، المحروسة ، المرحومة ، الجبارة ، المختارة ، القاصمة ، الفاضحة ، حرم رسول الله ﷺ ، الموفية ، ذات الحرار، قلب الإيمان ، أكالة القرى ، قبـة الإسلام ، المعصومة ، وتفسير هذا الإسم أنها معصومة من دخول الدجال والطاعون ، وهي التي اعتصم بها المهاجرون . ومن أسمائها أيضاً : الإيمان والدار ، قال الله تعالى : ﴿والذين تبوؤ وا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم﴾ يعني الأنصار في إكرامهم للمهاجرين .

وتقع المنطقة المحرَّمة من المدينة : بين جبليْ أحد وعيْر ، وبين حرتي الوبرة وواقم . . ومحاطة من أكثر جهاتها بالمزارع والنخيل ، وهي تبعد بنحو ثلاثمائة ميل[1] عن مكة المكرمة ـ أي ٤٩٥ كيلو .

أما مناخها فإنه رطب بارد في الشتاء حار جاف في الصيف ، ولكنه بوجه عام لطيف هادىء جميل في معظم أوقات السنة .

ولقد ورد في فضل المدينة المنورة على البلدان وقداستها الكثير من الروايات الصحيحة في الأحاديث الشريفة والكلمات المأثورة عدا ما جاء في القرآن الكريم من استشهادات وبيان لكرامتها .

ورد في الوفاء للعلامة السمهودي عن كعب الأحبار أنه لما أراد الله تعالى أن يخلق محمداً ﷺأمر جبريلا فأتاه بالقبضة البيضاء التي هي موضع قبره ﷺ فعجنت بماء التسنيم ثم غمست في أنهار الجنة وطيف بها في السموات والأرض فعرفت الملائكة محمدا وفضله قبل أن تعرف آدم عليه السلام .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إني أحرم ما بين لابتيْ المدينة كما حرم إبراهيم مكة » وقال أيضاً : « إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها » ، أي تنقبض وتنضم ـ مع أنها أصل انتشاره ومبعثه وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام : « على أنقاب المدينة ملائكة يحرسونها فلا يمر بها الدجال والطاعون إن شاء الله تعالى » .

وقد دعا ﷺ للمدينة في قوله : « اللهم اجعل بالمدينة ضعفيْ ما جعلت بمكة ، اللهم بارك لهم في مكيالهم وبارك لهم في صاعهم وبارك لهم في مدهم » .

---

(١) الميل ٣٥٠٠ ذراع .

وقال ﷺ في فضل ثمار المدينة : « عجوة المدينة شفاء من السقم ، وغبارها شفاء من الجذام » .

ومن أقواله الخالدة عليه الصلاة والسلام قوله أيضاً عن هذه البلدة الطاهرة : « المدينة مهاجري ومنها مبعثي وبها قبري ، وأهلها جيراني وحقيق على أمتي حفظ جيراني ، فمن حفظهم فيّ كنتُ له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة ومن لم يحفظ وصيتي في جيراني سقاه الله من طينة الخبال » .

هذه هي طابة المحببة : عاصمة الإسلام الأولى ، كان أول من أرسل إليها رسولُ الله عليه الصلاة والسلام قبل الهجرة ، أبا عبد الله مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف ـ ليقرىء أهلَها القرآن ويفقّههم في الدين الحنيف . وفيه يقول ﷺ : « ما رأيت بمكة أحسن لمة ولا أرقّ حلة ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير » . وقد كان يحمل راية الرسول في يوميْ بدر وأحد ، واستشهد في أحد ، وحمل بعده الراية الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وتروي بعض كتب السيرة أن رسول الله ﷺ عندما أسري به إلى بيت المقدس مرَّ به جبريل على أرض ذات نخل وأنزله ، فصلّى ، ثم قال له : « أتدري أين صليت ؟ صليت بطيبة وإليها المهاجرة » .

كما أنه يروى حديث مرفوع إلى رسول الله عن جابر : « ليعودنَّ هذا الأمر إلى المدينة كما بدأ منها حتى لا يكون إيمانٌ إلّا بها » .

المدينة المنورة التي استقبلت سيدنا محمد ﷺ خاتم رسل الله وأنبيائه ، وآوته ، ومنها انبثقت دعوة الإسلام صريحة قوية وانطلقت الغزوات تطوِّع وتهدي الناس والبلدان إلى الإيمان بإله واحد يُعبد ، وتؤدّي فروض دينه الحق « دين الإسلام » الذي ارتضاه لعباده فأصبح

هو دين الإنسانية الواعية المؤمنة .

هنا رمز الكفاح المجيد الصادق وأول الأساس والبناء لحضارة إسلامية عربية شامخة خالدة . .

هنا حيث عاش الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام أعوامه الأخيرة العشرة التي كانت أجل وأفضل من مئات السنين : كانت أعوام فتح وتثبيت لدعائم الدين الأبدي ، وتأكيد لوجوب الوحدانية للخالق القادر الذي ﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾.

كانت أعوام نصر مؤزَّر لهذه الدعوة الإسلامية التي توحِّد بين العباد وتَشرع لهم قانونا عادلا حكيما ، وقد وضع للحياة مناهجها السليمة في المُثل العليا من الكرامة والفضيلة وسمو الخلق وإباء النفوس ونبل المشاعر وقداسة الحرية وعظمة العقيدة . . . وهذا كلُّه يضم قوله ﷺ : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » . . وضمت المدينة الجسد الطاهر لسيد الخلق عليه أفضل الصلاة والتسليم ، بعد أن ابتنَى فيها مسجده الذي قال فيه ما قال ووجبت زيارته وأن تشد إليه الرحال . .

وأصبحت المدينة مزار المسلمين من كل أقطار الدنيا يأتون إليها ليشهدوا فيها رموز الطاقات التي انتشر بها الدين الإسلامي حتى غمر العالم ، وليصلوا ويسلموا - عن قرب - على الهادي حامل رسالة السماء إلى البشرية ومبلغ دعوة الحق والإصلاح للناس ، بشَّر بالخير والنعمة وحسن النهاية للمؤمن الواعي المخلص ، كما أنذر بالعذاب وسوءالمصير لمن تجاهل وأشرك وحارب الله ورسوله : لأن الإيمان هو المعرفة والتبصُّر وصدق العلم ويقظة الضمير.

هذه المعاني الكاملة هي التي انطلقت من هذه الأرض

المقدسة : (مبينَ الحلال والحرام) مدينة رسول الله ﷺ وحرمه ومضجعه وفيها يقول : لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها . . ويقول : أوَّل من أشفع له من أمتي أهلَ المدينة .

بقعة كريمة مباركة ، وبلد طيب أمين ، ووطن عظيم جليل . .
هذه هي المدينة المنورة الحبيبة : إنها قدس الأقداس وكفى ! .

معالمها ومآثرها

لو قدر للآثار الجليلة التي شهدتها المدينة ـ منذ الفجر الإسلامي إلى اليوم ـ أن تحتويها أيدي العناية وتتعاقب في المحافظة عليها ، لتكون منها على هذه الأرض الخالدة ، متحفا ناطقا بأعمال الأجيال ومخلفات القادة والزعماء والأبطال من المسلمين الذين حفل بهم التاريخ الطويل ، وقد دخلوا سجل الخلود . لو قدر ذلك ، لكانت تلك المآثر رموزا للبقاء المتجدد والحياة المنصرمة ، غير أن مآثرهم لم يبق منها الزمن إلا النزر اليسير . وإن لفي جميع أنحاء المدينة كثير من الآثار المندرسة في القصور والآطام والمزارع والأودية والآبار والعيون والقلاع والآجام والمعابد والمساكن والقرى والمساجد والمعالم المختلفة[1] . حتى إنه ليطول بنا الشرح لو عمدنا إلى استعراضها وذكرها ولكنا نكتفي بأن نستقصي شيئا منها ، وما هو قائم ظاهر ، تمشيا مع الغاية المرسومة لكتابنا هذا .

الأودية :

● (وادي العقيق) يسمى بالعقيق لحمرة موضعه ولأن السيل عقَّ في الحرة أيْ شقّ وقطع . وهو ينقسم إلى واديين ، صغير وفيه بئر رومة وهو ما بين أسفل المراجل إلى منتهى العرصة ، ويتصل به

---

(١) هناك في كتب التاريخ العديدة عن المدينة ـ شرح وتفصيل واف لكل المباني والمآثر المندثرة .

العقيق الكبير . وفيه بئر (عروة) إلى (بلاد مرينة) وهو مما يلي الحرة إلى قصر المراجل . ويسيل وادي العقيق من الجهة القبلية بجبال مكة ثم يتكاثر في طريقه حتى يصل للمدينة ويخرج منها ثم يلتقي بمجمع السيول في (غابة) بأعلى الهم ، وذلك مشهد حمزة رضي الله عنه ، وفيه قال الوليد بن زيد :

« لم أنس بالعرصتين مجلسنا
بالسفح بين العقيق والسند »

ويسيل هذا الوادي كغيره من الأدوية ـ كلما هطلت الأمطار ورويت الأرض ، ويكون منظرا جميلا يبهج النفس ويهدهد الخواطر. ويقع في منطقة استراتيجية ، حيث تعتبر أول محطة للمدينة جنوباً لكل من غادر أو قصد إليها . ولا تخلو أبداً هذه المنطقة البديعة من الرواد يستمتعون بمائها العذب وجوها الهادىء ومناظرها الطبيعية عند جنوح الشمس للمغيب أو في الليالي القمراء . ولكم شدا الشادون وشهدوا من ذكريات في هذه البقعة الجميلة التي هي أبدع مكان يقصد للنزهة فيه ، ووادي العقيق هذا واد مبارك كما جاء في حديث عن النبي ﷺ .

● (وادي بطحان) يأتي من الحرة العليا ، وهو المسيل الوحيد الذي يمر داخل المدينة ويخترقها من جنوبها إلى شمالها ـ وهو المعروف باسم « أبو جيدة » وله عدة شعب خارج المدينة[١] . .

● (وادي الرانوناء) يسيل من ناحية جبل عير وشرقي الحرة ثم يلتقي بوادي بطحان . . وهو المعروف باسم (سيل سيدنا حمزة) .

---

(١) في حقل التنظيم وكثافة العمران السكني ، بنى سد لحجز هذا الوادي عن الدخول إلى المدينة .

● (وادي مهزور) يسيل من حرة شوران ، وفي العهود السابقة كان يمر بالمسجد النبوي والبقيع ؛ حتى عملت له ممرات بعيداً عنهما - وله عدة شعب منها - وأكبرها التي تخترق الحرة الشرقية إلى العريض حيث تصب في (العاقول) ، وقد عمل له خزان في العصر الحاضر للإفادة من مياهه التي تتجمع من الأمطار .

وهنالك وديان صغيرة تسيل وتلحق بما ذكرنا من الأودية .

العيون والآبار :

● (بئر عين الأزرق) - أشهر عيون المدينة ، أجراها الخليفة (معاوية) على يد عامله على المدينة (مروان بن الحكم) وكان أزرق العينين - فسميت به . ومعروفة اليوم باسم (العين الزرقاء) وأصلها بالقرب من مسجد قباء ، وتسيل في منهلها إلى الشمال الشرقي لتصل المنهل الذي كان أمام (مسجد الغمامة) الرئيسي ومنه تتفرع إلى جهتين : إحداهما إلى المنهل المعروف في باب البصري باسم (السبيل) والأخرى إلى المنهل المقام أمام المسجد النبوي بين بابي السلام والرحمة . وقد أزيل وطمر هذا المنهل وأدخل مكانه ضمن الرحبة التي أمام المسجد الشريف أثناء عمارة توسعة عام **١٣٧٢ هـ** من قبل الحكومة السعودية ، ويعتمد أهل المدينة في أكثر شربهم على هذه البئر الزرقاء . . وقد أنشىء حديثا عدة مناهل لتأمين احتياجاتها من الماء النقي باسم (مناهل سعود)[١] .

● (عين النبي ﷺ) كان اسمها (العيينة) ونسبت إليه ﷺ

---

(١) ثم جاء مشروع تحلية مياه البحر المقام في ينبع لتزويدها وتزويد المدينة بالماء النقي والكهرباء .

لأنه كان يتوضأ منها أيام الخندق ؛ وهي عند كهف بني حرام في مقابلة المصلي . .

● (بئر أريس) إسمها هذا نسبة إلى إسم رجل فلاح في الجاهلية ، وهي تقع أمام مسجد قباء إلى جهته الغربية ، وكان قد سقط فيها خاتم النبي ﷺ من يد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ولهذا فهي تعرف اليوم ببئر الخاتم ، وقديما كانوا يسمونها « بئر العقبة » .

● (بئر عروة) وهي الشهيرة الواقعة على مسيل وادي العقيق : وقد أجراها الصحابي عروة بن الزبير رضي الله عنه . وماؤ ها معدني وهو أجود مياه المدينة ، وهو مع عذوبته وحلاوته مدر للبول ويستشفى به ، وكان يهدى في قوارير إلى الخليفة هارون الرشيد . والبئر مضيئة بالليل . وعن ذلك يقول السري بن عبد الرحمن الأنصاري :

« كفنوني إن متُّ في درع أروَى
واستقوا لي من بئر عروة مائي
سخنة في الشتاء باردة الصيف
سراج في الليل الظلماء »

وقد لحق هذه البئر ـ الجفافُ والإهمال ، ولعل الله يوفق لإعادتها والإفادة منها .

● (بئر أنس بن مالك): تعرف اليوم ببئر « الرباطية » نسبة إلى الرباط الذي هي فيه واسمه الآن (رباط الحضارم) ـ ويقع في (الرومية) من حواري المدينة الداخلية المعروفة، ، وقد أزيلت في التوسعات العامة .

● (بئر حاء) أجراها أبو طلحةفي بستانه ـ وهي تقع شرق المدينة إلى الشمال من سورها . وهي وقف على الفقراء .

● (عين الشهداء) : تقع قرب جبل أحد ، وتسمى أيضاً (الكاظمة) .

● (عين الخفيف) : تقع بجوار مساجد الفتح وتعرف بعين (شبشب) أيضاً وقد انقطعت .

● (بئر البصة) : تقع بالقرب من البقيع على يسار الطريق إلى قباء ، وعلى مقربة منها بئر أصغر منها ، وتحوطها حديقة كبيرة موقوفة على الفقراء ، وقد أوقفها لله تعالى المرحوم شيخ خدم المسجد النبوي (ريحان البدري الشهابي)سنة ٦٩٧ هجرية .

● (بئر بضاعة) : تقع شمال غربي (بئر حاء) وسط بيوت بني ساعدة ـ كما هو معروف .

● (بئر غرس) : تقع شرقي مسجد قباء من الشمال على نحو نصف ميل ، وهي التي قال عنها النبي ﷺ للخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « يا علي إذا أنا مت فاغسلني من بئري بئر غرس بسبع قرب لم تحلل أو كيتهن » .

● (بئر إهاب) : تقع في الحرة الغربية ، ويقال لها زمزم لبركتها ـ إذ أن النبي ﷺ بصق فيها . وقد احتفرتها السيدة فاطمة ابنة الحسين رضي الله عنها ، وتسمى أيضاً بإسمها .

● (بئر رومة) : تقع في عقيق المدينة وتعرف اليوم بإسم « بئر عثمان » لأن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه اشتراها وجعلها للمسلمين وقفا .

● (بئر الأعواف) :من الصدقات النبوية، وقد توضأ على شفتها النبي ﷺ وسال الماء عليها ، ثم نبتت شجرة من أثر وضوئه ، وكانت قائمة إلى زمن قريب .

● (بئر العهد) : تقع بحرة المدينة الغربية، وتسمى أيضاً (بئر السقيا) و(بئر الجميل) وقد كانت لبني أمية من الأنصار . .

● (بئر أبي عينة) : تقع غرب حديقة العمرانية بناحية باب العنبرية - وتعرف اليوم باسم (بئر ودي) وهي وقف على أغوات الحرم النبوي الشريف . .

● (بئر حلوة) : تقع في زقاق حلوة المعروف اليوم بزقاق الطوال .

● (بئر القراصة) : تقع غرب مساجد الفتح - كانت قد اندثرت ثم كشف عنها أثناء الحفر عندما عمل عليها بستانا المرحوم الشيخ أبو بكر داغستاني - في أوائل القرن الثالث عشر الهجري . .

● (بئر جشم): تقع غرب وادي الرانوناء - وهي لبني بياضة في منازلهم وحولها نخيل ومزروعات . .

● (بئر سميحة) : تقع في العالية - وكان قد ابتاعها بالحديقة حولها العلامة أحمد بن عبد الحميد العباسي مؤلف كتاب (عمدة الأخبار في مدينة المختار) وأوقفها لله تعالى . .

● ومن الآبار المندثرة : ذروان ، وزناد ، ورئاب ، وعائشة ، والملك ، وجاسوم ، واليسيرة ، والهجيم ، وغيرها . .

وهذه الكثرة في الابار مما يعطينا صورة واسعة إلى أن المدينة بلاد

زراعية وكانت في كل الأحقاب تصدر مختلف المنتجات ـ ولا تزال ـ وإن تضاءلت فيها نسبة الزراعة في هذا العصر. .

المعاهد والقصور :

حفلت منطقة العقيق منذ القرن الأول للهجرة ـ بسكنى كبار رجالات المدينة وأقطاب الدولة الإسلامية ، فشيدت القصور وأنشئت المزارع والبساتين ، وحفرت الآبار واستغلت الوديان ، وكثر النخيل حتى كانت الأحمال تخرج من المدينة لتصدر منتجاتها إلى البلدان الأخرى . . فلقد كانت هذه المنطقة عامرة بالحياة مزدانة بخيرات الأرض البكر ، حافلة بالضِّياع والحدائق الغناء . . ولكن الأيام تمر ، ومعول الزمن لا يرحم ، إذ أضاع الخلف ما ورثوه عن الأسلاف الكرام ، وامتدت أيدي النسيان والإهمال تعمل عملها . . فإذا بكل تلك المنشآت الجميلة والمعالم الضخمة تتهاوى ويجرفها التيار ، وإذا بها أثر بعد عين ، لم يبق منها إلا سطور تروى وأحاديث لوعة نرددها .

● ومن أسماء هذه القصور : قصر أبي هاشم بن المغيرة بن أبي العاص ويعرف بحصن أبي هاشم . .

● قصر عنبسة بن سعيد بن العاص . . والمزارع التي مقره اليوم ـ تعرف بالعنابس . .

● قصر عبد العزيز بن عبد الله العثماني ، قصر عاصم بن عمرو العثماني ، قصر مروان بن الحكم ، وله قصر آخر قرب مكان الصدقات النبوية بالبقيع . .

● قصر سعيد بن العاص بن أمية ـ يقول فيه أبو قطيفة الشاعر :

« القصر والنخل والجماء بينهما
أشهى إلى النفس من أبواب جيرون »

وقد كانت القصور تحف بها البساتين وتمتد أمامها المزارع حتى تلك التي في غير هذه البقعة ..

● وهناك أيضا قصور في أكثر من مكان ، عفا عليها الزمن واندثرت ومنها : قصر اسماعيل بن الوليد بن هشام - بني على نصف بئر إهاب ..

● قصر خل .. يقع بظاهر الحرة غربي بطحان إلى طريق رومة . بناه معاوية على يد النعمان بن بشير ، واتخذ في بعض العهود السابقة سجنا .

● قصر ابن ماه : يقع أسفل بئر هجيم ..

● قصر بني حديلة : يقع مع بئر حاء .

● قصر ابن عراك: يقع بطريق آحد بالقرب من مقبرة بني عبد الأشهل ..

● قصر ابن يوسف : يقع بأسفل قصر مروان - وهو لموالي آل عثمان ..

هذا على سبيل المثال لا الحصر ، وقد يطول بنا المجال لو استقصينا كل المشاهد والمعاهد من أمكنة القوم الأوائل وأموالهم وآطامهم ومواضع ذكرياتهم - وقد طوتها الأيام ، واستوفت أخبارها الكتب الجمة التي تناولت تواريخ المدينة ومآثرها العديدة بتفصيل أكثر ، ولهذا فإني أترك لمن يريد الإستيفاء أن يرجع إلى تلك الكتب المطولة .

الخندق والسور :

يقع (الخندق) شمال المدينة ، وقد حفره النبي ﷺ وأصحابه في ستة أيام عندما بلغه قدوم اليهود من بني النضير مع قريش ، وسميت هذه الغزوة (الخندق) ، وتسمى أيضا (يوم الأحزاب) ، وقد امتدت مساحة الخندق من طرف الحرة الشرقية إلى مشارف الحرة الغربية ، وقد عفى عليه مسيل وادي بطحان وطمه لأنه في طريقه ، ولم يبق إلا موضعه يدل عليه .

وقد كان للمدينة سور منيع إلى عهد جد قريب : سور قديم يحوطها من جميع جهاتها . . أنشأه عام ٢٣٦ هـ محمد بن اسحق الجعدي . . وله أربعة أبواب رئيسية . . وتهدم معظمه بمرور الأيام ، فأقامه عضد الدولة ابن بويه بين عامي ٣٦٠ - ٣٧٢ هـ ، تهدم أيضا ولم تبق منه إلا الآثار . وفي عام ٥٤٠ هـ ابتنى الجواد جمال الدين محمد بن علي المنصور سورا داخليا محكما . . وفي عام ٥٥٨ هـ بنى الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي - السور الخارجي ، وجدد عام ٧٥٥ هـ في عهد ابن قلاوون ، ثم جدده الملك قايتباي عام ٨٨١ هـ ، ولكن هذا السور تهدم واندرست معالمه ، فيما عدا الجهة الغربية للسور الداخلي الذي جدده السلطان العثماني سليمان بن سليم بين عامي ٩٣٩ - ٩٤٦ هـ ، ثم جدده في عام ١٠٧٨ هـ الملك بن محمد ابن إبراهيم خان ، ثم أصلح ما تهدم منه السلطان محمود خان عام ١١٦٢ هـ . ثم إنه جدد عمارته هذه عام ١٢٨٥ هـ وزاد في ارتفاعه حتى بلغ ٢٥ مترا وبنى له أربعين برجا كلها مشرف على جوانب المدينة الأربعة ومزودة بالمدافع والآلات الحربية ، وفي عام ١٣٠٥ هـ زاد السلطان عبد الحميد في السور من ناحية (باب العنبرية) وجدده - ويسمى هذا الباب أيضا (الباب الحميدي) - نسبة إلى اسم

السلطان ـ وهو مدخل جميع القادمين من طريق جدة وينبع وما حولها . وظل السور بمتانته وقوته كإطار محكم حول المدينة ، حتى العصر الحاضر حيث تمت إزالته كله في تنظيمات الحكومة السعودية بغية فتح الشوارع . . ونظرا لاتساع العمران من كل الجهات . .

الجبال والحرار :

تكاد الجبال تحاصر المدينة من كل جهاتها ، وهي تمتد أيضا على طول الطريق إلى بدر . .

ونستعرض بعضا منها مما هو داخل المدينة :

فإلى الجهة القبلية تقع جبال : القلادة ، والمقشعر ، وصاوي ، والكويرة ، ومن الغرب جبل برام ، ويقابله في الشرق جبل عسيب . وفي منطقة قباء جبال (كشف) وحولها الحدائق الغناء ـ وأمكنة تعرف بهذا الاسم أيضا ، وبالقرب منها جبل مكران . ثم سلسلة جبال قدسي بغربي (وادي صاف) من البقيع ـ وعلى مقربة منها (جبل آرة) الذي يشرف على قرية تسمى (المحضة) . .

ومن جبال حدود حرم المدينة : أحد ، وعير ، ومخيض الذي يجاوره (جبل غراب) شمال المدينة . وفي غربي مساجد الفتح يقع جبل بني عبيد ، وقريب منها (جبل سلع) . أما (جبل سليع) فهو الذي بنيت عليه قلعة المدينة وحصنها : بناهما في القرن السابع للهجرة أميرها جماز بن شيحة ، وفي هذا الجبل كان كهف بني حرام ، وهناك (جبل ذباب) المبني عليه مسجد الراية ، وفي شرقي بني قريظة يقع (جبل ميطان) ـ وهو جبل أحمر ، وقد سمي في حوالي منتصف القرن الثاني عشر بجبل الأغوات الذين كانت بينهم واقعة مع أهل المدينة عام ١١٧٠ هـ فاشتروه من العربان لإتمام الحلف فيما بينهم . .

● ومن الجبال البعيدة شيئا عن المدينة : (جبل أعظم) وهو ضخم في شمالي (ذات الجيش) على نحو ستة أميال من ذي الحليفة ، وجبل (الأشعر) بقرب (وادي الروحاء) الذي يبعد عن المدينة بنحو ثلاثين ميلا ، وجبل (ورقان) إلى يسار الخارج من المدينة قبل (منهل الرويثة) ويبعد عن المدينة بنحو خمسين ميلا .

ومن الحرار الملتصقة بالمدينة والداخلة فيها : حرة الوبرة وحرة واقم ـ وهما غربي العقيق إلى المدينة ، و(حرة شوران) التي بها جبل بهذا الاسم ، وكان ﷺ قد أعجب بسمنها ، فسأل عنها ثم دعى لها بقوله « اللهم بارك في شوران » . وفي قبلي المدينة تقع حرة قباء . وفي ناحية الإتجاه إلى العاقول تقع (حرة فدك) التي سميت بحرة النار لاشتعالها في حريق ـ يأتي ذكره ـ دام ثلاثة أيام ، وبالقرب منها (حرة ليلى) . .

أما الحرة العليا فهي (حرة معصم) وفيها الجدر .

واللابتان : هما الحرتان ذواتا الحجارة السوداء اللتان تحيطان المدينة من جانبيها ـ الشرقي والغربي ، ويحددان حرم المدينة .. لقوله ﷺ : « حرم ما بين لابتي المدينة على لساني » .

ومن الآطام التي تعتبر في حكم المندثر : أطم المزدلفة الواقع عند مسجد الجمعة وهو لمالك بن عجلان ، وأطم المستظل الواقع عند بئر غرس ، وهو للشاعر أحيحة بن الجلاح ـ وله أيضا أطم ضحيان في قباء بالعصية ، وفيها يقول :

« إني بنيت واقما والضحيان
والمستظل قبله بأزمان »

وآطام الصياصي . . وعددها أربعة عشر في قباء ، كان أهلها يتعاطون النار فيما بينهم . .

وعلى سبيل المثال أيضا : كان عند جسر وادي بطحان يقع سوق بني قينقاع في الجاهلية ، يختلف إليه الشعراء حيث يتفاخرون ويتناشدون الأشعار .

ومن بين الحدائق الشهيرة في غير ما ذكر بالعقيق : حدائق الناعمة والنويعمة بالعوالي ـ إحدى ضواحي المدينة الكبيرة ـ ، ومثلها ضاحية قربان ، وقباء والعنابس ، وكلها معروفة اليوم إلى جانب ما أعيد إصلاحه من بساتين أبدل بعض أسمائها وأدخل عليها البناء الحديث .

﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾

« قرآن كريم»

في مكة المكرمة :

كان عبد المطلب بن هاشم - جد الرسول ﷺ الأول - زعيما لقريش وكبيرهم الذي إليه المرجع في كل أمورهم بهذا البلد المقدس الذي ابتنى فيه ابراهيم واسماعيل عليهما السلام الكعبة - بيت الله الحرام . حيث يحج إليه العرب من كافة أنحاء الجزيرة منذ عهد ابراهيم عليه السلام، وقد سماهم المسلمين . .

حفر عبد المطلب بئر زمزم[1] وولي السقاية عليها ، إثر رؤية رآها وهو نائم في الحجر بالمسجد الحرام . وفيه قال شاعرهم حذيفة ابن غانم - أخو بني عدي بن كعب بن لؤي - من قصيدته التي رثاه بها :

« وخيرهم أصلا وفرعا ومعدناً
وأحظاهم بالمكرمات وبالذكر »

وكان لعبد المطلب عشرة من الولد : ستة نسوة هن : صفية ، وبرة، وعاتكة ، وأم حكيم ، وأروى ، وأميمة ، وستة ذكور - هم : أبو طالب، وحمزة ، والحارث ، وأبو الحكم « لهب »، والعباس، وعبد

---

(١) كانت قد نبعت هذه البئر عند قدمي اسماعيل بن ابراهيم الخليل - عليها السلام - وهو يفحص بها الأرض من الظمأ - ثم طمت إلى أن حفرها جد النبي ﷺ .

الله ـ الذي كان أحبهم إلى أبيهم ـ كما يروى . . وعندما بلغ (محمد) الثامنة عشرة زوجه أبوه بآمنة إبنه وهب بن عبد مناف ـ سيد بني زهرة ، ويلتقي نسبها برسول الله ﷺ ـ في جده الخامس (حكيم) ـ كما يتصل نسبه الشريف باسماعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام .

ويروى أن عبد الله قبل زواجه من آمنة ـ عرضت عليه نفسها « رقية » أخت ورقة بن نوفل ، فأجابها شعراً :

« أما الحرام فالحمام دونه
والحل لا حل فأستبينه
فكيف بالأمر الذي تبغينه
يحمي الكريم عرضه ودينه »

كما يروى أيضا أن فاطمة بنت مر ، دعته لنكاحها ـ وكانت أعف النساء وأجملهن ـ وهي ترى النور على سمات وجهه . . فلما لم يجبها قالت هي :

« إني رأيت مخيلة نشأت
فتلألأت بحناتم القطر
لله ما زهرية سلبت
منك الذي استلبت وما تدري »

وأراد الله أن يكون لنبيه نسباً رفيعاً وشرفاً عظيماً من جهة أمه وأبيه عليه صلوات الله وسلامه ، وحين حملت به أمه آمنة رأت أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أرض الشام . . كما روت بأنها أتيت وقيل لها : إنك حملت بسيد هذه الأمة فإذا وقع في الأرض فقولي :

« أعيـــــــذه بـالــــواحـد
مـن شـر كـل حـاسـد »

ثم سميه محمداً » .

ولم يكن أحد من العرب قد سمى (محمدا) غير ثلاثة كان يأمل آباؤهم عندما عرفوا بقرب مجيء النبي محمد (ﷺ) وبعثه في الحجاز ـ أن يكون منهم هذا المبعوث ، وأحدهم : محمد بن أحيحة من الأوس ، والثاني محمد بن سفيان ـ جد للفرزدق ـ ، والثالث محمد ابن حمدان بن ربيعة .

مولده الشريف :

ولد ﷺ يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول وذلك عام ٥٧١ لميلاد النبي عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ، ويسمى هذا العام بعام الفيل لأن (أبرهة) ـ ملك الحبشة ـ أغار على الكعبة بالأفيال ، فأرسل الله عليهم طيرا أبابيل ، ردتهم على أعقابهم خائبين . وذلك بعد أن تحدى « أبرهة » ما قاله عبد المطلب من أن للبيت رب سيمنعه ، فقال : ما كان ليمتَنع مني ، وقد قصد عبد المطلب إلى الكعبة هو ونفر من قريش وأخذ بحلقة بابها وهو ينشد :

« الـلهـم إن الـعـبـد يمـنـع رحـلـه
فـامـنـع حـلالـك . .
لا يـغـلبـن صـليـبـهـم
ومحـالهـم غـدواً محـالـك
إن كـنـت تـاركـهـم وقـبـلتـنـا
فـأمـر مـا بـدا لـك »

وكانت ولادة النبي ﷺ بدار قرب الصفا ، قامت ببنايتها

مسجدا فيما بعد السيدة (زبيدة) زوج هارون الرشيد ـ عندما حجت في أواخر القرن الثاني للهجرة ، وأجرت ماء « عين زبيدة » المعروفة باسمها ، ويعرف هذا المسجد الآن ـ بمسجد مولد المصطفى . .

وكانت فرحة « عبد المطلب » عظيمة ، واغتباطه بالغاً مداه بحفيده محمد ، وأمه تروي له كل ما حدث لها من كرامات ودلائل بسببه ، فحمله ودخل به الكعبة يعوذه ، ويدعو الله ويحمده ويثني عليه ، ثم جاء له بمرضعة من بني سعد بن بكر هي (حليمة) إبنة أبي ذؤيب ، وكانت تحت الحارث بن عبد العزى ، وقد أدرك رسول الله ﷺ عندما بعث بمكة وآمن به . .

وعندما بلغ الرسول شهرين من عمره ، توفي والده « عبد الله » وعمره تسع عشرة سنة بالمدينة عند أخواله بني عدي بن النجار ، ودفن في دار النابغة الصغرى ـ زقاق الطوال ـ كما هو معروف الآن[1] . .

وكفل عبد المطلب صغيره محمداً وتولى شأنه . . وإنه لفي غضون سنته الثالثة ـ كان هو وأخوه عبد الله من الرضاعة ـ خلف بيت مرضعته حليمة ـ جاءه الملكان بهيأة رجلين في ثياب بيضاء ، وشقا أعلى بطنه واستخرجا منها علقة الشيطان ، وعاد فزعا بعدها إلى أمه آمنة ، وقد استبشر الجميع بما يحدث لهذا الطفل الذي تحل بوجوده البركة حيثما حل . .

وسافرت به أمه آمنة إلى أخواله بالمدينة وعمره ست سنوات ، وفي أثناء عودتها به توفيت بالأبواء قريبا من مكة ودفنت بها في شعب أبي

---

(١) كل هذه المآثر اندثرت في التوسعات الجديدة المعاصرة .

ذر ،ولم تمض سنتان حتى توفي جده عبد المطلب ورثاه الكثيرون ومنهم : مطرود بن كعب الخزاعي ، ومما قال في قصيدة:

« يـا أيهـا الـرجـل المحـول رحلـه
هـلا سـألت عن آل عبـد منـاف . .

المـنعـمـين إذا الـنـجـوم تـغـيـرت
والـظاعـنـين لـرحـلة الإيـلاف[1]

والمـطعـمـين إذ الـريـاح تـنـاوحـت
حـتى تـغـيـب الـشـمس في الـرجَّـاف

إمـا هلكت أبـا الـفعـال فـما جـرى
مـن فـوق مـثـلك عـقـد ذات نـطاف

إلا أبـيـك أخـي المـكـارم وحـده
والـفـيض مـطلب أبي الأضـيـاف »

وكوصاية الجد عبد المطلب كفل الرسولَ ﷺ عمه أبو طالب ـ شقيق والده ـ والتزم بكل مطالبه . . وقد وليَ عمه « العباس» على زمزم والسقاية عليها ، وظلت لآل العباس قروناً عديدة بعدما أقرها رسول الله ﷺ . .

بعد ذلك بعام ـ والرسول في سنه التاسعة ـ صحبه عمه في ركب تجارته إلى الشام ، ونزلوا بمدينة حوران « بصرى » بأرض الشام . وفيها راهب معتزل في صومعته لا يغادرها إسمه « بحيرى » قد أحس بمقدم الرسول وهو في الركب ، وغمامة من السحاب تظلل عليه ، فدعا القوم كلهم إلى طعامه . ولما قرب منه الرسول ﷺ راح يتأمله ويتعرف على أشياء في جسمه عنده صفاتها ، ويسأله وهو

(١) رحلة الشتاء والصيف ـ كما جاء في سورة (لإيلاف قريش) .

يجيب . . ورأى خاتم النبوة بين كتفيه بهيأة أثر المحجم وحوله خيلان بها شعرات سوداء ، ثم نصح « بحيرى » أبا طالب أن يعود إلى مكة بابن أخيه ، ويحذره عليه من اليهود ويقول : « إنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به إلى بلاده » . .

وعاد به عمه إلى الوطن . . ونشأ نشأة إصلاح وتقوى مطهرا نزيها كريما أمينا . ولا يستنكف أن يرعى الغنم فكان يقول : « ما من نبي إلا رعى الغنم » . . وربه جل شأنه يرعاه ويهيئه لرسالة الحق والنور التي سيحملها إلى الإنسانية جمعاء . . ويبلغ أمانتها للبشرية ، فمن آمن واتقى فأجره على الله . . وما الله يريد ظلماً للعالمين . .

وفي سنه الخامسة عشر ، وقعت (حرب الفجار) الأولى بين قريش وكنانة وبين قيس عجلان . وشهد ﷺ فيها إحدى المعارك . وكان يرد نبل العدو المتساقط على أعمامه . وسميت (بحرب الفجار) لوقوعها في الشهر الحرام وما كان يستحل فيه الحيَّان من محارم ، وقد تكررت هذه الحرب بعد ذلك بخمس سنوات .

عندما بلغ ﷺ الخامسة والعشرين من عمره تهيأ له الزواج من السيدة خديجة بنت خويلد التي تلتقي في نسبه الشريف عند جده الرابع « قصي بن حكيم » ، وقد كانت خديجة صاحبة شرف ، ولديها تجارة تبعث بها إلى الشام، فعلمت بأمانة الأمين « محمد » ﷺ وسمو أخلاقه ، فعرضت عليه السفر إلى الشام مع غلامها « ميسرة » في تجارة تزيد عما قبل . فخرج بها ، ولما وصل الشام واستظل شجرة قريبة من صومعة أحد الرهبان سأل الراهبُ ميسرةً عمن يكون الرجل المستظلّ ، فيخبره (ميسرة) بأنه من قريش ومن أهل الحرم . فيقول الراهب:« ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي » .

وفي الطريق كانت إذا اشتدت حرارة الشمس يرى (ميسرة) ملكين يظلان منها الرسول ـ وهو على بعيره.

ولما رجع ،وقد باع ما معه من بضائع وابتاع غيرها ، وجدت خديجةربحاً وافراً،وعرفت فضل هذا الأمين مما حدثها به (ميسرة) عما سمعه وما رآه عنه ، فأرسلت إليه تشرح رغبتها فيه وتعرض نفسها عليه ـ وهي أرملة في سن الأربعين ـ وتدعى الطاهرة ، وقد توفي زوجها الأول في الجاهلية ، وهو أبو هالة بن زرارة التميمي وخلفت منه ابنتها (هند) الصحابي الذي روى حديث صفة النبي ﷺ وشهد بدرا ، أما زوجها الثاني فهو عتيق بن عامر المخزومي ، خلفت منه بنتاً أسمتها « هندا » أيضاً . . وماتت على الإسلام .

وبعدمشاورة مع الرسول ﷺ وأعمامه في أمر خديجة ، خطبها له عمه أبو طالب ، فكانت أول زوجاته ﷺ . ولم يتزوج غيرها إلا بعد وفاتها عليها رضوان الله . وقد ولدت له كل أبنائه السبعة، إلا ابنه ابراهيم فأمه مارية القبطية[1] . أما السبعة فهم ثلاثة ذكور : القاسم والطاهر وعبد الله وقد ماتوا في الجاهلية، وأربع إناث: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة . . وكلهن أدركن الإسلام وهاجرن معه ﷺ : ولم يخلف أحد من أبنائه إلا فاطمة الزهراء التي زوجها إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فولدت له الحسن والحسين رضي الله عنهم . . وكل من جاء من نسلهما يقال له السيد أو الشريف ، وفي مصر يقولون منسّب ، وبعض الناس ـ وكانت الغالبية منهم يحتفظون بمسلسل النسب الشريف ويعتزون به . .

---

(١) هي الجارية التي أهداها للرسول ملك مصر (المقوقس) مع بغلته (دلال) عندما أرسل إليه ﷺ يدعوه للإسلام ، فتقرب إليه .

لقد كانت الأدلة والبشائر كلها تشير إلى الحديث العظيم بأن الأمين (محمد بن عبد الله) هذا هو المبعوث المنتظر لهذه الأمة ، ليقر الدين الحنيف بينها وينشر تعاليمه فيها ، كما ورد في كتب العهدين القديم والجديد المقدسة ما يبشر ببعثته عليه الصلاة والسلام . وعرف الكهان والأحبار والرهبان أمره مما قرأوا عنه وشاهدوا العلامات التي تدل عليه ، واسمه ﷺ بالسريانية (المخمنا) و(البرقليطس) بالرومية .

وجاء في الإنجيل على لسان عيسى بن مريم عليه السلام قوله « ولكن لا بد أن تتم الكلمة التي في الناموس ، إنهم أبغضوني مجاناً ـ أي باطلا ـ فلو قد جاء (المنحمنا) هذا الذي يرسله الله إليكم من عند الرب وروح القدس هذا الذي من عند الرب خرج فهو شهيد عليّ وأنتم أيضاً لأنكم قديماً كنتم معي في هذا قلت لكم لكيما ألا تشكوا . . » . .

وقد روت السيدة خديجة ما عرفت من معجزات رسول الله ﷺ ، لإبن عمها الشيخ ورقة بن نوفل الذي كان نصرانياً متتبعاً لما في الكتب الدينية فقال لها : « لئن كان هذا حقاً يا خديجة فإن محمداً لنبيّ هذه الأمةوقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبيٌّ ينتظر هذا زمانه » . .

وعرف عن ورقة بن نوفل الحكمة والتنبؤ ،وقد آمن برسول الله ﷺ ، وقال شعراً كثيراً في ذلك . .

وفي السنة الخامسة والثلاثين لمولده ﷺ ، قامت قريش تشيد بناء الكعبة ـ وهي المرة الثالثة لبنائها ـ فقد بناها لأول مرة شيث بن آدم ، ثم جدد البناء ابراهيم الخليل عليه السلام . وقد بناها للمرة الرابعة

عبد الله بن الزبير بعد احتراقها في عصره ، ثم أقام بناءها للمرة الأخيرة الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان .

وقد كانت قريش تخشى هدم الكعبة حتى شجع بعضهم بعضاً ، وضرب أول معول الوليد بن المغيرة ، وعندما انتهوا إلى الأساس الذي بناه الخليل توقفوا لصلابة الحجارة وتماسكها ببعضها ، وبنوا عليه . كل قبيلة تبني جانباً ، حتى بلغوا موضع الحجر الأسود ، فاختلفوا ـ ثم ارتضوا أن يكون الحكم أول داخل للمسجد من « باب بني شيبة» فكان محمد بن عبد الله هو الداخل، فاستبشروا به، وأخذ الحجر ووضعه بيده في ثوب ، وأمسكت كل قبيلة بجانب منه حتى وصلوا به إلى مكانه ، فوضعه هو بيديه وبنى عليه ، وفي هذا يقول الشاعر هبيرة بن أبي وهب المخزومي :

« تشاجرت الأحياء في فصل خطة
جرت بينهم بالنحس من بعد أسعد
فلما رأينا الأمر قد جد جدّه
ولم يبق شيء غير سل المهند
رضينا وقلنا العدل أول طالع
يجيء من البطحاء من غير موعد
ففاجأنا هذا الأمين محمد
فقلنا رضينا بالأمين محمد »

ولقد كان هذا الأمين المرتَضَى يواصل عزلته وتبتله في غار حراء ينتظر هاتف السماء ونجوى ربه الموعود بها ، بينما قد أرسل الله سبحانه وتعالى النيازك والشهب يصيب بها الجن والشياطين الذين كانوا يسترقون السمع من السماء حتى يبعدهم سبحانه ، ويمهد لنزول

الوحي على رسوله ، وقد فزع الناس يومها من قذف السماء بالنجوم المتتالية . .

وقبل أن تكتمل سن رسول الله ﷺ الأربعين بنحو نصف العام ، كان يرى الرؤ يا الصالحة وتتحقق ، ثم أصبح لا يمر بشجر أو حجر إلا هتف به : « السلام عليك يا رسول الله » .

ثم جاء رمضان وبدأ ينزل عليه وهو بحراء ـ جبريل عليه السلام بأول الوحي : ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾.

بعد ذلك أخذت تترى آيات الله وكلماته بالعظات والحكم والنذر وبالتعاليم الدينية الكاملة . . لتكون دستوراً عاماً للإنسانية ونظامها الحياتي الذي يسمو بالعقليات والأخلاق والأفكار . .

وهذا هو الدين الإسلامي المختتم لرسالات السماء ولا يقبل الله بغيره ، وقد وفَّى خلقه كل ما هو لهم وعليهم ، ليقيموا شرائعه في عبادته وفي التعامل بين بعضهم البعض . . قال جل شأنه : ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ ،وقال في ختام آياته المنزلة : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ ـ كان ذلك ورسوله الكريم عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع يبلغ الناس آخر الأحكام . .

نعود إلى أيام بعثته ﷺ ، وكان أول من آمن بدعوته زوجه خديجة ثم ابن عمه علي بن أبي طالب ، فزيد بن حارثة ، فأبو بكر الصديق الذي أظهر إسلامه . ثم تتابع إسلام بعض الناس رجالا ونساء، وكان منهم من علية القوم ما يشجعهم على الدعوة مكشوفة ،وبالرغم من ذلك فقد كانوا أقلية ، وتعرضوا لمناوأة الآخرين

من كبار قريش وأعدائهم ، يقاومونهم ويصدون دين الوحدانية الذي جاء به محمد بن عبد الله ، وقد اتهموه بالسحر وبالجنون والتمرد والخروج على حكمهم وطبائعهم . وبلسانهم ما ورد ـ في القرآن الكريم : ﴿أجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشيء عجاب ؟﴾ .

ولقد تعرض رسول الله ﷺ ـ طيلة الأعوام الثلاثة عشر التي بقيها في مكة ـ لإساءة قومه ، ولما تعرض له من قبله الرسل والأنبياء الذين دعوا إلى توحيد الله وإلى الفضيلة والعزة بمعانيهما الواسعة . . ولكنه ثبت ووقف دون رسالته وحقق دعوته بحفنة قليلة من مناصريه المؤمنين ، بما أرسله الله إليهم ، وقد قاموا معه ولم تصدهم كل وسائل الإستنكار والتعذيب وتشويه الحقائق .

ها هو أبو طالب ـ عمه ﷺ ـ يقول في مطلع قصيدته الطويلة التي يتعوذ فيها ويتودد لأشراف قومه :

« ولما رأيت القوم لا ودّ فيهم
وقد قطعوا كل العُرا والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى
وقد طاوعوا أمر العدوِّ المزايل
صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة
وأبيض عضبٍ من تراث المقاول
وأحضرت عند البيت رهطي وإخوتي
وأمسكت من أثوابه بالوسائل
أعوذ برب الناس من كل طاعن
علينا بسوء أو ملح بباطل
ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة
ومن ملحق في الدين ما لم نحاول »

إلى أن يقول :

« لقد علموا أن ابننا لا مكذب
لدينا ولا يعني بقول الأباطل
فأصبح فينا أحمد في أرومة
تقصر عنه سورة المتطاول
حدبْت بنفسي دونه وحميته
ودافعت عنه بالذرا والكلاكل
فأيده رب العباد بنصره
وأظهر دينا حقه غير باطل »

ومن المدينة المنورة كان شاعرها أبو قيس بن الأسلت من بني وائل يقول في قصيدته التي يدعو فيها قريشاً إلى السلم واتباع الحق :

« فبيعوا الحراب ملمحارب واذكروا
حسابكم والله خير محاسب
ولي امرىء فاختار دينا فلا يكن
عليكم رقيبا غير رب الثواقب
أقيموا لنا دينا حنيفا فأنتم
لنا غاية قد يهتدي بالذوائب
وأنتم لهذا الناس نور وعصمة
تؤمون والأحلام غير عوازب »

ولكن « قريشاً » تشتد في تنكرها لدعوة رسول الله ﷺ ولأتباعه ، حتى آذوه وسفهوه ونالوا من صاحبه الصديق ومن غيره من المسلمين ، ثم أسلم حمزة ـ عم رسول الله ـ وقال في قصيدة له عن ذلك :

« حمدت الله حين هدى فؤادي
إلى الإسلام والدين الحنيف
لدين جاء من رب عزيز
خبير بالعباد بهم لطيف
إذا تليت رسائله علينا
تحدر دمع ذي اللب الحصيف
رسائل جاء أحمد من هداها
بآيات مبينة الحروف »

ودخل معه في الإسلام بعض الكبار ، فخف أذى قريش ، وإن ظلوا في تعذيبهم لمن أسلم وطالت إليه أيديهم ، وراح كبراء قريش يطلبون الاجتماع برسول الله ﷺ والتحدث إليه ، فيعرضون عليه المال والجاه والحكم ليكون له ما يريد من أمور الدنيا على أن يترك ما جاءهم به ، فكان عليه الصلاة والسلام يجيبهم بقوة إيمانه : « ما بهذا بعثت إليكم إنما جئتكم من الله بما بعثني به وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله تعالى حتى يحكم الله بيني وبينكم » .

ولكنهم يصرون على موقفهم العدائي ويؤكد لهم « أبو جهل » أنه ليقتلن محمداً عليه الصلاة والسلام ، بأن يلقي على رأسه بحجر ضخم وهو في الصلاة ، وما يكاد هذا المشرك يهم بفعلته ويقترب من المحيط المقدس ، حتى يتراجع مذعورا هاربا يقول لرجال قريش : قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل ، ألا والله ما رأيت مثل هامته ولا مثل قصرته ولا أنيابه لفحل قط ، فهم بي أن يأكلني » . . وسئل رسول الله ﷺ في ذلك فقال : « ذلك جبريل عليه السلام ، لو دنا لأخذه » .

وإن هذا لمن معجزاته عليه الصلاة والسلام وتأييد الرب للحق الذي بعث به ، ولكن قريشاً لا تعتبر ، وتستمر في تعذيب المسلمين المستضعفين ، ولقي أصحاب رسول الله ﷺ الكثير من النصب والعنت ، فأشار عليهم أن يسافر بعضهم إلى الحبشة ، فخرجت أول هجرة إسلامية قوامها ٨٣ رجلاً عدا النساء والأطفال ، وفيها من كبار القبائل - وقد مثل كل قبيلة نفر بين الثلاثة والعشرة ، وكان منهم عثمان بن عفان وزوجه رقية ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة عامر بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف والأشعري وابن مسعود رضي الله عنهم وغيرهم ، وقال شعراؤهم يومها الكثير : ومما قاله عبد الله بن الحارث هذه الأبيات :

« وتلك قريش تجحد الله حقه
كما جحدت عاد ومدين والحجر
فإن أنا لم أبرق فلا يسعنني
من الأرض برٌّ ذو فضاء ولا بحر
بأرض بها عبد الإلهَ « محمدٌ »
أبين ما في النفس إذا بلغ النقر »

ولقي المسلمون الترحيب والإكرام من النجاشي ملك الحبشة حتى أنه نطق بينهم بشهادة الإسلام واستمع إلى القرآن ، وعندما مات صلى عليه رسول الله ﷺ - صلاة الغائب . وقد عاد أكثر المهاجرين بعد ذلك . وفي تلك السنة أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وازداد به الإسلام قوة ومنعة ، كما أسلم بعض أهل الطائف وبعض من يعتدّ بهم من قريش في نشر الدعوة الإسلامية . وجبريل عليه السلام ينزل بين كل وقت وآخر على رسول الله ﷺ بالوحي من ربه تعالى آيات بينات يقص من أقوال الذين يجادلون في الحق ، ومن خبر

المؤمنين ، فيبشرهم برضوانه ،ويدعو الناس إلى الهدى ودين الله ﴿ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون﴾ .

وعندما بلغ رسول الله ﷺ سنه الواحد والخمسين أسرى به الله إلى بيت المقدس وعرج به إلى السماء حيث صلى والتقى بالنبيين والرسل وشهد الملكوت الأعلى ، وتلقى أمر ربه بفريضة الصلاة .

قبل ذلك بعام توفيت زوجه خديجة وعمه أبو طالب ، وعاد أذى قريش يشتد على المسلمين وعليه ﷺ ، حتى نثروا التراب على رأسه . فكان يقول : « ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب » .

وراح ﷺ يعرض نفسه على القبائل في المواسم التي يجتمعون فيها بمكة للحج أو للتجارة أو للمغامرة في سوق عكاظ ، علهم يستجيبون لنصرته ، ولكنهم يصدونه معرضين عنه، وفيهم من يقول بأن قومه أحق منهم ، حتى جاء ستة نفر من الأنصار الخزرج بالمدينة المنورة ، فقبلوا منه ما سمعوه وصدقوه ، وعادوا إلى المدينة مسلمين ينقلون دعوته ويبشرون القوم بصلاح أحوالهم ، ولم يلبث أهل المدينة أن عمهم الإيمان واستجابوا لداعي الله ، وجاء منهم إلى مكة في الموسم الثاني اثنا عشر رجلاً التقوا به ﷺ في العقبة وبايعوه ، وأعقبهم في الموسم الذي يليه وفد يتكون من ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين - وبايعوه ﷺ أيضاً في العقبة - وفيهم كعب بن مالك والبراء بن معرور وعرضوا عليه النصرة والخروج إلى المدينة ، فكان تعاهد فيما بينهم . وقال لهم ﷺ : « أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم »

وطلب منهم اثني عشر رجلا نقباء على قومهم ، فتقدم له منهم

تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس ، فقال لهم ﷺ : « أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومي » .

وهكذا انطلق الأنصار إلى المدينة يدعون إلى اتباع رسول الله ﷺ وينتظرون مقدمه .

في الطريق إلى المدينة:

في هذه الآونة أنزل سبحانه وتعالى على رسوله ﷺ بوحي يؤذنه بمحاربة المشركين حتى يؤمنوا ، وكان قبل ذلك لم يؤمر إلا بالدعوة لله ولدينه . أما الآن فقد أعطي صلاحية أكبر ليقاوم أعداء الدين وينتصر لأتباعه المؤمنين الذين نالهم الكثير من النفي والفتنة والتعذيب . . ، فقال جل شأنه : ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾ . .

وهنا أذن ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى إخوانهم الأنصار في المدينة المنورة ، فخرجوا في أوائل شهر المحرم أفواجاً وعلى حذر ، ومكث هو ينتظر أمر الإله ليلحق بهم هو أيضاً عليه أفضل الصلاة والسلام .

وفي الليلة التي اجتمع فيها كبراء قريش ومعهم أبو جهل يتآمرون على القضاء والتخلص من رسول الله ﷺ قبل خروجه من مكة ، واجتمعوا متربصين به أمام داره ليشتركوا في قتله، في هذه الليلة نزل إليه جبريل عليه السلام ليقول له : « لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه » فترك ﷺ ابن عمه « علي » ينام على فراشه متسجياً ببرده الأخضر ، وخرج ﷺ وفي يده حفنة من التراب ـ وهو يقرأ سورة يس إلى قوله تعالى : ﴿فأغشيناهم فهم لا

يبصرون﴾ . . ويضع التراب على رؤوس المتآمرين الواقفين عند داره وهم لا يرونه .

وقد ترك رسول الله ﷺ ما لديه من ودائع الناس عند علي بن أبي طالب ليؤديها لهم ثم يلحق به فيما بعد ، وفي ضحى اليوم كان ﷺ يدق الدار على صديقه أبي بكر رضي الله عنه ويقول له : إن الله قد أذن لي في الخروج إلى الهجرة ، فأجابه بفرحة : « الصحبة يا رسول الله . . إن هذين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا » . . واستأجر عبد الله بن أرقط ـ وهو مشرك ، وأسلماه الناقتين يقوم برعايتهما ثلاثة أيام ثم يأتيهما بهما إلى غار بجبل ثور ـ حيث قصدا بعد خروجهما من خوخة في ظهر البيت ، وقد أوصى أبو بكر ابنه عبد الله ليتسمع أقوال الناس عنهما ، ثم يأتيهما بالخبر ، وابنته أسماء تأتيهما بالطعام كل مساء ، ومكثا ثلاث ليال يترقبان ، وأخبرهما عبد الله بأن قريشاً في بحثها عن محمد ﷺ ـ قد جعلت مائة ناقة لمن يأتي به ، وجاءهما في اليوم الثالث ابن أرقط بالراحلتين وراحلة له يدلهما الطريق ، وقد صحب أبو بكر كل أمواله ، وأردف خلفه خادمه (عامر بن فهيرة) ليقوم بخدمتهما . واتخذ الأربعة طريقهم إلى المدينة ، وكانت قريش تجدُّ في البحث عن رسول الله ﷺ ، وخرج يتعقب الركب (سراقة بن مالك) ـ على خيله ـ ليحظى هو بالمائة ناقة . . وإنه ليهم أن يدرك الركب ـ وقد شاهدهم عن بعد ـ عثر خيله وسقط عنه ثم ساخت يداه في الأرض ، فاتعظ (سراقة) وراح يطلب الأمان ، حتى أذن رسول الله ﷺ أن يكتب له أبو بكر كتابا يكون آية بينهما .

وفي الطريق توقف رسول الله ﷺ ورفاقه عند خيمة أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية ، يطلبون شيئاً يشترونه ويتبلّغون به . . فلم يجدوا عندها شيئاً ، وكانت امرأة فاضلة تسقي وتطعم ، وكان

الجدب محيطاً بها في ذلك الوقت ، ولم ير ﷺ سوى شاة عجفاء ، فسألها عنها ، فقالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم . قال: هل لها من لبن ؟ قالت : هي أجهد من ذلك. قال : أتأذنين لي أن أحلبها ؟ قالت : نعم بأبي وأمي إن رأيت بها حلباً فاحلبها » ، فدعا بها عليه الصلاة والسلام ، ومسح بيده ضرعها وسم الله تعالى ودعا لها في شأنها ، فتفاجت عليه ودرَّت واجترت ، ودعا بإناء يريض الرهط[1] فحلب فيه ثجا[2] حتى علاه لبنها ، فسقاها حتى رويت وسقى أصحابه حتى رووا وشرب آخرهم ، ثم أراضوا . . وعاد يصب فيه ثانيا بعد بدء حتى ملأ الإناء وغادره عندها ، ثم بايعها على الإسلام ، وارتحلوا عنها ، فما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد ـ يسوق أعنزا عجافا ، فلما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال : من أين لك هذا يا أم معبد والشاة عازب حيال ولا حلوب في البيت ؟ قالت : لا والله إلا أنه مرّ بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا ، قال : صفيه يا أم معبد . قالت : رأيت رجلا ظاهر الوضاءة أبلج الوجه حسن الخلق لم تعبه تجلة ولم تزر به صعلة[3] وسيما قسيما في عينيه دعج وفي أشفاره وطف ، وفي عنقه سطع ، وفي صوته صحل ، وفي لحيته كثاثة ، أزج أقرن ، إن صمت فعليه الوقار وإن تكلم سماه وعلاه البهاء ، فهو أجمل الناس وأبهاهم من بعيد ، وأحسنهم وأجملهم من قريب ، حلو المنطق ، فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ، ربعة لا بأس من طول ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا ، له رفقاء يحفون

---

(١) أي يرويهم ويجعلهم يريضوا نقلا .

(٢) أي لبنا كثيرا .

(٣) التجلة : ضخامة البطن ، والصعلة : صغر الرأس .

به ، إن قال أنصتوا لقوله وإن أمر تبادروا إلى أمره ، محفود محشود[1] لا عابس ولا مفنَّد » . . قال أبو معبد : « هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة لقد هممت أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا » .

هذا ما رواه التاريخ بحديث بليغ وبيان مشرق يدلان على تأصل اللهجة الأدبية سليقة في ذلك القوم نثراً وشعراً . . وقد استمعنا إلى هذا الوصف البديع الدقيق على لسان امرأة . . فكيف ببلاغة الرجال ؟ إنهم ولا شك يبرهنون في خطبهم وشعرهم على الجزالة اللغوية والقوة البيانية مما كان سائداً من النهضة الفكرية في ذلك العصر عند مشرق الإسلام وبداية الإشعاع الهادي إلى الحق والنور والتوحيد . .

نعود إلى مسايرة ركب الرسول ﷺ وصحبه ، وكان قد أخذ مسيرته من أسفل مكة فإلى طريق السواحل ثم إلى وادي أمج بحرة بني سليم، فإلى الحرار بالقرب من الجحفة، فإلى رابغ، حتى وصل إلى قباء ظهر يوم الاثنين العاشر من ربيع الأول ، وقد كان بعض الأنصار عند علمهم بخروج النبي ﷺ من مكة - يخرجون إلى الحرة صباح كل يوم ، ونزل الصديق رضي الله عنه على أحد من بني الحارث ، وقد لحق بهما علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وأقاموا بقباء إلى يوم الخميس ،وقد أسس خلالها ﷺ - كما أشار له به عمار ابن ياسر - مسجد قباء ﴿أول مسجد أسس على التقوى﴾.

---

(۱) محفود محشود : بأصحابه المجتمعين عليه القائمين بخدمته . المفند : الذي يتكلم بكبر . .

في المدينة المنورة :

في صباح يوم الجمعة قصدوا المدينة ، فأدركتهم الصلاة عند قبيلة بني سالم في (وادي الرانوناء) فصلى بهم ﷺ الجمعة لأول مرة بالمدينة ، وانطلقوا إليها مستبشرين ، وكلما مروا بقبيلة ، تدعوه ﷺ للنزول عندها ، فكان يشير إلى ناقته ويقول : « خلوا سبيلها فإنها مأمورة» . حتى وصلت إلى دار بني مالك بن النجار، وبركت في المربد ـ المكان الذي يجفف فيه التمر ـ وهو للفلاحين اليتيمين سهل وسهيل إبنيْ رافع بن عمرو ـ كفلهما معاذ بن عفراء ، وقامت الناقة تمشي ، ثم عادت إلى مكانها فنزل عنها ﷺ ، واستقبله أبو أيوب خالد ابن زيد ، وحمل حاجاته إلى بيته ، وعندما سأل ﷺ عن الموضع الذي بركت فيه ناقته . أجابه معاذ : « هو يا رسول الله لسهل وسهيل إبني عمرو ، وهما يتيمان لي وسأرضيهما منه فاتخذه مسجداً » . . وهكذا أمر ﷺ صحبه والأنصار أن يبنوا معه مسجده ، ثم ابتني مساكنه التسعة بجواره ، وانتقل اليها ، وكان بناؤها الحجارة والطين وسقوفها من الجريد . .

هذه النقلة التاريخية من مكة إلى المدينة ، بهجرة رسول الله ﷺ كانت مرحلة انفصال بين عهد مضى بالجحود والضلال ، وبين عهد أقبل بالإيمان والإصلاح والانطلاق إلى كسب الحياة الكريمة الفاضلة حاضراً . . وإلى عزتها في اليوم الآخر . . ولقد كانت الفرحة الكبرى تشمل قلوب الأنصار والمهاجرين الذين أخذوا يتوافدون على المدينة ، وقد أسلمت كل أحيائها إلا قلة من قبائل الأوس ووائل وخطمة وأمية وواقف . . فقد ظلوا يترددون في شركهم ، وكتب رسول الله ﷺ بينهم واليهود وبين المسلمين كتباً بالعهد ـ حتى لا يعتدوا على أحد . .

ولقد استمر جبريل عليه السلام ينزل بالقرآن على رسول الله ﷺ بتشريع الدين الحنيف وآيات الحق وشرح أمور الناس . . والرد على اليهود والمشركين تبيانا لقوم يعقلون .

ونذكر هنا باقتضاب أهم حوادث سني الهجرة العشر على عهد رسول الله ﷺ إلى سنة رحيله إلى الرفيق الأعلى :

العام الأول :

أ ـ آخى ﷺ بين المهاجرين والأنصار .

ب ـ خطب رسول الله ﷺ أول خطبة في الإسلام بمسجد قباء .

جـ ـ بدءُ الأذان للصلوات .

د ـ جعلت صلاة الحضر أربع ركعات بعد أن كانت ركعتين .

هـ ـ دخل ﷺ بعائشة وعمرها تسع سنوات ، وكان قد عقد عليها في مكة وعمرها سبع سنوات .

و ـ حدثت غزوتا : الأبواء ، وودان .

العام الثاني :

أ ـ تزوج الامام علي رضي الله عنه بابنة رسول الله ﷺ فاطمة الزهراء رضي الله عنهما .

ب ـ توفيت بنت رسول الله ﷺ ـ زوجة عثمان بن عفان رضي الله عنه . وقد تزوج بأختها أم كلثوم في العام الثالث فسمي (ذو النورين) .

جـ ـ حدوث غزوات : بواط ، ذي العشيرة ، بدر الكبرى، بني قينقاع ، بني النضر ، بني قريظة ، السويق ، قرقرة الكدر .

د ـ إرسال سرايا : عبد الله بن جحش ، عمير بن عدي ، سالم ابن عمير.

هـ ـ فرضت زكاة الفطر وخطب ﷺ قبل العيد بيومين يعلمهاللناس ، وفرضت زكاة الأموال .

و ـ حولت القبلة إلى الكعبة بمكة ـ بعد أن كانت إلى بيت المقدس قرابة عام ونصف .

ز ـ فرض صيام شهر رمضان .

حـ ـ ضحى ﷺ بكبشين عنه وعن أمته . .

العام الثالث :

أ ـ إرسال سرايا : محمد بن سلمة ، زيد بن حارثة ، عبد الله بن أنيس.

ب ـ حدوث غزوات : بني سليم ، أنمار ، أحد ،حمراء الأسد .

جـ ـ استشهاد عم النبي ﷺ حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه مع شهداء أحد .

د ـ زواجه ﷺ بحفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، زواجه أيضاً بزينب بنت خزيمة . .

هـ ـ ولادة الحسن بن علي رضي الله عنهما ، ثم ولادة أخيه الحسين رضي الله عنه في العام الرابع .

و ـ نزول تحريم الخمر.

العام الرابع :

أ ـ حدوث غزوات : بني النضير ، ذات الرقاع ، بدر الأخيرة .

ب ـ صليت صلاة الخوف لأول مرة .

جـ ـ زواج النبي ﷺ بأم سلمة ثم بزينب بنت جحش .

د ـ نزول آية حجاب النساء .

هـ ـ إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضي الله عنهما .

العام الخامس :

أ ـ حدوث غزوات : دومة الجندل ، المريسيع ، الخندق ، بني قريظة .

زواجه ﷺ بريحانة بنت يزيد النضرية وبجويرية بنت الحارث .

جـ ـ إرسال سريتي : عبد الله بن عتيك ، أبي سلمة .

د ـ حدوث زلزلة في المدينة .

العام السادس :

أ ـ حدوث غزوات : بني لحيان ، الغابة ، ذي قرد ، بني المصطلق .

ب ـ إرسال سرايا : عكاشة ، محمد بن سلمة ، زيد بن حارثة ، علي بن أبي طالب ، ابن عوف ، عمرو بن أمية الضميري ، سلمة بن أسلم .

جـ ـ بيعة الرضوان ، أمر الحديبية .

د ـ فرض الحج .

العام السابع :

أ ـ كتابة الرسول ﷺ رسائله للملوك والحكام بدعوتهم للإسلام .

ب ـ حدثت غزوة خيبر .

جـ ـ زواجه ﷺ بصفية بنت حيي بعد أن أعتقها ـ وهي من غنائم غزوة خيبر .

د ـ أهديت له ﷺ ـ مارية القبطية والبغلة دلدل .

هـ ـ زواجه ﷺ بأم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب وميمونة بنت الحارث الهلالية .

و ـ إرسال سرايا : عمر بن الخطاب ، أبو بكر الصديق ، بشير ابن سعد ، ابن أبي العوجا ، غالب .

ز ـ اتخذ ﷺ خاتما باسمه لختم الكتب .

حـ ـ تحريم الحمر الأهلية ومتعة النساء .

العام الثامن :

أ ـ إرسال سرايا : كعب بن عمرو ، قطبة بن عامر ، عيينة بن حصين ، الخبط ، عمرو بن العاص ، أبي قتادة ، خالد بن الوليد ، الطفيل بن عمرو .

ب ـ حدوث غزوات : مؤتة ، الفتح لمكة ، حنين ، الطائف .

جـ ـ اتخاذ المنبر في المسجد النبوي والخطبة عليه .

د ـ مولد ابراهيم بن رسول الله ﷺ .

هـ ـ وفاة زينب ابنته ﷺ .

العام التاسع :

أ ـ إرسال سرية عكاش .

ب ـ حدثت غزوة تبوك .

جـ ـ حج أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالناس .

د ـ وفاة أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ .

العام العاشر :

أ ـ إرسال سرية خالد بن الوليد .

ب ـ حجة الوداع ، وكانت وقفتها الجمعة.

جـ ـ وفاة ابراهيم بن رسول الله ﷺ .

في اليوم الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة ، خرج رسول

الله ﷺ من المدينة إلى مكة قاصداً الحج ، وهي حجة الوداع التي فيها علم الناس مناسكهم ، وألقى خطابه التعليمي الجامع . ونزلت آخر آيات القرآن الكريم ، وقد أحس ﷺ بقرب لقائه ربه ، بعد أن أدى الأمانة كاملة وبلغ رسالة ربه إلى خلقه ، ووفّى كل ما عليه . .

وفاته ﷺ :

ولم يلبث ﷺ بعد عودته إلى المدينة بنحو شهرين أن مرض إثر ليلة زار فيها البقيع يستغفرللموتى فيه ويدعو لهم بطيب المقام ، وبقي في بيت زوجه عائشة رضي الله عنها تمرضه حتى اليوم الأخير . . يوم أن خرج ﷺ إلى الناس في الصباح ، وصلى جالسا إلى يمين أبي بكر الذي أمّ المسلمين ، وقد ابتهج الناس لمرآه ﷺ ـ لما كان يبدو عليه من نشاط وحيوية تتدفق في سمات وجهه النوراني . . ثم عاد إلى مقره ليستقبل الساعة الموعود بها ، فما أن اعتلت الشمس في الضحى ، حتى أسلم نفسه الأخير الطاهر ـ ورأسه الشريف في حجر زوجه عائشة ـ أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ، تلك العالمة الواعية الجليلة ، وكان اليوم هو الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول عام ١١ للهجرة . . أي في مثل اليوم الذي ولد فيه قبل ٦٣ عاماً .

وفي يوم الثلاثاء بعد الانتهاء من مبايعة الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه غسل رسول الله ﷺ ـ وعليه قميصه ـ وكفن في ثلاثة أثواب ووضع على سريره ، ثم دخل الناس جماعة جماعة يصلون عليه دون إمام ، ودفن في منتصف ليلة الأربعاء في بيته وبنفس المكان الذي قبضه الله فيه . .

وروت عائشة رضي الله عنها ، بأن آخر ما عهدته من رسول الله ﷺ قوله : « لا يترك بجزيرة العرب دينان » .

وقال شاعره حسان بن ثابت في مطلع إحدى قصائده التي رثاه بها ﷺ :

« بطيبة رسم للرسول ومعهد
منير وقد تعفو الرسوم وتهمد
ولا تمتحي الآيات من دار حرمة
بها منبر الهادي الذي كان يصعد
وواضح آثار وباقي معالم
وربع له فيه مصلى ومسجد
بها حجرات كان ينزل وسطها
من الله نور يستضاء ويوقد »

إلى أن يختتمها بقوله :

« وليس هواي نازعا عن ثنائه
لعلي به في جنة الخلد أخلد
مع المصطفى أرجو بذاك جواره
وفي نيل ذاك اليوم أسعى وأجهد »

وقد توفي ﷺ عن تسع من زوجاته ، وكان قد سبقته في الوفاة زوجتاه : خديجة ، وزينب بنت خزيمة - رضي الله عنهما - كما أن هناك زوجتين لم يدخل بهما هما : عروة بنت يزيد الطلابية وأسماء بنت النعمان الكندية فإنهما أعيدتا لأهليهما .

خطبة الجمعة .. دستور في سطور :

وخير ما نختم به هذا الفصل ، أن نأتي بخطبة رسول الله ﷺ في حجة الوداع بعرفات - لعظيم فائدتها . قال عليه الصلاة والسلام بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« أيها الناس اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً . . أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلّغت . . فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وإن كل ربا موضوع ، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، قضى الله أن لا رِبا ، وأن رِبا عباس بن عبد المطلب موضوع كله ، إن كل دم كان في الجاهلية موضوع ، وإن أول دمائكم أضع - دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مسترضعاً في بني ليث ، فقتله هذيل ، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية . . أما بعد - أيها الناس - فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ، ولكنه إن يطمع فيما سوى - فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم ، أيها الناس إن النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا ، يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله . فيحلوا ما حرم الله ، ويحرموا ما أحل الله ، وإن الزمان قد استدار يوم خلق السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم : ثلاث متوالية ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان . .

أما بعد أيها الناس . فإن لكم على نسائكم حقاً ولهن عليكم حقاً . لكم عليهن أ لاَّ يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، وعليهن لا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس قولي فإني بلّغت . وقد

تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمراً بينا كتاب اللهوسنة نبيه ، أيها الناس : اسمعواقولي واعقلوه ، تعلمنّ أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمنّ أنفسكم ، اللهم هل بلغت ؟ . . اللهم اشهد » .

قالها ﷺ عندما قال له الناس : « اللهم نعم » .

كان ﷺ أحرص ما يكون على أن يوجه الناس إلى التعلق بالروحية والثقة بدينهم . . دين الإنسانية ، لتطمئن نفوسهم بصِلاتها بالرب سبحانه وتعالى ، وتكون من طباعها دائما العطف والحب والفضيلة . . وهذا ما يفيض عن قوة الإيمان وصدقه ورسوخه.

قال تعالى وهو أصدق القائلين:

﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ . . وقال جل شأنه : ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾.

وقال عليه الصلاة والسلام : « من صلَّى علي صلاة واحدة صلّى الله عليه بها عشراً » . والله سبحانه أمر بالصلاة عليه في قوله تعالى : ﴿ إن الله وملائكته يصلّون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ .

فاللهم شفعه فينا وصل وسلم عليه بعدد خلقك ومخلوقاتك من الملائكة والإنس والجن والحيوان منذ خلقتهم حتى الأبد . .

بيوت الله جل شأنه

﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه﴾
« قرآن كريم »

المسجد النبوي الشريف :

حيث بركت ناقة الرسول ﷺ عند وصوله للمدينة في المربد أمام بيت بني النجار ـ كان يومئذ المسلمون يصلون فيه ، فقال عليه الصلاة والسلام : « هذا إن شاء الله تعالى المنزل » .

فابتاع الأرض وأنشأ عليها نزله ، وأصبح هذا موضع المسجد النبوي الشريف ، وهو عليه الصلاة والسلام ينقل ـ بنفسه اللبن في بنائه ـ ويقول :

« اللهم إن ا الأجر أجر الآخرة . فارحم الأنصار والمهاجرة » .

وقد رفع أساس المسجد بالحجارة ، وسقف بعضه بالجريد ، وعملت أعمدته من جذوع النخل ، وكانت القبلة إلى بيت المقدس بالمسجد الأقصى ، فكانت له ثلاثة أبواب : باب عاتكة المسمى فيما بعد : باب الرحمة ، وباب أبي بكر ـ إلى الغرب ، وباب آل عثمان إلى الشرق وهو الباب الذي كان يدخل منه ﷺ ، ولما تحولت القبلة إلى البيت الحرام أغلق الباب القبلي ، وبنى المسجد للمرة الثانية بعد فتح خيبر وزيد فيه ، وفتح باب في اتجاه الباب المغلق ، وكان عدد المسلمين آخذاً في الازدياد ، ولما اشتكى الصحابة من الحراوة ، سقف معظم المسجد بالجريد والجص حتى أنهم طينوه ، وبقيت الرحبة في

وسط المسجد ، وأصبحت مساحته مائة في مائة ذراع - أي ما يساوي (٢٤٧٥ متراً) مربعا وارتفاعه ٧ أذرع . قال رسول الله ﷺ :«ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة » . وقال : « الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة والصلاة في مسجدي بألف صلاة والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة . . ».

وبقي المسجد النبوي على حالته في عهد الخليفة الصديق أبي بكر رضي الله عنه لاشتغاله بالفتوحات الإسلامية وقصر مدته ، وزاد فيه الخليفة الفاروق عمر رضي الله عنه في عهد خلافته ، فبلغت مساحته (٣٥٧٥ مترا) مربعاً ، وافتتح فيه ثلاثة أبواب أخرى ، ثم زاد فيه الخليفة ذو النورين عثمان رضي الله عنه (٤٩٦ مترا) مربعاً ، وبنى جداره ، وجعل عمده من الحجارة المنقوشة وفيها الحديد والرصاص وسقفه بالساج . وبقي على هذا الوضع حتى زاد فيه الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ، فأرسل إلى عامله في المدينة : عمر بن عبد العزيز ، لشراء ما حول المسجد من الدور ، وإدخالها فيه وتعميره بأحدث ما توصل إليه ذلك العهد من وسائل ، وجيء له بالعمال من بلاد فارس ، كما أنه استورد منها للعمارة الفسيفساء والسلاسل للقناديل ، وقد أدخلت في المسجد حجرات الرسول عليه الصلاة والسلام وقبره الشريف ، وجُعل له عشرون بابا ، منها ثمانية في المشرق ، وبلغت مساحة الزيادة (٢٣٦٩) مترا مربعاً ، وجعلت العمد من الحجارة حشوها عمد الحديد والرصاص . وعمل العمال على حيطان المسجد قصوراً وأشجاراً من الفسيفساء ، وابتنيت الحجرة المقدسة على خمسة أركان ؛ ومما أدخل أيضاً من الدور في هذه الزيادة للمسجد : دار عبد الله بن مسعود ، ودار شرحبيل بن حسنة ، ودار

العباس بن عبد المطلب ، ودار مسعود بن مخرمة ، ودار مليكة بنت خارجة بن سنان .

وبنيت للمسجد أربع مآذن في كل ركن منه واحدة ، ولما كانت إحداها تطل على منزل مروان بن الحكم ، فقد أمر بهدمها سليمان بن عبد الملك عندما حج ونزل بالدار وأطل عليه المؤذن . .

وفي عام ١٦١ هـ زاد الخليفة المهدي ابن المنصور في المسجد من جهة الشمال (٢٤٥٠) مترا مربعاً ، وقد بقيت له المآذن الثلاث إلى عام ٧٠٦ هـ عندما أمر ملك مصر الناصر محمد بن قلاوون ببناء مئذنة رابعة وجدد بعضا من سقف رحبة المسجد ، ثم أمر بزيادة رواقين في المسجد من الجهة القبلية عام ٧٢٩ هـ ويومها كان أمير المدينة هوَ المنصور بن جماز . .

قبل ذلك ، وفي عام ٥٧٦ هـ بنى الملك الناصر لدين الله ـ قبة في صحن المسجد لحفظ ذخائره فيها : كالمصحف العثماني والنفائس التي تهدى له ، وهذه القبة هي التي بقيت سالمة عندما احترق المسجد ليلة أول رمضان في عام ٦٥٤ هـ من أثر شعلة نسيها موقد المصابيح ـ سببت امتداد الحريق إلى المسجد كله ، فجدده الخليفة المستعصم بالله بطلب من أمير المدينة جماز بن أبي فليتة ـ في أوائل عام ٦٥٥ هـ ، وقد ساعد في بعض مواد العمارة كل من الملك المظفر شمس الدين ملك اليمن ، وسلطان مصر نور الدين علي بن المعز أيبك الصالحي ثم الملك الظاهر بيبرس البندقداري ، وفي عهد هذا الأخير تمت العمارة . .

سقيفة الرصاص :

وهناك حدث هام وقع حول المسجد الشريف ، وتجلت معجزة

من معجزات النبوة ـ وذلك أنه في عام ٧٥٧ هـ وأمير المدينة : عطية ابن المنصور . . رأى السلطان نور الدين محمود بن زنكي في منامه ـ شخص رسول الله ﷺ يقول مشيراً إلى رجلين أشقرين : « أنجدني أنقذني من هذين » . فما كاد يستيقظ حتى دعا وزيره يقص عليه الخبر ويأمر بتجهيز الرواحل بمال كثير ، وخرجا يقصدان المدينةومعهم بعض الرجال حتى وصلوها بعد خمسة عشر يوماً . . وبعد أدائهم واجب الزيارة ، كلف السلطان من كتب له أسماء أهل المدينة ، ثم طلب إحضارهم يمنحهم المال ويتفحص وجوههم حتى لم يبق أحد ، فسأل عن غيرهم فأخبر بوجود رجلين مغربيين صالحين يتصدقان دائما والناس تثني عليهما ، فأمر بإحضارهما ، فإذا نفس الرجلين اللذين أشير إليهما في منامه ، فأبقاهما ، وذهب إلى منزلهما برباط قرب المسجد يفتشه ، فوجد بعض الكتب وخيمتين وأموالا تثير الشبهة ، وتنبه إلى حصيرة على الأرض ما إن رفعها إلا ووجد سرداباً عميقاً ، تبين أنه ينتهي إلى الحجرة الشريفة ـ الأمر الذي ارتاع له الناس ، فسخطوا على الرجلين ، وجلدهما السلطان حتى اعترفا بأن سلطان النصارى أغراهما بالمال وأرسلهما ـ وهما نصرانيان بزيِّ الحجاج المغاربة ـ بقصد نقل الجثمان الشريف من موضعه . .

وحكم عليهما السلطانِ فقتلا ، وأمر بأن يصب الرصاص حول الحجرة الشريفة ويسد به السرداب أيضاً.

ويعرف ذلك المكان بسقيفة الرصاص إلى الآن .

تجديدات أخرى :

في عام ٨٣١ هـ جدد الملك الأشرف برسباي ـ ملك مصر ـ الرواقين المحدثين جهة القبلة ، وفي عام ٨٥٣ هـ جدد الملك جمقمق ـ

سقف الروضة الشريفة وبعض السقوف التي تصدعت ، وفي عام ٨٧٩ هـ زاد الملك قايتباي (١٢٠) متراً مربعاً ، وقام بعمارة شاملة للمسجد من جدره وأعمدته إلى سقفه ومآذنه ، وعمل أيضاً الشباك الدائر على الحجرة النبوية .

وتعرض المسجد الشريف للمرة الثانية ـ إلى الاحتراق ليلة الثالث عشر من شهر رمضان عام ٨٨٦ هـ بسبب انقضاض صاعقة على المئذنة الرئيسية[١] ومات بها رئيس المؤذنين شمس الدين بن الخطيب عندما كان يؤدي أذان الفريضة ، كما توفي بعض الناس ، وقد امتد الحريق إلى جميع المسجد ، وأتى عليه كله فيما عدا الحجرة الشريفة والقبة التي في صحن المسجد وسلمت من الحريق الأول ، وكانت في مؤخرة المسجد خلوة لأمير المدينة ـ يومها ـ قسيطل بن زهير الجمازي وفيها كتبه ، فاحترقت أيضاً .

وعاد الملك قايتباي لتعمير المسجد الشريف مرة أخرى وأحدث في هذه العمارة بناية مئذنة باب الرحمة وتوسيع المحراب العثماني وإقامة قبة على رؤوس الأساطين فيما حوله ، وقبة فوق سقف الحجرة النبوية وبنى عليها قبة أخرى ؛ كما بنيت بين بابي السلام والرحمة مدرسة المحمودية المعروفة بهذا الاسم إلى اليوم ـ وقد هدمت أثناء التوسعة السعودية حديثاً وأدخل مكانها ضمن الباحة الواسعة بين البابين . .

وفي عام ٩٨٠ هـ قام بعمارة المسجد الشريف السلطان العثماني سليم الثاني ، ثم بنى السلطان محمود العثماني القبة الشريفة عام ١٢٣٣ هـ مربعة من أسفلها مثمنة من أعلاها ، وأمر بإصلاحها

---

(١) المئذنة الرئيسية هي التي تشاهد بمنظرها الحالي بجانب القبة الخضراء على غلاف كتابنا هذا . .

ودهانها باللون الأخضر عام ١٢٥٥ هـ ـ وكان قد كتب (داود باشا) شيخ المسجد النبوي عام ١٢٥٤ هـ إلى السلطان عبد المجيد العثماني ، يخبره بأن بعضا من جوانب المسجد يتهددها السقوط وأنه لم يعمر عمارة. ضخمة منذ نحو أربعمائة عام ، فأمر بتعميره بأقوى وأجمل الوسائل المحدثة . . وانتهت العمارة في عام ١٢٧٧ هـ وهي التي نراها اليوم بدقتها وروعتها ، وكانت الزيادة التي حدثت فيه (١٢٩٣) متراً مكعباً ، وأزيلت القبة التي في صحن المسجد وبنيت مئذنة باب المجيدي ، كما بنيت أطراف دكة الأغوات ، وعند تخفيض صحن المسجد تبين وجود بركة ماء كبيرة مبنية بالآجر والجص والخشب ، ولها درج من جوانبها ، والماء يتدفق من فوارة تأتي من مجرى العين الزرقاء ، فعمل لها المبنى الذي أزيل في العصر الحاضر .

وتضم هذه العمارة معظم المسجد الشريف ـ وهي ما تراه عليه الآن من الفخامة والزخرفة والفن قبل حدوث الزيادة من قبل الحكومة السعودية وعمارتها الجديدة للمسجد بين عامي ١٣٧٠ ـ ١٣٧٥ هـ هذه العمارة التي لا تقل روعة وعظمة عن سابقها في العهد العثماني . وتبلغ الزيادة الجديدة (٦٠٢٤) متراً مربعاً من (٢٢٩٥٥) متراً مسطحاً مساحة الأراضي للدور والأملاك التي انتزعت ملكيتها للتوسعة والشوارع والميادين حول المسجد الشريف ، وقد زيد أيضاً في أبوابه ، فبعد أن كانت خمسة أبواب : السلام ، الرحمة ، جبريل ، المجيدي ، النساء . . أصبحت عشرة ـ إذ زيد من بين بابي السلام والرحمة : (باب الصديق) وثلاثة أبواب متلاصقة باسم (باب سعود) ، ومن الشرق ثلاثة أبواب متلاصقة أخرى باسم (باب العزيز) ، ومن الشمال (باب عمر وباب عثمان) وبينهما (باب المجيدي) ، وقد أزيلت ثلاث مآذن ـ وبني بدلا عنها مئذنتان ارتفاع كل منهما (٧٠) متراً

تنتهيان بهلالين من الذهب الخالص .

والجدير بالذكر أنه كان قد أنشىء مكتب مختص لمشروع التوسعة يقوم فيه بالأعمال الفنية الإدارية والحسابيةوغيرها ما يزيد على خمسين موظفاً برئاسة مدير المكتب الأستاذ الفاضل الشيخ محمد صالح قزاز الذي ترأس فيما بعد مشروع توسعة الحرم المكي الشريف ، كما وقد أنشىء بمنطقة أبيار على مصنع خاص من أجل العمارة للأحجار الصناعية (المزايكو) وزود بالفنيين والآلات الميكانيكية وقد عمل فيه أكثر من أربعمائة عامل كما وقد استوردت أحدث الدوركترات والرافعات والسيارات الضخمة للعمل في العمارة التي بلغ مهندسوها أربعة عشر مهندساً ، معظمهم من المصريين ، وعمل فيها أكثر من مائتي صانع من جنسيات مختلفة ، أما السعوديون فكانوا يزيدون على (١٥٠٠) عامل ، وقد استغل ميناء ينبع حيث ترسو به البواخر التي تحمل مواد البناء من الأسمنت والحديد والأخشاب وغيرها . . بقي أن نذكر أن المقاول لهذه العمارة هو المعلم الشيخ محمد بن لادن[١] ، وقد أخذ أيضاً مقاولة عمارة المسجد الحرام ثم المسجد الأقصى ، وإنه لعمل جليل خالد تقوم به الحكومة السعودية في العناية ببيوت الله المقدسة[٢] .

وفي هذه التوسعة السعودية . . ثم العثمانية التي قبلها ضمت إلى المسجد الشريف والرحبات التي حوله ـ كثير من الأماكن المأثورة والمساكن الحديثة ـ يأتي ذكرها كلما جاء الحديث إلى موضع منها .

---

(١) توفي في حادث تحطم طائرته الخاصة سنة ١٣٨٢ هـ .

(٢) لقد جرى حصر جميع المساجد القديمة هنا ، وبدىء في تجديدها بشكل لائق ومشرف .

ومن الأحاديث الواردة في فضل المسجد النبوي ، قوله ﷺ : « من صلى في مسجدي أربعين صلاة لا تفوته صلاة كتبت له براءة من النار وبراءة من العذاب وبراءة من النفاق » .

وقوله : « من دخل مسجدي هذا لصلاة أو لذكر الله تعالى أو يتعلم خيراً أو يعلمه ـ كان بمنزلة المجاهد في سبيل الله تعالى ولم يجعل ذلك لمسجد غيره » .

مساجد مأثورة

مسجد قباء :

﴿ أول مسجد أسس على التقوى﴾ بناه رسول الله ﷺ في طريقه مهاجراً إلى المدينة ـ وهو شهير بموقعه المسمى به ، وقد أورد الترمذي في فضله عن أسيد بن حضير الأنصاري أن النبي ﷺ قال : « الصلاة في مسجد قباء كعمرة » .

مسجد الجمعة :

حيث أدركت صلاة الجمعة رسول الله ﷺ ببطن وادي الرانوناء المعروف ، وصلاها باعتبار أنها أول جمعة أداها بالمدينة ، فسمي بها وابتنى المسجد ، وموقعه شرق الطريق إلى مسجد قباء قرب بستان الجزع ، وقد جدد عمارته الملك المظفر بايزيد العثماني حوالي سنة ٩٠٠ هـ .

مسجد الفتح :

على منحدر من جبل سلع الواقع شمال غربي المدينة ، يقوم مسجد الفتح ؛ ويسمى أيضاً (مسجد الأحزاب) أو (المسجد

الأعلى) ، وفي موقعه كان ﷺ - أثناء غزوة الخندق - يدعو على الأحزاب حتى خذلهم الله وانهزموا . وقد بنى هذا المسجد الخليفة عمر ابن عبد العزيز . وفي أسفله من الجنوب يوجد مسجدان : مسجد سليمان - وقد جدده الأمير سيف الدين عام ٥٧٧ هـ . و(مسجد علي) وجدده أمير المدينة زين الدين ضيغم بن خشرم - عام ٨٧٦ هـ .

مسجد السقيا :

يقع عند بئر السقيا المعروفة باسم « العهد » بالقرب من باب العنبرية وموضع هذا المسجد الآن قبة يسمونها : قبة الرؤوس . .

مسجد القبلتين :

يقع شمال غربي المدينة ولا يبعد كثيرا عن بئر عثمان - رضي الله عنه وقد سمي مسجد القبلتين لأنه يروى أن رسول الله ﷺ صلى بأصحابه الظهر - والقبلة إلى بيت المقدس ، وما كاد يتم ركعتين حتى أمر بالاتجاه إلى الكعبة ، فاستدار إليها هو ومن كان معه . .

مسجد الزاوية :

يسمى أيضاً (مسجد ذباب) لوقوعه على جانب من (جبل ذباب) الواقع إلى يسار الداخل إلى المدينة من طريق الشام . .

مسجد الفضيخ :

يسمى أيضاً (مسجد الشمس) لوقوعه بمكان عال شرقي (مسجد قباء) حيث تطلع عليه الشمس أول ما تُشرق . وسبب تسميته بالفضيخ ، أنه لما حرمت الخمر - ووصل الخبر إلى أبي أيوب

مع بعض الأنصار ، وهم يعاقرون الخمر - ويسمونه أيضاً الفضيخ - دلقوه على الأرض . .

مسجد الإجابة :

روى مسلم في صحيحه من حديث لعامر بن سعد عن أبيه أن رسول الله أقبل ذات يوم من العالية حتى إذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلا ثم انصرف إلينا فقال :

« سألت ربي ثلاثاً ، فأعطاني اثنين ومنعني واحدة ، سألته ألا يهلك أمتي بالسنة (أي بالجدب) فأعطانيها وسألته ألا يهلك أمتي بالفرق فأعطانيها ، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها » .

لهذا سمي مسجد الإجابة ، وهو يقع شمال البقيع على يسار القاصد إلى وادي العريض بقرب قناة . .

مسجد العيد :

هو مسجد الغمامة المعروف بالمناخة ، وكان ﷺ قد صلى فيه أول عيد في العام الثاني للهجرة ، ولم يكن فيه بناء ، بل كان فضاء ، وهو يبعد عن المسجد النبوي بنحو نصف كيلومتر وإلى شمال (مسجد أبي بكر الصديق) رضي الله عنه ، ويليه (مسجد علي) رضي الله عنه .

وهذه أيضاً طائفة من المساجد العامرة :

مسجد بني ظفر :

يسمى أيضاً (مسجد البغلة) إذ يروى أن بغلة النبي ﷺ - ربطت هناك وتركت حوافرها أثراً في الحجر ، وهو يقع إلى طرف الحرة الغربية شرق البقيع . .

مسجد بني قريظة :

يقع شرقي مسجد الفضيخ ـ قريباً من الحرة الشرقية . .

مسجد أبي بن كعب :

مسجد أبي بن كعب : يسمى أيضاً (مسجد بني جديلة) ويقع إلى يمين الداخل من باب البقيع مباشرة غرب قبور عقيل وأمهات المؤمنين .

مسجد مشربة أم ابراهيم :

يقع في العالية شمال بني قريظة ، وسمي كذلك لأن (ماريا) أم ابراهيم ابن رسول الله ﷺ ولدته في المشربة وتعلقت بخشبة فيها حين جاءها المخاض . .

مسجد بلال :

يقع داخل مدرسة الخاسكية ـ وهي التي كانت تشغلها دائرة الإمارة وبعض دوائر الحكومة السعودية .

مسجد عمر :

يقع قبالة مسجد بلال .

مسجد جهينة . . ومسجد بيوت المطرفي . . يقعان غربي القلعة على (جبل عثعث) شرقي سلع ، وهما داخل السور القديم ، وقريبة منهما الآن ـ (المجزرة) القديمة التي تذبح فيها المواشي . .

وهذه أخيراً أسماء بعض المساجد التي اندثرت فلا تعرف إلا أنها أثر بعد عين : بني حارثة ، التوبة ، النور ، المنارتين ، بني واقف ، بني دينار ، الشيخين ، بني ساعدة ، بني خدرة ، الشجرة . . الخ . .

وتروي كتب التاريخ عن كثرة المساجد ، أن النبي ﷺ صلى في

٢٨ مسجداً في طريقه للحج إلى مكة في حجة الوداع .

المكتبات :

وخاتمة لهذا الفصل .. نذكر المكتبات الهامة في المدينة ، وكان أشهرها مكتبة شيخ الإسلام (عارف حكمت) التي عرفت باسمه ، وكان قاضياً للمدينة في النصف الثاني للقرن الثالث عشر ، وهي بالقرب من المسجد النبوي إلى شرقي القبلة وتحتوي على نحو (٥٥٠٠) كتاب معظمها مخطوط وذو أثر بعيد .. وهي في مختلف العلوم الفكرية والدينية والصناعية ، ثم مكتبة السلطان عبد الحميد الأول العثماني ، فمكتبة السلطان محمود العثماني فمكتبة بشير آغا فمكتبة المسجد النبوي . وغيرها .. وإننا نخشى أن يزداد بهذه المكتبات الإهمال ـ وقد فقد منها الكثير ، وخرجت منها نفائس جليلة لا تقدر بثمن ، وكم قد دعونا إلى توحيد هذه المكتبات مع ما يخلفه أعلام المدينة من مآثر ، ليضمها مكان واحد ينظم تنظيماً حديثاً وينتفع بما يحتويه من كنوز . ولعل في المسؤولين من يتنبه ويؤدي هذا الواجب الهام نحو الأمة والبلدة المقدسةوقصادها من كل صوب .

ولقد استجابوا حديثا ، وأقيمت بناية رائعة إلى قبلة المسجد النبوي لتضم بعض المكتبات الخاصة باسم « المكتبة العامة » . وإليها انتقلت (مكتبة الحرم) ـ كذلك[١] .

وبجوارها بنيت المحكمة الشرعية على أحدث طراز .

هذا وقد أنشئت مكتبة خاصة للمصحف الشريف ، ورجاؤنا أن تضم هذه المكتبة كل ما يتعلق بعلوم القرآن من التجويد والتفسير وغيرهما ..

(١) أنشىء حديثاً في المناخة مكتبة الملك عبد العزيز بالطراز المكتبي الجيد لتضم مكتبات المدينة .

أضواء على التاريخ

«جزيرة العرب»- في موقعها الجغرافي - جنوب غربي قارة آسيا أكبر قارات الدنيا ، والجزء الهام بها هو الحجاز .. ويقع منها في الشمال الغربي ، وسمي حجازا باسم الجبل الذي يفصل بين نجد وبين تهامة التي تمتد على ساحل البحر الأحمر ، وتبلغ مساحة الحجاز نحو ٧٠٠ ميل من شماله لجنوبه ، و٢٥٠ ميلا من شرقه لغربه ، ومعظمه جبال تتخللها الأودية والمدن والقرى، وبه سلسلة جبال السراة التي تمتد من الشام إلى اليمن . وأهم مدنه : « مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وجدة ، والطائف وينبع » . وتقع (المدينة المنورة) من الحجاز في وسطه تقريباً ، وترتفع عن سطح البحر بنحو مائتي متر ، والمسافة بينها وبين مكة ٣٠٠ ميل تقريباً ، وميناؤها ينبع ، وتبعد عنها بنحو ١٣٠ ميلا .. ومناخها رطب بارد في الشتاء جاف حار في الصيف ، ولكنه رقيق هادىء في أكثر أوقات السنة ..

وقد سميت الجزيرة - باسم العرب الذين اختلف المؤرخون في سبب تسميتهم بالعرب ، وهم من أولاد سام بن نوح عليه السلام ، فقيل إنهم لإعرابهم عما تكنه نفوسهم وفصاحتهم ، وقيل لأنهم أبناء أول من نطق العربية : يعرب بن قحطان - جد العرب العاربة الذين كانوا استوطنوا باليمن .. وهم قبائل عديدة تكاثرت وانتشرت في الجزيرة العربية . فمنهم مثلاً جفنة بن عمرو الذي سكن الشام وكان قد مر

على ماء غسان ـ فانتسب إليه ، وقيل لمن معه : الغساسنة .

والعرب البائدة ـ هم الذين مضوا واندرست معهم آثارهم وأخبارهم من قبائل عاد وثمود وطسم وجديس ، وغيرهم .. مع الطوفان المعروف على عهد النبي نوح عليه السلام ..

ثم كان العرب المستعربة ، وهم العذنانيون والإسماعيليون . وينتسبون إلى جدهم ـ اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام . فعدنان .. وقد سكنوا الحجاز وتوارثوا الحكم في مكة ، حتى كانت قبيلة قريش المنحدرة منهم بمكة ، وقد قويت وتكاثرت وحاربت بني ابن عمرو المعروف بخزاعة .. وكانوا قد حكموا الحجاز ثلاثمائة سنة ، وأدخلوا عبادة الأوثان في مكة ، وانتزعت منهم الحكم قريش سنة ٤٤٠ للميلاد ، وأول حكامها هو قصي بن حكم ، وبيده مفاتيح الكعبة .. وهو الجد الخامس لسيدنا محمد ﷺ .

ولما جاء الإسلام كانت قبائل مختلفة قد قطنت الحجاز أو نشأت فيه ، ومنهم : النزاريون وقضاعة وهذيل وغطفان وبني عذرة الذين منهم والدة الأوس والخزرج ـ واسمها قبلة بنت كاهد بن عذرة ..

وكانت قريش بمكة ذات اطلاع ومعرفة وتحضر ، ومثلها أيضا من كان بالمدينة المنورة والطائف ـ وفي بعض المدن ، وهم غير أولئك العرب الرحل من البدو الذين يضربون في الأرض ويبحثون عن الكلأ لمواشيهم فيقطنون حيث يجدونه ويطيب لهم المقام إلى حين..

وقد كان كثير من قريش يشتغلون بالتجارة ويسافرون بها إلى اليمن ـ شتاء وإلى الشام صيفا ، ثم امتدت إلى بلاد الحبشة وفارس والهند ، حتى لقد أصبحت مكة سوقا تجارية كبيرة تلتقي فيه مختلف الطبقات والقبائل ، وفيها تعرض منتجات تلك البلدان التي وردوا

منها ليكتسبوا مالا ومعرفة ، ومن عادات القرشيين الحسنة إكرامهم للضيف وتعاضدهم وتعاطفهم ، وهذا شاعر منهم يقول :

« يا أيها الرجل المحول رحله
هلا نزلت بآل عبد مناف
الآخذون العهد من آفاقها
والراحلون لرحلة الإيلاف
والخالطون غنيهم بفقيرهم
حتى يكون فقيرهم كالكافي »

وهناك أيضاً من العادات الذميمة عند العرب في الجاهلية ، إسراف بعضهم في بغض البنات ، حتى كانوا يئدونهن[1] إما للفقر أو الحرص على العرض . وتعاطيهم الخمر والربا وعبادة الأصنام ، بعد أن غيروا ما كان عليه الآباء من سنن لملة ابراهيم عليه السلام ، وإن كان بعض كبارهم من الشعراء أو الزعماء قد حرموا على أنفسهم تناول الخمر ، وقد لمسوا فيها المضرة ،و لكن الإسلام عندما جاء هذب ـ بوجه عام ـ من طباع العرب وبصرهم بسبل الهدى والصلاح ، ودفع عنهم الزيغ والضلال وهداهم إلى السنن الحميدة ، فكانوا الأمة التي شرفت بدعوة الدين السماوي الحنيف ، وقد نزل كتابه بلسانهم ، وحمله إليهم شريف قرشي ـ منهم ـ يدعوهم إلى التوحيد والفضيلة، وصبر عليهم ودعا لهم ، حتى عرفوا الحق واستناروا به وكملت مروءتهم وسمت نفوسهم . . فهم الأباة الصيد ذوو الشرف والكرامة . . وهم الحماة الفضلاء ذوو النبل والنخوة والعزة . . هؤلاء هم العرب الأمجاد الذين يعاصرون التاريخ بمراحله .

---

(١) الوأد : هو الدفن بالحياة.

قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل اختار خلقه ، فاختار منهم بني آدم ، ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب ، ثم اختار العرب ، فاختار منهم قريشاً ، ثم اختار قريشاً فاختار منهم بني هاشم ، ثم اختار بني هاشم ، فاختارني منهم ، فلم أزل خيارا من خيار ، ألا من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم ».

وقد خصت المدينة المنورة بعظيم دعاء إمام الهدى عليه أفضل الصلاة والسلام ـ لاحتفال أهلها به وتقديرهم لمكانته بينهم وتعاهدهم معه على نصرة دعوة ربه ، والجهاد معه لنشر أنوارها على العالمين . .

والمدينة المنورة بلاد كرمها الله وأعز فيها دينه ، وتساوت في الفضل بأم القرى « مكة المكرمة » التي بها الكعبة بيته العتيق والمسجد الحرام الذي فيه الصلاة بمائة ألف صلاة . . بل إن المدينة قد زادت في الفضل وهي البلدة الوحيدة التي افتتحت بالقرآن ولما عهدته من كثير دعاء رسول الله ﷺ لها بالحصانة والبركة والخير ، وما لاقاه فيها من النصرة والتأييد بين أهلها : أولئـك القوم من الأنصار الذين قال قائلهم : « بايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة ، ورثناها كابراً عن كابر . » وقال قائل منهم أيضاً : «فوا لذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك وما تخلّف منا رجل واحد وما نكره أن نلقى عدونا غداً » .

وقال عنهم رسول الله ﷺ : « لو أن الأنصار سلكوا وادياً أو شعباً لسلكت في وادي الأنصار ، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار » . .

هؤلاء البررة الطيبون هم أهل طيبة . . هذه البلدة الطاهرة

وقد أصبحت لرسول الله ﷺ ولصحابته الأعلام المجاهدين رضي الله عنهم ، واختصها عليه الصلاة والسلام بكل الميزات الحسنة ورغب في سكناها ودعا لمن عمل خيراً وأصلح فيها ، كما دعا على من أساء إليها أو أراد سوءاً بأهلها . .

وحرمها على الخبائث والأوبئة ، كما حرم فيها العنف والضر بمن فيها . . ومن أقواله ﷺ في ذلك قوله : « اللهم إن ابراهيم حرم مكة فجعلها حراماً ، وإني حرمت المدينة حراما ما بين مأزميها أن لا يراق فيها دم ، ولا يحمل سلاح لقتال ، ولا تخبط فيها شجرة إلا لعلف » .

وقوله : « ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس له من نقابها نقب إلا على الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات ، فيخرج الله كل كافر ومنافق » .

المدينة المنورة . . حرم رسول الله ﷺ . إنها معقل الإسلام ومنشأة الفتوحات وأول عاصمة للمسلمين ومصدر الحكم إلى العالم على زمن الرسول عليه الصلاة والسلام وخلفائه الراشدين الأربعة . .

أبو بكر الصديق :

هو عبد الله بن أبي قحافة رضي الله عنه ، يلتقي في النسب برسول الله ﷺ في جده السادس (مرة) وعناه ﷺ بقوله : « من سره أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبي بكر » . وقوله : « لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره » .

وقد كان من أعلم الصحابة ، ويعبر الرؤيا بصدق ، ويحفظ أنساب العرب ، كما كان هو وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يفتيان المسلمين ، وهو أول من جمع القرآن وسماه مصحفا . وقد قال رسول

الله ﷺ :« خصال الخير ثلاثمائة وستون خصلة إذا أراد الله بعبد خيراً جعل فيه خصلة منها يدخل بها الجنة ». قال أبو بكر : « يا رسول الله أفيَّ شيء منها ؟ » ، قال : « نعم جمعاً من كل ».

وفي أبي بكر ، قال حسان بن ثابت :

« إذا تـذكـرت شجـوا من أخي ثقـة
فـاذكـر أخـاك أبـا بكـر بمـا فعـلا
الـثـاني الـتـالي المـحـمـود مـشـهـده
وأول الـنـاس منهـم صـدّق الـرسـلا »

ولي الخلافة بعهد من رسول الله عليه الصلاة والسلام ، واشتغل بالفتوحات ، وتوفي في عام ١٣ هـ أي أنه لم يبق خليفة سوى سنتين وعمره ٦٣ سنة ، ودفن بجوار رسول الله ﷺ ، وممن رثوه : ضفاف بن ندية السلمي في قوله :

« إن أبـا بـكـر هـو الـغـيـث إذا
لم يـزرع الجـوزاء بـقـلا بمـا
تـالله لا يـدرك أيـامـه
ذومئـزر نـاش ولا ذو رِدا
مـن يـسـع كـي يـدرك أيـامـه
مجـتـهـداً شـذ بـأرض فـضـا »

عمر بن الخطاب :

كنيته الفاروق رضي الله عنه . . يلتقي نسبه برسول الله ﷺ في جده السابع (كعب) خلف الصديق في الخلافة . وقد كان الأول في اتخاذ بيت مال المسلمين ، وفي إرسال القضاة للبلدان ، وفي ضرب

شارب الخمر ثمانين جلدة ، وفي وضع القناديل بالمسجد ليلا ، وفي جمع الناس على التراويح ، وكان أروى العرب للشعر . وسن للمتحدثين الرواة التثبت في النقل ، وقد كثرت في عهده الفتوحات الإسلامية ، حتى وصلت إلى مصر وأنطاكية وأذربيجان وقنسرين ، وإلى غيرها . .

وفي عام ٢٣ هـ مات مقتولاً وعمره ٦٣ سنة ، قتله عبد للمغيرة ابن شعبة اسمه لؤلؤة المجوسي، وقد دفن رضي الله عنه بجوار سلفيه في الحجرة الشريفة حيث وضع رسول الله ﷺ ، ثم الخليفة الأول الصديق رضي الله عنه ، وها هو الفاروق الثالث رضي الله عنه ينضم إليهما . . وممن رثوه عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل في قولها :

« فجعتني المنون بالفارس المعلـ
ـم يوم الهياج والتأنيب
عصمة الدين والمعين على الد
هر وغيث الملهوف والمكروب »

الحجرة الشريفة :

ضمت أكرم الأجساد وجمعت بين رسول الهداية محمد بن عبد الله ﷺ وبين خليفتيه الأولين اللذين ترسما خطاه وفتحا البلدان والأمصار - بدعوة الدين الحنيف ووحدانية الله جل شأنه ، وهذه نبذة من تاريخ هذه البقعة الطاهرة - على أصحابها أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

كانت الحجرة الشريفة مبنية نحو نصف قامة عن سطح المسجد بالآجر على هيئة حظيرة ، ثم أقيمت عليها القبة الأولى سنة ٦٧٨ هـ

والتي أمر ببنائها والد الملك الناصر محمد بن قلاوون . . وهي مربعة من أسفلها مثمنة من أعلاها ، وقد عملت من الخشب وصب عليه الرصاص وطليت باللون الأزرق ، ثم جدد القبة حفيده حسن بن محمد بن قلاوون ، وجدد ألواح الرصاص ـ الأشرف شعبان والظاهر جمقمق عام ٧٦٤ هـ .

وفي سنة ٧٦٨ هـ وأمير المدينة نفير بن المنصور ـ عندما احترق المسجد للمرة الثانية ـ جدد بناء القبة حاكم مصر الملك قايتباي . وجعل بناءها على الحجرة الشريفة بالحجر الأسود ثم الأبيض ، وأصبح ارتفاعها ثمانية عشر ذراعا من الحجرة الى مركز هلال القبة، ثم بنى أيضاً في عام ٨٩٢ هـ على هذه القبة ـ قبة أخرى أكبر ، لها دعائم قوية حول الدائر المخمس ، ولكنها تشققت من أعاليها عندما كمل بناؤ ها فأعيد بإحكام أشد . واستورد لها الجير الأبيض من مصر ، وقد زينت بالنقوش وكتب عليها في الجهة الغربية (أنشأ هذه القبة الشريفة العالية المعترف بالتقصير الراجي عفو ربه القدير قايتباي) . . وفي أوائل القرن الثالث عشر الهجري تشققت بعض جوانب القبة فجددها السلطان محمود بن السلطان عبد الحميد العثماني في سنة ١٢٣٣ هـ وطليت باللون الأخضر بدلا من الأزرق الذي كانت تصبغ به في السابق ، وأصبح يجدد لونها الأخضر فيما بعد ـ كلما بهت بتأثير حرارة الشمس .

عثمان بن عفان :

ذو النورين ـ رضي الله عنه . يلتقي نسبه برسول الله ﷺ في جده الثالث (عبد مناف) . تولى الخلافة منتخباً من بين الستة الذين أوكل إليهم الأمر ـ الخليفة عمر الفاروق ، جمع القرآن وأمر بكتابته

كلا من زيد بن ثابت وإبان بن سعيد بن العاص ـ وذلك سنة٢٥ هـ وقد كتبت منه سبعة مصاحف أرسلها إلى مكة والبصرة والكوفة واليمن والبحرين والشام ، واستبقى واحدا في المدينة بالمسجد الشريف ، وهو أول من أمر بالأذان الأول في الجمعة قبل الخطبة . .

وقد ولَّى الكثير من بني أمية ، فكرِه ولايته بعضُ الصحابة ، واشتكى إليه أهل مصر من الوالي عليهم ، فلم ينتصف لهم منه ، فدسوا إليه من جاء وتآمر عليه في المدينة ، حتى حاصروه في بيته يطالبونه بتسليم كاتبه (مروان) الذي زور كتابا بختم الخليفة ـ ضبطوه موجها لوالي مصر يستحل به قتل أحدهم ، فأباه الخليفة عثمان عليهم ، فتسوروا عليه البيت ، وكانوا رجلين ومعهما محمد بن أبي بكر الذي دخل عليه ، ولما ذكره بأبيه خرج ،فدخل عليه الرجلان واشتركا في قتله رضي الله عنه ـ والمصحف في حجره ـ وذلك في شهر ذي الحجة سنة ٣٥ هـ وقد زاد عمره على الثمانين ودفن ببستان كوكب بالبقيع ، ومشهده معروف ، وممن رثوه كعب بن مالك في قوله :

« فكف يديه ثم أغلق بابه
وأيقن أن الله ليس بغافل

وقال لأهل الدار لا تقتلوهم
عفا الله عن كل امرىء لم يقاتل

فكيف رأيت الله صبَّ عليهم ـ
العداوة والبغضاء بعد التواصل ؟

وكيف رأيت الخير أدبر بعده
عن الناس إدبار الرياح الجوافل ؟ »

* * *

علي بن أبي طالب :

ابن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنهما . بايعه الناس بالخلافة ، كان النبي عليه الصلاة والسلام قد استخلفه على المدينة عند رحلته إلى غزوة تبوك . وكان أقضى أهل المدينة ، عرف بالشجاعة وقول الشعر . . ومن شعره قوله :

« ولاتـفش سـرك إلا إلـيـك
فـإن لـكـل نـصـيـح نـصـيـحـاً
فـإني رأيـت غـواة الـرجـا
ل لا يـدعـون أديمـاً صـحـيـحـاً »

سافر إلى العراق لرد كيد منافسيه (الزبير وطلحة) اللذين صحبا معهما السيدة (عائشة) وطالبوا بدم عثمان ، فكانت واقعة الجمل بالبصرة، وقد ذهب فيها نحو (١٣ ألف) قتيل من المسلمين . . فيهم الزبير وطلحة ، وخرج علي رضي الله عنه إلى الكوفة ، وجاء إليه معاوية بن أبي سفيان ومن معه بالشام ، فالتقوا بصفين سنة ٣٧ هـ فكانت (موقعة صفين) التي رفعَ فيها المصاحفَ أهلُ الشام خداعا ، فتوقف القتال ، واحتكم الطرفان ، وكانت مكيدة ، فخلع علي وبويع معاويّة ، وهذا في شعبان سنة ٣٨ هـ . إثر ذلك اجتمع نفر من الخوارج وانتدبوا منهم ثلاثة تعاهدوا في مكة على أن يقتلوا كلا من : علي ومعاوية وعمرو بن العاص في ليلة واحدة ، هي ليلة الجمعة السابع عشر من رمضان سنة ٤٠ هـ فعند خروج الإمام علي رضي الله عنه إلى صلاة الفجر اعترضه في الطريق ابن ملجم ، وأجهز عليه بالسيف فأصاب جبهته إلى دماغه ، فلم يلبث أن توفي ليلة الأحد ودفن بدار الإمارة في الكوفة ، أما ابن ملجم

المجرم ، فقد لقي جزاءه الصارم بأن قطعت أطرافه ثم أحرق بالنار . .

ومن رثوا علياً رضي الله عنه ، أبو الأسود الدؤلي . . . قال:

« ألا يا عين ويحك أسعدينا
ألا تبكي أمير المؤمنينا
وتبكي أم كلثوم عليه
بعبرتها وقد رأت اليقينا
ألا قل للخوارج حيث كانوا
فلا قرت عيون الحاسدينا
أفي شهر الصيام مجعتمونا ؟
بخير الناس طراً أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا
وذلّلها ، ومن ركب السفينا
وكل مناقب الخيرات فيه
وحِب رسول رب العالمينا
كأن الناس إذ فقدوا عليّاً
نعام حار في بلد سنينا
فلا تشمت معاوية بن صخر
فإن بقية الخلفاء فينا »

وعلى الرغم من الانقسام الشديد بعد ذلك على الخلافة ، فقد بايع أهلُ الكوفة الحسن بن علي رضي الله عنهما ، ولم يمكث نحوا من الستة أشهر حتى جاء إليه معاوية يتفاوض معه ، فطلب منه الحسن تسليم الأمر إليه ـ على أن تكون له الخلافة من بعده فاتفقا ، وسافر

الحسن إلى المدينة ، وما هي إلا أيام قلائل حتى مات مسموماً بيد زوجته جعدة بنت الأشعث ، وقيل بأن الذي أوعز إليها بذلك هو يزيد بن معاوية ، وقد دفن بالبقيع إلى جانب أمه فاطمة الزهراء رضي الله عنهما . .

وبذلك انتقلت الخلافة ومصادر الحكم من « المدينة المنورة » إلى الشام ، وابتدأت دولة بني أمية بولاية معاوية بن أبي سفيان عام ٤٠ هـ وتعاقب فيها على الخلافة أربعة عشر خليفة آخرهم : مروان بن محمد بن مروان بن عبد الملك الذي قتل في ذي الحجة عام ١٣٢ هـ . من قبل هذا التاريخ بعدة أشهر ، انتقلت الخلافة إلى بني العباس في العراق ، فوليها أولهم أبو العباس السفاح ، وتعاقب على دولة بني العباس ٣٦ خليفة ، آخرهم المستعصم بن المستنصر الذي خلعه بطش التتار سنة ٦٥٦ هـ.

وفي خلال هذه الفترة تعاقب الأمراء على المدينة ، وكانت الإمارة معها على مكة وحجر اليمامة ـ أيضاً ـ وهؤلاء الأمراء من العلويين ، ونذكر هنا ـ ما حصلنا عليه من أسمائهم مع أزمان إماراتهم . .

ولي إمارة المدينة فقط[1] في العهد الأموي أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ سنة ٤٠ هـ . وفي سنة ٤١ هـ وليها مروان بن الحكم . ثم وليها من سنة ٤٩ إلى سنة ٥٦ هـ سعيد بن العاص بن سعيد بن سعيد بن العاص . وبعده عادت الإمارة إلى مروان بن الحكم ، تلاه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان سنة ٥٧ هـ . ثم في سنة ٦٠ هـ وليها مع مكة

(١) استوفينا بقية أسماء بعض أمراء المدينة عن كتاب (أمراء المدينة وحكامها) للمرحوم السيد أحمد يّسين الخياري .

عمرو بن سعيد بن العاص ، ثم عادت إلى الوليد بن عتبة سنة ٦١ هـ ، جاء بعده عثمان بن محمد بن أبي سفيان سنة ٦٢ هـ ، ثم عبيد الله بن الزبير سنة ٦٤ هـ ، فجابر بن الأسود بن عوف سنة ٦٥ هـ ، وكذلك العباس بن سهل ومصعب بن الزبير ، وفي سنة ٦٨ هـ تولى جابر بن الأسود ، فطلحة بن عبيد الله بن عوف سنة ٧٢ هـ ، وكذلك طارق بن عمرو ، ثم الحجاج بن يوسف سنة ٧٤ هـ ، فأبان ابن عثمان سنة ٧٥هـ، ثم هشام بن اسماعيل المخزومي سنة ٨٢ هـ ، فعمر بن عبد العزيز سنة ٨٦ هـ ، فعثمان بن حيان سنة ٩٣ هـ ، ثم أبو بكر بن محمد بن حزم سنة ٩٦ هـ ، فعبد الرحمن بن الضحاك الفهري سنة ١٠١ هـ ألحقت له إمارة مكة سنة ١٠٣ هـ ، ثم وليهما سنة ١٠٤ هـ عبد الواحد بن عبد الله النضري ، فابراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي سنة ١٠٦ هـ ، فخالد بن عبد الملك بن الحارث سنة ١١٤ هـ ، فمحمد بن هشام بن اسماعيل المخزومي سنة ١١٧ هـ ، فيوسف بن محمد بن يوسف الثقفي سنة ١٢٥ هـ . فعمر بن عبد العزيز سنة ١٢٦ هـ . ثم عبد الواحد بن سليمان بن مروان سنة ١٣٠ هـ،فالوليد بن عروة بن محمد بن عطية السعدي سنة ١٣١ هـ ، فعيسى بن عروة سنة ١٣٢ هـ ، وكان هذا آخر من ولي على المدينة من حكام بني أمية . أما الولاة من قبل حكام بني العباس ، فهم : داود بن علي بن عبد الله بن العباس سنة ١٣٢ هـ ، فزياد بن عبيد الله الحارثي سنة ١٣٣ هـ ، فالعباس بن عبد الله ابن العباس سنة ١٣٦ هـ ، ثم عادت إلى زياد الحارثي سنة ١٣٧ هـ ، فمحمد بن خالد بن عبد الله القسري سنة ١٤١ هـ ، فرباح ابن عثمان بن حيان المري سنة ١٤٤ هـ ، ثم عبد الله بن ربيعة الحارثي سنة ١٤٥ هـ ، فجعفر بن سليمان بن علي العباس سنة

١٤٦هـ،فالحسن بن زيد بن الحسن العلوي سنة ١٥٠ هـ ، فعبد الصمد بن علي ـ عم المأمون ـ سنة ١٥٥ هـ ، فمحمد بن عبد الله الكثيري سنة ١٥٩ هـ ، وكذلك محمدبن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الجمالي ثم عادت إلى محمد الكثيري سنة ١٦٠ هـ ، وكذلك زفر بن عاصم الهلالي ، فجعفر بن سليمان العباسي سنة ١٦١ هـ ، فابراهيم بن يحيى بن محمد العباسي سنة ١٦٦ هـ ، فاسحق بن عيسى العباسي سنة ١٦٨ هـ ، فعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ـ حفيد عمر بن الخطاب ـ سنة ١٦٩ هـ ، فاسحاق بن سليمان العباسي سنة ١٧٠ هـ ، وكذلك عبد الملك بن صالح العباسي ، فمحمد بن عبد الله العباسي ، فموسى بن عيسى العباسي سنة ١٨٣ هـ ، فابراهيم بن محمد العباسي ، فعلي بن عيسى بن موسى العباسي ، فمحمد بن ابراهيم ، فعبد الله بن مصعب ، فمحمد بن علي ، فأبو البختري وهب بن منبة سنة ١٩٣ هـ ، وكذلك داود بن عيسى العباسي[١] ، فالحسن بن سهل سنة ١٩٨ هـ ، فهارون بن المسيب سنة ٢٠٠ هـ ، فحمدون بن علي سنة ٢٠١ هـ ، فعبد الله بن الحسن العلوي سنة ٢٠٤ هـ ، فصالح بن العباسي بن محمد سنة ٢٠٩ هـ ، فسليمان ابن عبيد الله بن سليمان سنة ٢١٤ هـ ، فمحمد بن صالح العباسي سنة ٢٢٩ هـ ، فمحمد المنتصر بن المتوكل سنة ٢٣٣ هـ (حاكم فخري) ، فصالح بن علي سنة ٢٤٦ هـ ، فعلي بن الحسن بن اسماعيل سنة ٢٤٧ هـ ، فمحمد بن عبد الله بن طاهر سنة ٢٤٨ هـ .

في عام ٢٥٠ هـ ـ تولى الإمارة اسماعيل السفاك بن يوسف الأحيصر ، أعقبه في عام ٢٦٥ هـ ،أبو عبد الله محمد بن يوسف ،

---

(١) هؤلاء الأمراء الأحد عشر الماضيين كانوا من قبل الخليفة هارون الرشيد.

وقد فتح اليمامة في آخر سني إمارته عام ٣١٦ هـ ، وتولى بعده محمد ابن يوسف الذي حارب القرامطة ، ولم يمكث سوى أربعة أعوام ، وولي بعده الحسن بن اسماعيل عام ٣٤٠ هـ ، ثم أبو جعفر أحمد بن الحسن ، وبعد هذا تولى أبو عبد الله محمد بن أحمد عام ٣٥٠ هـ ، ثم محمد بن أحمد وقد طرده القرامطة .

وفي عام ٥٨٣ هـ يبدأ أمراء على المدينة ـ الحسينيون ـ وأولهم عز الدين أبو فليتة القاسم بن مهنا الذي اشترك في الحرب مع البطل صلاح الدين عند بيت المقدس ، ثم خلفه في عام ٦٠٠ هـ سالم بن أبي فليتة القاسم(١) ـ وقد حارب (أبا عزيز) ـ شريف مكة ـ بعد سنة من ولايته الإمارة ، وظل حكم الحجاز للأشراف إلى القرن العاشر الهجري ـ بين الفوضى والفتن حيث وجدت الحكومة العثمانية الفرصة سانحة ليمتد نفوذها إلى البلاد المقدسة .

وكانت الخلافة قد انتقلت في سنة ٦٦٠ هـ إلى الأسرة العلوية بمصر ، بينما التتار وصلوا إلى بغداد بقيادة (هولاكو) . . ويرجع قيام هؤلاء التتار بحروبهم إلى أوائل القرن السابع ، وهم من سكان الصين يسجدون للشمس ، وهم ستة ممالك ، ومشهورون بالشر والغدر ، وكان يحكمهم (عفان الأكبر) ولم يكن له خلف ، فانقلب عليه (جنكيز خان) سلطان احدى الممالك متعاوناً مع رفيقه كشلوخان ، وانضم إليهما الكثير ، فاستولوا على الحكم ، ثم قصدوا إلى أرض الترك واستمروا في زحفهم العاصف يهلكون الناس كالحشرات ، ويدمرون الممالك ويستولون على حكم بخارى وسمرقند ، ثم زحفوا إلى عاصمة الحكم الإسلامي يومها في (بغداد)

---

(١) في الفصل التالي يأتي ذكر بقية أمراء المدينة المنورة .

فخدعوا حكامها واستولوا عليها . وهم في كل خطواتهم يريقون سيولا من الدماء الزكية وبما لم يعهد مثله في التاريخ من الوحشية وجنون التحكم ، فقد كانت سياستهم : « اقتل . . دمر»وفي ذلك قال تقي الدين بن أبي يسر :

« يا زائرين إلى الزوراء لا تفدوا
فما بذاك الحمى والدار ديار
تاج الخلافة والربع الذي شَرُفت
به المعالم قد عفاه إقفار
أضحى لعصف البِلى في ربعه أثر
وللدموع على الآثار آثار
يا نار قلبي من نارٍ لحرب وغى
شبت عليه ، ووافى الربع إعصار
على الصليب على أعلا منابرها
وقام بالأمر من يحويه زنار
وكم حريم سبته الترك غاضبة
وكم به دون ذاك الستر أستار
وكم حدود أقيمت من سيوفهم
على الرقاب وحطت فيه أوزار »

ثم قصد التتار إلى الشام ، وآنذاك كان قد سمع بهم المصريون ، فساروا إليهم في جيش عظيم بقيادة حاكمهم المظفر (ركن الدولة بيبرس) والتقوا بالتتار في « عين جالوت » ، فصدوهم وهزموهم شر هزيمة ، وبذلك انتصر المسلمون وراحوا يتعقبون ذلك الخطر المريع الداهم ، حتى أجلوا التتار عن بلاد العرب . .

وأصبح حكم الخلافة في مصر للدولة العلوية عام ٦٥٩ هـ في عهد الملك قلاوون . وأول خليفة هو المستنصر بالله أحمد ، ثم من بعدها للمماليك ، حتى أوائل القرن العاشر الهجري ـ حيث أصبح الحكم في مصر منذ سنة ٩٢٣ هـ تحت رعاية الدولة العثمانية التي كانت تسيطر على أجزاء كبيرة من بلدان أوروبا وآسيا ـ بما فيها بلاد العرب ـ إلى نحو أربعة قرون ونصف من الزمان ، حين أخذت شمس الإمبراطورية تميل إلى الغروب عام ١٣٣٤ هـ ، ثم أخذت تتخلص الأقطار الباقية من حكمها واحدة بعد الأخرى ، إبان الحرب العالمية الأولى ، وأهمها الحجاز ، حيث عاد إليه حكم الأشراف وأصبح الحسين بن علي ملكا عليه بعد أن دمر كل سلطة للأتراك بمساعدة الحجازيين . .

وكان الملك حسين أميراً لمكة من قبل الدولة التي أرادت وعملت على تتريك كل شيء، فسادت اللغة التركية في كل الأعمال وشؤون البلاد ، وقد وجد الفرصة ليعلن الحرب عليها وله سند من صداقة الانجليز أعداء تركيا ـ يومها ـ ومن مناصرة أهل الحجاز الذين انتظروا ذلك اليوم بفارغ الصبر ليقضوا على سلطات دولة مستبدة متقاعسة عن النهضة ببلادها .

ولقد كانت مطامع الملك حسين أكبر من أن تعقل في مثل ظروفه وهو يسعى للخلافة ، بل ولأن يحكم بلاد العرب قاطبة . .

حتى أن السلطان عبد الحميد العثماني قال يومها : « ولقد خرجت الحجاز من يدنا واستقل العرب وتشتت ملك آل عثمان بتعيين هذا الرجل ويا ليت أنه يكتفي بإمارة مكة واستقلال العرب فقط ولكنه يعمل بدهائه إلى أن ينال مقام الخلافة العظمى ».

ولكنها كانت أحلاما طائشة ، فلو اكتفى الملك حسين بملكه وبما نادى به من الوحدة العربية وتحرير فلسطين ، لفاز بموقفه الرائع وحصل على الثبات والتأييد .

قبل هذا التاريخ بنحو مائة عام جرت حوادث كانت المدينة المنورة مركزها أوقريبة منها ، وقد نالها منها نصيب ليس بالقليل .

فقد كانت السلطة على الحجاز للحكومة التركية ، ومصر تابعة لها ، وواليها عليها هو محمد علي باشا الكبير - وكانت هنا في الحجاز حركة دينية قامت للمرة الثانية من أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب القادمين من نجد للتوسع في الحكم لمحاربة المعتقدات الفاسدة والبدع الدخيلة على الدين - مما قد يوجد في كل عصر .

وكانوا مع أسرة آل سعود النجدية يناصر بعضهم بعضاً ، وامتدت حروبهم إلى كربلاء بالعراق والحدود السورية ، وأقاموا حتى بمكة وبالمدينة ، وما كانت هذه الحركة لترضى عنها تركيا ، فأوعزت إلى واليها على مصر : محمد علي باشا ، بأن يناوىء هذه الحركة ويخمد لهيبها ، فأرسل جيشاً من الألبانيين في (٨٠٠٠) جندي بقيادة ابنه طوسون ، جاؤوا في أسطول عن طريق البحر ، ونزلوا من ميناء ينبع متجهين إلى المدينة المنورة - وذلك سنة ١٢٢٧ هـ - وبين قريتي بدر والصفراء ، قاومهم الوهابيون وأتباعهم في معركة دامية ، فاضطروا إلى العودة إلى ينبع في اليوم الثاني وقد فقدوا (٥٠٠٠) جندي ، ولكن راح محمد علي يرسل بالنجدات إلى ابنه طوسون - مما عزز جيشه واستطاع أن يدخل عنوة المدينة المنورة ، ويقهر الوهابيين ويأخذ مفاتيح الحجرة الشريفة ثم يتجه إلى مكة عن طريق جدة فيلاقي الترحيب من الأمير الشريف غالب الذي سلمه مفاتيح الكعبة ، فبعث

طوسون بالمفاتيح كلها إلى أبيه محمد علي ـ بمصر وهذا أرسلها بدوره إلى الباب العالي التركي ، وطمأنهم برجوع الحرمين إلى حوزتهم ، وحاول طوسون أن يتعقب الوهابيين ويقضي على نفوذهم ، فهزموه في موقعة (تربة) بشرق مكة ، وخسر جيشه خسارة فادحة ، وتشجع سعود الثاني ـ آنذاك ـ وزحف على المدينة بجيشه واستولى عليها ، فلما علم محمد علي بذلك ، جاء هو بنفسه يؤدي فريضة الحج ، وقد عرف عدم ولاء الشريف غالب ، فقبض عليه وأرسل به إلى القسطنطينية ، وبقي محمد علي في مناورات متواصلة مع الوهابيين حتى سنة ١٢٢٩ هـ عندما توفي سعود الثاني ، وفقد به الوهابيون أكبر سند ، وخلفه ابنه عبد الله ، فاستمرت الحرب بينه وبين محمد علي الذي هزمه في موقعة عند (بيصل) سنة ١٢٣٠ هـ[1] ، وحدث في مصر من توقع هجوم الأتراك ـ مما اضطر محمد علي إلى العودة الى بلاده بعد أن عقد صلحاً غير متكافىء مع الوهابيين الذين ما لبثوا أن نكثوا هذا الصلح ، فبعث محمد علي جيشاً يحاربهم بقيادة ابنه إبراهيم باشا في شوال سنة ١٢٣١ هـ ووصل هذا الجيش ـ كالسابق ـ عن طريق ينبع إلى المدينة المنورة التي اتخذها ابراهيم باشا قاعدة حربية لجيشه . . وبعد أن هزمه الوهابيون عند (الريس) أصر على مقاومتهم وظل يجالد ، والإمدادات تصله لمدة سنة ، وهو يحاربهم حتى اقترب من (الدرعية) بالرياض قاعدة الوهابيين الرئيسية ـ على بعد ٤٠٠ ميل من المدينة المنورة ـ وحاصر (الدرعية) حتى قبض على عبد الله بن سعود ، وبعث به إلى والده بمصر ، حيث أكرمه هذا وأخذ منه ما كان قد استولى عليه من الحرم النبوي الشريف . ثم أرسله إلى الباب

---

(١) في هذا العام كان حاكم المدينة المنورة (المحافظ) بصري باشا والسلطان في أنقرة (محمد رشاد) ابن السلطان عبد المجيد خان .

العالي التركي الذي تمرغ فيها بعد ، في وحل الهزيمة الساحقة ـ مع مطلع القرن الرابع عشر الهجري .

ومما مر بالحجاز من أحداث في تلك الفترة ـ وبالمدينة خاصة ـ ما ننقله بالنص لأهميته عن كتاب [أمراء المدينة المنورة وحكامها] لصاحبه المغفور له السيد أحمد يسين الخياري ـ وهو من أعلام هذه البلدة الطاهرة ـ قال :

« فأول شخص من آل عثمان حظي بهذه النعمة ـ وهي الخلافة على سائر المسلمين ـ هو السلطان سليم خان العثماني ، فبعد أن استولى على القطر المصري كله في عام ٩٢٢ هجرية بعث إليه شريف مكة المكرمة وأميرها الشريف بركات إبنه إلى مصر ومعه مفاتيح سلمه إياها وقال له نيابة عن والده الشريف بركات : إن هذه المفاتيح هي مفاتيح الحرمين الشريفين ، ففرح بها السلطان سليم خان فرحاً شديداً وأجازه على ذلك وأكرمه إكراماً عظيماً وثبت والده الشريف بركات في إمارة مكة المكرمة والمدينة المنورة وجعله شريكا لوالده في هذه الإمارة عليهما . والسلطان سليم خان هذا هو الذي ملك مصر والشام والحجاز واليمن وسائر أقطار العرب ، وبعد أن تم له هذا كله خطب خطابه الرسمي في القاهرة فقال على حد تعبيرهم إذ ذاك : (خاقان البرّين والبحرين وخادم الحرمين الشريفين) . فقام السلطان سليم من صفه الأول في المسجد وصعد إلى المنبر بنفسه وألبس الخطيب قائل هذه الكلمات (كركه) الذي كان يلبسه[1] .

وأجاز الخطيب بعد انتهائه من الخطبة بجائزة مالية عظيمة

---

(١) الكرك : جبة صوف داخلها شعر بعض الحيوانات ، من صنع أنقرة ، يلبسها بعض العظماء للتدفئة والتزين كنوع من المفاخرة .

مغرية . وكان من نظام الدولة العثمانية أن مكة المكرمة يحكمها أمير من الأشراف القرشيين ومعه حاكم آخر دونه في الرتبة تركي الجنسية يسمى (الوالي) ولعل الوالي هذا كالجاسوس على إمارة مكة المكرمة يرى أحوال الأمير العامة والخاصة بنفسه عن كثب ويأتمر بأمره وينفذ مراسيمه ويخبر عنه أولا بأول الدولة العثمانية في خطابات خاصة وعامة رسمية وسرية إلى الآستانة (استانبول) دار السعادة أو دار الخلافة العظمى الإسلامية . وقاضي مكة المكرمة يجب أن يكون تركياً من إستانبول من دار مشيخة الإسلام لا تزيد مدته المقررة عن عام واحد فقط فيرحل ويأتي غيره ، وهناك الجيش العثماني التركي والعربي بقوادهم تحت رعاية الوالي التركي وكذلك البوليس برجاله وقواده وهم أصحاب الأمن العام في البلاد ، وقل في جدة مثل ذلك غير أن حاكمها العام يسمى القائمقام .

أما في المدينة المنورة فالقاضي الشرعي تركي الجنسية ولا يحكم أكثر من عام واحد ويستبدل بغيره ، والقسم العسكري « الدفاع والأمن العام » الذي كان يسمى إذ ذاك ، قيادة البوليس منهم تحت رعاية الحاكم العسكري العام وكان يسمى إذ ذاك محافظ المدينة المنورة وهذا المحافظ بفروعه ودوائره تحت عناية ورعاية شخص ديني كبير السن دائماً وأبداً يسمى شيخ الحرم الشريف النبوي ، وهو في حكم أمير المدينة المنورة وحاكمها العام المطلق ، وهو الذي يخابر الخليفة العثماني رأساً في إستانبول ويشترط فيه أن يكون من أهل العلم الشرعي وأن يكون قد تقلب في القضاء الشرعي مدة لا يستهان بها ثم عمل مدة أكثر في مشيخة الإسلام بإستانبول وأن يكون بطبيعة الحال يتقن اللغة العربية اتقانا تاما وأن يكون قد تجاوز الثالثة والستين من العمر وله الدار الكبرى لنفسه ولموظفي دائرته والدار الصغرى بجانبها لعائلته

وللخدم الذين لا يعدون ولا يحصون ، وله المكان المختص به في الحرم الشريف النبوي ويسمى (دكة شيخ الحرم الشريف النبوي) وله الراتب الكبير الذي يتفق مع راتب الصدر الأعظم بإستانبول أي رئيس الوزراء وشيخ الإسلام بها وهذا الشيخ الجليل تعرض عليه مشاكل البلاد فيعقد مجلساً رسمياً مرة واحدة في الإسبوع بعد صلاة الجمعة في منزله الكبير ويسمى (مجلس الإدارة) وهذا المجلس يحضره محافظ المدينة المنورة وقائد البوليس (الأمن العام) ورئيس البلدية ومفتو المذاهب الأربعة (الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي) على أن يتقدم الجميع المفتي الحنفي ويعتبر المفتي الحنفي هذا هو شيخ علماء الحرم الشريف النبوي الذي كانت مكانته إذ ذاك مكانة الجامعة الإسلامية، والسبب في ذلك أن المذهب الحنفي هو مذهب الخلافة العظمى ، وكما يحضره ـ أي المجلس الإداري هذا ـ قاضي المحكمة الشرعية الكبرى ومدير الخزينة الجليلة أي مدير إدارة الحرم الشريف النبوي » . ا. هـ .

كنا عرفنا أن الملك حسين بن علي قد استخلص البلاد المقدسة من الحكم العثماني ثم ساسها سياسة حكيمة ولكنها كانت تفتقر إلى الوعي والتبصر بالأمور البعيدة أيضا . . فبالرغم من رخاء العيش الذي ساد البلاد ونشاط المدارس الأهلية الجديدة ، إلا أنها كانت أموراً حساسة تنتظر التطور والاندفاع مع طليعة الجيل الصاعد ـ ليس في الحجاز وحده ، بل في معظم البلدان العربية .

وكان هناك في نجد ، أميرها عبد العزيز آل سعود ـ يجمع حوله القبائل ويتابع الحركات السياسية لحكم الحجاز ـ ويتهيأ الفرص للتوسع في حكمه بمساعدة تلامذة الشيخ محمد عبد الوهاب ، وهو

يدعو إلى توحيد العرب وإلى أن تستقر أقطارهم عن التفرقة والفوضى والتنازع . .

وبعد أن كان السلطان عبد العزيز آل سعود ، قد أيد الملك حسين سنة ١٢٣٠ هـ في حربه للأتراك ، أصبح منافسه بسبب التطورات التي كانت في صالحه ، وخسر الملك حسين جولته ، وأخذ حكمه في التقلص .

ثم وجد السلطان عبد العزيز ، الطريق بعد موقعة « تربة » الدامية بالطائف ـ قد افتتح أمامه ليستمر في زحفه ، وهو يجد في سياسته الهادئة من يقره عليها . . وتتفق مع الأوضاع حوله . . ويلاقي من الترحيب ما يشجعه على التقدم .

وهكذا تم له أن يحكم الحجاز ونجداً ، ثم يضم إليهما الإحساء وعسيرا ، وتصبح هذه المناطق الأربع تكون « المملكة العربية السعودية » التي كان عهده فيها عهد تأسيس ، وبعد وفاته وانتقال الملك إلى ابنه الأكبر بدأ عهد آخر للنهضة والتقدم بمرافق البلاد في إتجاهات كانت محدودة . . حتى ولي الملك (الفيصل) الباني الذي أخذ عهده يزدهر بالمملكة ككل . . ونرجو لها أن تشتمل قطاعات الحياة بمجموعها ، وقد توفرت فيها الموارد الاقتصادية وتضاعف استثمار الزيت ومنتجاته[١] . . والعالم اليوم كله تجاه نهوض شامل وفي كل جانب .

هذا رقد ولي إمارة المدينة المنورة مع بداية الحكم السعودي ـ

---

(١) أعطي امتياز التنقيب عن البترول لشركة أرامكو سنة ١٣٥٨ هـ ، وبمرور الأيام تزايد إنتاج الزيت حتى بلغ خلال الثلث الأول من العام الحالي ١٩٧٢ م = ٥٤٣٥ مليون برميل يوميا ، بزيادة قدرها ٢٥,٧٪ عن العام الماضي .

الأمير محمد بن عبد العزيز ، وكان قد جاء موفداً من والده ليتسلمها من قائد الحامية العسكرية عبد المجيد باشا ومن وكيل الإمارة الشريف أحمد بن منصور ، وقد تعاقب بعد ذلك وكلاء للأمير على المدينة . . فوليها وكيل الأمير ابراهيم السبهان ـ من جمادى الأولى سنة ١٣٤٤ هـ وإلى جمادى الآخرة سنة ١٣٤٥ هـ ـ حيث وليها وكيل الأمير مشاري حتى ربيع الأول سنة ١٣٤٦ هـ ، ثم تولى عليها وكيل الأمير عبد العزيز بن ابراهيم ـ إلى شهر صفر سنة ١٣٥٥ هـ ، حيث تولى وكيل الأمير عبد الله السديري ـ حتى وفاته في شهر شعبان ١٣٧٩ هـ فتولاها بعده ابنه عبد الرحمن ، إلى أن صدر الأمر الملكي وأسندت إمارة المدينة المنورة إلى شقيق الملك الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٨٥ هـ ، وفي سنة ١٣٧٨ هـ عين الأستاذ ناصر بن سعد السديري وكيلا للإمارة . والجدير بالذكر هنا أن سمو الأمير عبد المحسن بن عبدالعزيز ـ أديب ممتاز ويعي مسؤوليات هذا البلد الطاهر ، وهو يواصل جهوده لإظهاره بالمظهر اللائق بمكانته تمشياً مع إرادة عاهل المملكة للتقدم الشامل بكل مدينة وقطر[1] .

(١) ١٤٠١ هـ حيث أعد هذا الكتاب للطبع للمرة الثالثة. يجب أن نشير إلى القفزة الهائلة التي تحدث اليوم في المملكة للتقدم في جميع مجالات الحياة ومسايرة التطور العالمي في إطار معتقداتنا الإسلامية الخالدة .

من أحداث المدينة وأعلامها

« الشعر في الجاهلية ، موقعة بدر ، موقعة أحد ، الخندق ، انتقال الخلافة ، رفض البيعة ليزيد ، موقعة الحرة ، تعمير المساجد ، الخليفة عمر بن عبد العزيز ، الغناء والترف ، الأدب والولاة والفقهاء والأمراء ، بقية الأعلام عبر القرون » .

الشعر في المدينة المنورة هو طبيعة حاضرها الأول منذ عهد الجاهلية ومبدإ الإسلام ، وكأنما هي الفطرة التي فطر القوم عليها ، وليس أدل على ذلك من الخبر الذي يقول بأن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

« قدم علينا رسول الله ﷺ وما في الأنصار بيت ـ إلا يقول الشعر » .

وإن غالبية هذا الشعر ، ليقال في شؤون البلاد السياسية منها والاجتماعية . وفي أحداثها وحروبها وفي المساجلات الجميلة . في الفخر والشجاعة والكرم . وفي المديح والهجو والغزل وتتسم بعض القصائد بالطابع القصصي ، كما أن معظمها من الشعر القوي البليغ الذي يكشف عن فن اللغة وروائعها التي لم تتوفر لغير العربية . أو ليست هي لغة كتاب السماء : القران ؟! . .

وإنهم لكثيرون هؤلاء الذين كانوا يقولون الشعر من العرب في الجاهلية ، وعندما جاء الإسلام وآمنوا بالهدى ، تطورت شاعريتهم وترقرقت بصفاء العقيدة ، وهي تدعو إلى دين الله ، وتشيد به وبصاحب الرسالة الأعظم عليه الصلاة والسلام . . تصور الوقائع

والحرب بين المسلمين والمشركين . . بين فتوحات الإسلام وانهزام الضلال ، حتى تحققت إرادة الله وانتشر الدين الإسلامي إلى أكبر مساحة كانت معروفة من الدنيا في تلك العصور .

ونبدأ هنا لنتعرف على بعض الصور من الحياة الأدبية مع بداية تاريخ الإسلام في البلد الطاهر الذي شع منه الهدى وغمر العالم بفيض خيره وروحانيته .

كانت المدينة المنورة العاصمة الأولى للدولة الإسلامية من زمن رسول الله ﷺ وأصحابه الخلفاء الراشدين الأربعة ـ رضوان الله عليهم . .

ففي السنة التي ولد فيها ﷺ ، كان (أبرهة) ملك الحبشة ، قد أراد تشتيت وحدة العرب المتمثلة في الكعبة المشرفة وإخضاعهم بهدمها بما جاء به من جيش وأفيال ، ولكن الله ردهم خاسرين ، وانتصر لبيته الحرام ، فكانت الطير ترميهم بالحجارة ، فيولون هاربين . وفي ذلك قال شاعر من المدينة هو أبو قيس بن الأسلت ـ يعني أبرهة :

« فولى وأدبر أدراجه
وقد باء بالظلم من كان لم
فأرسل من فوقهم حاصبا
يلفهم مثل لف القزم
تحض على الصبر أحبارهم
وقد ثأجوا كثؤاج الغنم »

وقال قيس بن الخطيم ـ يفتخر بموقعة تغلّب فيها الأوس على الخزرج :

« ونحن الفوارس يوم الربيع
قد علموا كيف فرسانها
رددنا الكتيبة مفلولة
بها أفنها[1] وبها دانها
وقد علموا أن متى نبعث
على مثلها تذك نيرانها »

وهو أيضاً القائل :

« وإني في الحرب الضروس موكل
بأقدام نفس ما أريد بقاءها »

ومن لون الفخر هذا ، يقول عمرو بن الاطنابة :

« أبت همتي وأبى بلائي
وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وإقحامي على المكروه نفسي
وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت
مكانك تحمدي أو تستريحي
لأدفع عن مآثر صالحات
وأحمى بعد عن عرض صحيح »

وفي تساؤل فلسفي يقول أحيحة بن الجلاح :

« وما يدري الفقير متى غناه
وما يدري الغني متى يعيل ؟

---

(١) الأفن ، هي : الناقة .

وما تدري وإن ألقحت شولا
أتلقح بعد ذلك أم تحيل ؟

وما تدري وإن دمرت سقباً
لغيرك أم يكون لك الفصيل ؟

وما تدري وإن جمعت أمراً
بأي الأرض يدركك المقيل ؟»

وعلى عهد رسول الله ﷺ نستمع إلى أبي قبيس صرمة بن أنس ـ من بني النجار ـ وهو شاعر شيخ كان راهباً ثم أسلم ـ نستمع إليه يدعو الناس إلى دين الهدى ـ فيقول :

« سبحوا الله شرق كل صباح
طلعت شمسه وكل هلال

عالم السر والبيان لدينا
ليس ما قال ربنا بضلال »

ويقول في قصيدة أخرى :

« فأوصيكم بالله والبر والتقى
وأعراضكم والبر بالله أول

وإن قومكم سادوا فلا تحسدنهم
وإن كنتم أهل الرسالة فاعدلوا »

وفي موقعة بدر كانت هناك مناورات شعرية . وتفاخر بين المسلمين والمشركين ، فمن ذلك مثلا ، قول إصرار بن الخطاب ـ من بني محارب ـ في قصيدة :

« عجبت لفخر الأوس والحين دائر
عليهم غدا ، والدهر فيه بصائر

وفخر بني النجار إن كان معشر
أصيبوا ببدر كلهم ثم صابر
فان تك قتلى غودرت من رجالنا
فإنا رجال بعدهم سنغادر »

فيجيبه كعب بن مالك ـ من بني سلمة ـ بقصيدة يقول فيها :

« وقد حشدوا واستنفروا من يليهم
من الناس حتى جمعهم يتكاثر
وسارت إلينا لا تحاول غيرنا
بأجمعها كعب جميعاً وعامر
فلما لقيناهم وكل مجاهد
لأصحابه مستبسل النفس صابر
شهدنا بأن الله لا رب غيره
وأن رسول الله بالحق ظاهر
فكب أبو جهل صريعاً لوجهه
وعتبة قد غادرته وهو عاثر
وشيبة والتميمي غادون في الوغى
وما منهم إلا بذي العرش كافر »

موقعة بدر :

وموقعة بدر ـ حدثت في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة ، وقد خرج رسول الله ﷺ من المدينة في اليوم الثامن منه بعد أن أوكل من يصلي بالناس : (عمرو بن أم مكتوم) أخا بني عامر بن لؤي ـ وبينما هو في الطريق أرجع للمدينة (أبا لبابة) واستعمله عليها ، وفي بدر تشاور الرسول ﷺ مع أصحابه حتى اختاروا فيها مكانا هو أدنى

ماء لجيش قريش المتربص خلف كثيب بين بدر والعقنقل ـ وهم يزيدون على الألف ـ بينما كان المسلمون نحو الثلاثمائة والأربعة عشر رجلا ، وعندما رأى ﷺ قريشاً مقبلة ، رفع طرفه إلى السماء وقال : « اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها ، تحادك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني ، اللهم أحنهم الغداة » ـ أي أهلكهم .

وأرادت فئات من قريش الرجوع عن الحرب ، إلا أن أبا جهل ابن هشام ، أصر عليها ، وفي يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان ، خرج إلى الميدان أول واحد منهم ، وهو الأسود بن عبد الأسد المخزومي يقول : « أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه » .

وخرج إليه عم رسول الله ﷺ ـ حمزة بن عبد المطلب ـ وبضربة سيف أطار إحدى رجليه فراح الأسود يزحف إلى الحوض ليبر بيمينه فعاجله حمزة رضي الله عنه بضربات أهلكته . ثم برز ثلاثة من كبار قريش : عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد ، وطلبوا أن يخرج إليهم من هو كفؤ لهم ، فبرز إليهم بأمر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وعمه حمزة وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم ، فما لبثوا أن صرعوا مبارزي قريش ـ ولم يصب إلا عبيدة بضربة جرحته ، ومن ثم بدأ زحف الفريقين على بعضهما البعض ، ورسول الله ﷺ يلزم (العريش) الذي عمل له ومعه الصديق رضي الله عنه ، وكان يخرج بين كل حين وآخر لينظم صفوف أصحابه ويرشدهم . . وهو يدعو ربه بالنصر ، وذلك بعد أن رمى ـ وهو يستقبل قريشاً ـ حفنة من الحصباء وهو يقول : « شاهت الوجوه » . ثم أمر أصحابه أن يشدوا على العدو ، وقد اشتركت الملائكة في هذه الموقعة للدفاع مع

المسلمين ـ كما يروى عنه ﷺ ـ وشهده بعض القوم ، وقال الإمام علي ابن أبي طالب رضي الله عنه : « العمائم تيجان العرب وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء قد أرخوها على ظهورهم إلا جبريل فإنه كانت عليه عمامة صفراء » . وروي أن الملائكة كانت تشهد المواقع لإظهار كثرة المسلمين ولم تقاتل إلا في موقعة بدر ـ كما أوضحنا . ولقيت قريش الهزيمة المنكرة ، فهرب رجالها بعد أن خسروا في المعركة (٧٠) قتيلا و(٧٠) أسيرا بينما الذين استشهدوا من المسلمين كانوا أربعة عشر رجلا من الأنصار والمهاجرين . .

ولقد كانت هذه النصرة للمؤمنين تؤكد ثقتهم بدينهم ، وتشجعهم على أن يخوضوا غمار الحروب وهم أشد قوة وأقوى عزيمة . .

وفي ذلك قال حسان بن ثابت عدة قصائد ، ومنها قوله :

« لقد علمت قريش يوم بدر
غداة الأسر والقتل الشديد
بأنا حين تشتجر العوالي
حماة الحرب يوم أبي الوليد »

وقال في موضع آخر :

« ألا ليت شعري هل أتى أهل مكـ
ـة إبادتنا الكفار في ساعة العسر
قتلنا سراة القوم عند مجالنا
فلم يرجعوا إلا بقاصمة الظهر
فكم قد قتلنا من كريم مرزإ
له حسب في قومه نابه الذكر

تـركـنـاهـم لـلـعـاديـات يـنـبـنـهـم
ويـصلون نـاراً بـعـد حـامـيـة الـقـعـر
لعمـرك مـا حـامـت فـوارس مـالـك
وأشيـاعهم يـوم الـتقينـا عـلى بـدر »

ولقد ظل حسان رضي الله عنه يقول الشعر في معظم الغزوات والفتوحات الإسلامية . . إما مفاخراً أو مؤرخاً أو راداً ـ على شعراء المشركين . .

موقعة أحد :

في العام الثالث للهجرة كانت موقعة (أحد) يوم السبت الخامس عشر من شوال ، حيث قدم جيش كبير لقريش ، يطلب الثأر مما قد أصابهم من قتل كبارهم في عام مضى ـ جاء هذا الجيش في ثلاثة آلاف رجل بقيادة أبي سفيان بن حرب ، ومعهم بعض النساء ، وفيهم خالد بن الوليد قائد الميمنة ، وعكرمة بن أبي جهل قائد الميسرة ، وقد نزلوا بالقرب من جبل أحد . .

وكان النبي ﷺ يتشاور مع أصحابه في الخروج إلى هؤلاء المشركين المرابطين بالحدود ، حتى قر رأيه على أن يحاربهم ، فخرج يوم الجمعة ومعه ألف رجل من أصحابه ، إلا أنه في منتصف الطريق نقص منه : عبد الله بن أبي بن سلول ـ ومعه نحو ثلاثمائة رجل منافق ، وعادوا إلى المدينة ، وواصل الرسول ﷺ وصحبه حتى عسكروا في الشعب بسفح (أحد) . . وفي اليوم التالي ، وقد كانت دواب جيش العدو ترعى في مزارع للمسلمين ـ مما أثار الحمية في نفوسهم فتأهبوا للقتال ، وأعطى ﷺ سيفه لبطل من صحابته هو أبو دجانة سماك بن خرشة الذي كان إذا نزل في ساحة قتال ـ اعتصب

بعصابة حمراء وتبختر في مشيته . . وقد تقدم من قريش وهو يقول :

« أنـا الـذي عـاهـدني خـليـلي
ونـحـن بـالـسـفـح لـدى الـنـخـيـل
ألا أقـوم الـدهـر في الـكـبـول
أضـرب بـسـيـف الله والـرسـول »

وقد عرف عنه أنه لا يلقى أحداً إلا قتله . . والتحم الجيشان . . وكان من كبار القادة المؤمنين : حمزة بن عبد المطلب وعلي ابن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وغيرهم رضي الله عنهم ـ وقد استشهد حمزة رضي الله عنه ، قتله عبد حبشي ـ اسمه وحشي ـ مولى جبير بن مطعم الذي حرضه وأغراه بالعتق إن هو قتل حمزة رضي الله عنه ـ ووحشي هذا أسلم فيما بعد ، وهو الذي قتل مسيلمة الكذاب ، فقيل عنه في ذلك بأنه قتل خير الناس ـ بعد النبي ﷺ ـ وقتل شر الناس . .

وقد أصيب ﷺ في هذه الموقعة بالحجارة عندما انكشف المسلمون ، وقد أتاهم العدو من خلفهم ، فروعهم ، وكانت إصابة الرسول ﷺ من يد عتبة بن أبي وقاص وعبد الله بن شهاب الزهري وابن قمئة ـ فشج في جبهته وكسرت رباعيته اليمنى والسفلى ، وجرحت وجنته وشفته السفلى ، فكان ﷺ يقول : « كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم ؟؟ » فنزل عليه جبريل عليه السلام بكلام الله سبحانه : ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾ .

وفي ذلك قال حسان بن ثابت :

« فأخزاك الله يا عتيب بن مالك
ولقاك قبل الموت احدى الصواعق
بسطت يمينا للنبي تعمدا
فأدميت فاه .. قطّعتَ بالبوارق »

ولقد بلغت الوحشية بالمشركين أن تركوا نساءهم يمثلون بالشهداء من المسلمين ، وقالت هند بنت عتبة ـ في هذا أبياتا منها :

« شفيت من حمزة نفسي بأحد
حتى بقرت بطنه عن الكبد
أذهب عني ذاك ما كنت أجد
من لذعة الحزن الشديد المعتمد »

ولكن هندا بنت أثاثة بن عبد المطلب ردت عليها تقول :

« خزيتِ في بدر وفي بعد بدر
يا بنت وقاع عظيم الكفر
صبحك الله غداة الفَجر
ملها شميين الطِّوال الزهر
بكل قطاع حسام يفري
حمزة ليثي ، وعلي صقري
إذا رام شيب وأبوك غدري
فخضبا منه ضواحي النحر
ونذرك السوء فشر نذر »

لقدكانت هذه الموقعة درسا كبيرا ـ لمخالفي القيادة الحكيمة ، وكان ﷺ قد أمر خمسين من رجاله بقيادة عبد الله بن جبير الأنصاري أن لا يتركوا مكانهم لحماية ظهور المسلمين في الجبل ، وقال لهم :

« إذا رأيتمونا غنمنا فلا تشاركونا ، وإن رأيتمونا نقتل فلا تحضرونا » وكان دورهم هو رشق الخيل بالسهام لأنها لا تقوى على مواجهة النبل .

ولكن هذه الحامية ما كادت ترى نصر المسلمين وانهزام قريش حتى دار حوار بينهم انتهى بأن ترك أكثرهم مواقعهم ونزلوا إلى جمع الغنائم ، وكان قائد المشركين يومها خالد بن الوليد فتحين الفرصة وانقض بجيشه مع رفيقه عكرمة بن أبي جهل ـ فقتل قائد الرماة ابن جبير ـ واضطرب الحال واختل ميزان القوى فكان ما كان .

ولقد أسفرت المعركة عن استشهاد سبعين رجلا من صحابته ﷺ بينما قتلى المشركين كانوا اثنين وعشرين رجلا ، وقد أنزل الله وحيه على رسوله الكريم ﷺ ـ يعزيه في مصاب المسلمين بقوله تعالى : ﴿أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين﴾ إلى قوله سبحانه : ﴿وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ، وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين . .﴾ والآيات كثيرة في هذا المقام .

ولقد أمر رسول الله ﷺ ـ بدفن حمزة بن عبد المطلب وعبد الله ابن جحش ـ رضي الله عنهما ـ في قبر واحد . وقد قيل الكثير في رثاء حمزة رضي الله عنه . . ومنه قول كعب بن مالك من قصيدة :

« لقد هددت لفقد حمزة هدة
ظلت بنات الجوف منها ترعد
ولو أنه فجعت حراء بمثله
لرأيت رأسي صخرها يتبدد

عـم الـنـبـي محـمـد وصـفـيـه
ورد الحـمـام فـطاب ذاك المـورد
وأتى المـنـيـة مـعـلما في أسـرة
نـصـروا الـنـبـي ومـنهـم المسـتـشـهـد »

مواقع أخرى :

في العام الرابع الهجري في شهر صفر الخير جاء المدينة أبو براء عامر بن مالك من أهل نجد ، فدعاه ﷺ إلى الإسلام ، فلم يقبل ، وما بعد عنه ، ولكنه طلب من رسول الله ﷺ ، أن يرسل من أصحابه إلى القوم في نجد ، علهم يستجيبون لدعوة الإسلام ، فخشي ﷺ من ذلك ، ولكن أبا براء أجابه : « أنا لهم جار » . ولذا أرسل عليه الصلاة والسلام نحو سبعين رجلا من خيار المسلمين ، ونزلوا في نجد عند (بئر معونة) وأرسلوا كتاب دعوة النبي ﷺ - إلى أمير القبيلة الباغي عامر بن طفيل - فما كان منه إلا أن قتل الرسول واستعدى فئات من قومه يقاتلون هذه البعثة الطاهرة ، فأبيدت عن آخرها ، وما نجا سوى كعب بن زيد ، فقد وجد جريحا بين القتلى . . وهكذا استشهد هؤلاء الصحابة الكرام رضي الله عنهم . . وفيهم يقول حسان بن ثابت :

« عـلـى قـتـلى مـعـونـة فـاسـتـهـلي
بـدمـع الـعـين سـحـا غـير نـزر
عـلـى خـيـل الـرسـول غـداة لاقـوا
مـنـايـاهـم ولاقـتـهـم بـقـدر
أصـابهـم الـفـنـاء بـعـقـد قـوم
تخـون عـقـد حـبـلهـم بـقـدر »

ولكن هذا الاستشهاد الجماعي لم يتكرر بعد تلك الموقعة ، فقد كانت غزوات الرسول ﷺ تلاقي النصر تلو النصر .

* * *

وفي شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة كانت (غزوة الخندق) عندما جاءت كبار قبائل قريش في مكة بعشرة آلاف مقاتل لتحارب رسول الله ﷺ ، فما أن سمع بهم حتى أمر بحفر خندق عظيم حول المدينة ، من جانبها السهل المفتوح ، وكان ﷺ يعمل مع أصحابه في الحفر ليالي وأياما ، وكانوا ثلاثة آلاف مسلم ، نقص قليل منهم وتراجعوا عن المشاركة في هذا العمل الجليل للجهاد في سبيل الله ، وبقي جيش قريش محصوراً أياماً ، إلا أنه استطاع بعض رجالهم أن يقتحموا جانباً من الخندق بخيولهم ، ولكن منهم من هرب ومنهم من لاقى حتفه على يد الإمام علي كرم الله وجهه ويدِ غيره من كبار الصحابة الأجلاء ، ولقد أرسل الله على جيش قريش ريحاً زمهريراً تقلب آنيتهم وتقتلع خيامهم - كما أنه دب الخلاف فيما بين قبائلهم حتى فضلوا الرحيل والرجوع من حيث جاؤ وا ، وقد قتل منهم ثلاثة رجال واستشهد من المسلمين ستة أفراد .

وكالمعتاد . . فقد قيل شعرٍ كثير في ذلك ، وهذا قول كعب بن مالك من قصيدة له :

« ألا أبـلغ قـريـشـاً أن سـلعـا
ومـا بـين الـعـريض إلى الـصـمـاد[1]

(١) سلع والصماد : جبلان بالمدينة ، العريض : واد معروف ، الخوص : الآبار ، المرار : نهر ، البردى : نبات تصنع منه الحصر .

نـواضـح في الحـروب مـدربـات
وخـوص ثـقـبـت مـن عـهـد عـاد

رواكـد يـزخـر المـرار فـيـهـا
فـليـسـت بـالجـمـام ولا الـثـمـاد

كـأن الـغـاب والـبـرديّ فـيـهـا
أجش إذا تـبـقـع لـلحـصـاد »

* * *

ومما قيل في (موقعة خيبر) في محرم من السنة السابعة للهجرة ـ قول أبي زيدٍ الأنصاري :

« قـد عـلـمـت خـيـبـر أني كـعـب
وأنـني مـتـى تـشـبُّ الحـرب

مـاضـي الهـول جـريء صـلـب
مـعـي حـسـام كـالـعـقـيـق عـضـب

بـكـف مـاض لـيس فـيـه عـتـب
نـدكـكـم حـتـى يـذل الـصـعـب »

وقال حسان بن ثابت في قصيدة له :

« بـئـسـما قـاتـلت خـيـابـر عـما
جـمـعـوا مـن مـزارع ونـخـيـل

كـرهـوا المـوت فـاسـتـبـيـح حمـاهـم
وأقـروا فـعـل الـلئـيـم الـذلـيـل

أمـن المـوت يهـربـون فـإن المـ
ـوت مـوت الهـزال غـيـر جمـيـل »

* * *

وفي منتصف السنة الثامنة للهجرة لما كان القتال في (غزوة مؤتة) من قرى الشام ـ قال عبد الله بن رواحة في وداعه للرسول ﷺ من قصيدة له :

« أنت الرسول فمن يحرم نوافله
والوجه منه فقد أزرى به القدر
فثبت الله ما آتاك من حسن
في المرسلين ونصرا كالذي نصروا
إني تفرست فيك الخير نافلة
فراسة خالفت فيك الذي نظروا »

وقال جعفر بن أبي طالب وهو يقاتل في هذه الموقعة التي قتل فيها :

« يا حبذا الجنة واقترابها
طيّبة ، وبارداً شرابُها
والروم روم قد دنا عذابها
كافرة بعيدة أنسابها
عليّ إذْ لاقيتها ضرابها »

وقد قتل أيضاً الشاعر ابن رواحة ، وكان يقول وهو في المعركة ـ ويعني في البيت الثاني من سبقاه في الاستشهاد : جعفر وابن حارثة :

« يا نفس إلا تُقتلي تموتي
هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت
إن تفعلي خيراً فقد هديت »

* * *

في شهر رمضان من السنة نفسها ، خرج رسول الله ﷺ بجيش كبير من المسلمين لفتح مكة التي استسلمت بعد لأي ، وكان البطل خالد بن الوليد قد استعمل القتال في قيادته للسرية التي دخل بها من إحدى جوانب مكة بأسفل تهامة ، وفي أيام الفتح هذه أزيلت الأصنام من حول الكعبة ، وكانت تتساقط بإشارة من الرسول ﷺ وهو يردد : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » ، وفي ذلك قال تميم بن أسد الخزاعي :

« وفي الأصنام معتبر وعلم
لمن يرجو الثواب أو العقابا »

وقال حسان بن ثابت في فتح مكة - من قصيدة له :

« ألا فاصبروا لجِلاد يوم
يعين الله فيه من يشاء
وجبريل رسول الله فينا
وروح القدس ليس له كفاء
شهدت به فقوموا صدقوه
فقلتم لا نقوم ولا نشاء
وقال الله قد سيرت جندا
هم الأنصار عرضتها اللقاء
لنا في كل يوم من معد
سباب أو قتال أو هجاء
فنحكم بالقوافي من هجانا
ونضرب حين تختلط الدماء »

ومن بديع ما قيل في الغزوات الاسلامية قصيدة شاعر النبي ﷺ

ـ حسان بن ثابت ـ ذاكراً الوقائع ، بجملتها ـ فقال :

« ألستُ خير معد كلّها نفرا
ومعشرا إن هم عمُّو وإن حصلوا
قومٌ همُ شهدوا (بدراً) بأجمعهمْ
مع الرسول فما ألوا وما خذِلوا
وبايعوه فلم ينكث به أحدٌ
منهم ولم يك في إيمانهم دَخل
ويوم صبحهم في الشعب من (أحد)
ضرب رصين كحر النار مشتعل
ويوم (ذي قرَد) يوم استثارهم
على الجياد فما خاموا وما نكلوا
و« ذا العشيرة » جاسوها بخيلهم
مع الرسول عليها البيض والأسل
ويوم (ودان) أجلوا أهله رقصا
بالخيل حتى نهانا الحزن والجبل
وليلة طلبوا فيها عدوهم
لله ، الله يجزيهم بما عملوا
وغزوة (يوم نجد) ثم كان لهم
مع الرسول بها الأسلاب والنفل
وليلة (بحنين) جالدوا معه
فيها يعلمهم بالحرب إذ نهلوا
وغزوة (القاع) فرقنا العدو به
كما تفرق دون المشرب الرّسل

ويوم بويع كانوا أهل بيعته
على الجِلاد فآسوه وما عدلوا
وغزوة (الفتح) كانوا في سريته
مرابطين فما طاشوا وما عجلوا
ويوم (خيبر) كانوا في كتيبته
يمشون كلهم مستبسل بطل
بالبيض ترعش في الإيمان عارية
تعوج في الضرب أحيانا وتعتدل
ويوم سار رسولُ الله محتسباً
إلى (تبوك) وهم راياته الأول
وساسة الحرب إنْ حربٌ بدت لهم
حتى بدا لهم الإقبال والقفل
أولئك القوم أنصار النبيِّ وهم
قومي أصير إليهم حين أتصل
ماتوا كراماً ولم تنكث عهودهم
وقتلهم في سبيل الله إذ قتلوا »

* * *

وهكذا كان الشعر يساير الحوادث ، وظلت المدينة المنورة ـ عاصمة الاسلام ـ تسير منها الوفود والجيوش تفتتح البلدان وتنشر الدعوة الإسلامية ، ومنها يعيِّن الأمراء والحكام لبعض تلك البلدان . . وعندما انتقل رسولنا الأعظم عليه أفضل الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى ، وأراد بعض الناس أن يمتنعوا عن دفع الزكاة ـ قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : « والله لو منعوا عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لحاربتهم عليه » . فحارب المرتدين حتى عادوا إلى ما كانوا عليه .

وسارت حكومات الخلفاء الراشدين على نفس السنن الذي كان في عهد المشرع الأول سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، وقد كانت حياته في السنوات العشر بالمدينة حياة كفاح وجهاد بأسمى معانيها ، فما كان ليستقر شهراً أو آخر ، حتى يخرج إلى غزوة أو موقعة ، ويبعث بالرسل إلى ملوك وحكام الأقطار الأخرى ، يدعوهم إلى دين الإسلام ويرسل لهم من يعلمهم تشريعاته وأصولها .وقام من بعده الخلفاء الأربعة يستكملون رسالة الفتح والدعوة المقدسة . إلّا أنه منذ انتقال الخلافة والحكم من (المدينة المنورة) قبل منتصف القرن الأول للهجرة . . أخذت الفتن والقلاقل يلاحق بعضها بعضا .

وكانت ولاية يزيد بن معاوية ، أشأم فترة مرت في تاريخ هذه البلدة الطاهرة ، وقد أرسل إليها يزيد يطالب أهلها لمبايعته بالخلافة فرفضها الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير ، رضي الله عنهما ؛ وسافرا إلى مكة وتشاورا ، فكان أن بقي عبد الله بمكة ، ولحق الحسين يلبي نداء أهل الكوفة في العراق ، وهناك بعث يزيد إلى واليه بالعراق ـ عبد الله بن زياد ـ يأمره بمحاربة الحسين وأتباعه من أهل بيته والصحابة ، وتخلى عنه أهل الكوفة ، وسار إلى كربلاء ودارت رحى المعركة بينه وبين القوى الباغية ، فاستشهد رضي الله عنه مقتولا في كربلاء ، وقتل معه ستة عشر رجلا من أهل بيته في اليوم العاشر من محرم سنة ٦١ هـ وصادف يومها كسوف الشمس ، وبقيت آفاق السماء محمرة ستة أشهر ، وكانت لموقعة قتله مأساة مؤلمة ألهمت الكثير من الكتاب والشعراء ، وأوجدت فئة تتشيّع له وتحتفي باللطم كل عام في يوم استشهاده ـ إلى يومنا هذا ـ وتسمى (الشيعة) وهي تخالف في الكثير من الشرائع الإسلامية بالتقاليد المتناقضة التي اخترعتها .

وفي عام ٦٣ هـ عندما سمع يزيد بن معاوية بأن أهل المدينة

خلعوه لما بلغهم من إسرافه في المجون والمعاصي ، أرسل إليهم جيشا كبيرا بقيادة مسلم بن عقبة المري ، يحارب أهلها حتى بايعوه بالخلافة ، بعد أن كانت الموقعة الكبرى بحرة واقم ، المعروفة (بوقعة الحرة) في حدود المدينة ، وقد قتل فيها من أهل المدينة الكِرام ما يزيد على أكثر من اثني عشر ألف رجل ، منهم أكثر من ألفين من بقايا الأنصار والمهاجرين وحفظة القرآن . . واستبيحت المدينة ثلاثة أيام لجيش يزيد الباغي وعبثه ، حتى أن الخيل والكلاب دخلت المسجد الشريف ولوثت فيه . . وقد خلت المدينة من أهلها الذين خرجوا إلى الضواحي ولاذوا بالجبال ، بعد أن أكرهوا على مبايعة يزيد على أن يكونوا إماء له ، وقد طلب أحد كبارهم - وهو يزيد بن عبد الله بن زمعة - من قائد الجيش مسلم بن عقبة أن تكون البيعة بحكم القرآن والسنة ، فما كان من مسلم إلا أن قتله ، ولكن الله أهلكه - وهو في الطريق من المدينة - بجيشه المتجه إلى مكة لضرب الكعبة بالمنجنيق .

وقد روي عن سعيد بن المسيب فقيه المدينة وعالمها الكبير - آنذاك - أنه قال : « لقد رأيتني ليالي الحرة وما في المسجد من خلق الله غيري ، وإن أهل الشام ليدخلون زمرا يقولون : انظروا إلى هذا الشيخ المجنون ، ولا يأتي وقت الصلاة إلا سمعنا أذانا من القبر ، ثم أقيمت الصلاة ، فتقدمت وصليت وما في المسجد أحد غيري » . وقد توفي هذا العالم الجليل في سنة ٩٤ هـ وهو على عهده من رفض البيعة لخلفاء بني أمية على الرغم مما لقيه من عنف وقسوة على يد أمرائهم ورسلهم .

لقد كانت (واقعة الحرة) من أسوأ ما مر من الأحداث في المدينة ، ومن أزرى ما اقترفه خليفة أو حاكم في حقها يستحل دماء علمائها وأهلها وأعراضهم ، ويروى أن جيش يزيد افتض فيها نحو

ألف عذراء سفاحا ، وقد قال الصحابي الجليل عبد الله بن حنظلة رضي الله عنه : « والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء ، إنه رجل ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة . . » .

ولم يطل حكم اليزيد على ثلاثة أعوام ونصف ، وحكم ابنه علي ابن يزيد عشرين يوماً ، وفي سنة ٧٣ هـ أرسل عبد الملك بن مروان ـ أي بعد توليه الخلافة بسبعة أعوام ـ جيشاً إلى الحجاز بقيادة الحجاج ابن يوسف ليحارب عبد الله بن الزبير حتى يأخذ له البيعة من هذه الديار ، فقتل عبد الله ، وجاء الحجاج إلى المدينة ينادي لخلافة عبد الملك ، وحارب أهلها وأساء إليهم ، وفي هذا العهد كان بالمدينة شقيقُ عبد الله أحد فقهاء المدينة والعالم بالسير : عروة بن الزبير بن العوام ـ يشترك في قيادة الرأي العام ، ولد سنة ٢٣ وتوفي عام ٩٤ هـ وهو الذي حفر (بئر عروة) الشهيرة المعروفة باسمه عند وادي العقيق .

في خلافة الوليد بن عبد الملك بين عامي ٨٥ ـ ٩٦ هـ ازدهرت الحال حيث نشطت الفتوحات الإسلامية حتى بلغت سمرقند شرقا ، وإلى الأندلس غربا . . وجدَّ على المدينة نوع من الإصلاح ، وقد تولى الإمارة عليها عمر بن عبد العزيز ، وكان متزوجا بفاطمة أخت الخليفة التي شبب بها بعض الشعراء ـ ومنهم عمر بن أبي ربيعة وفيها يقول :

« ضاق الغداة بحاجتي صدري
ويأسي بعد تقارب الأمر
وذكرت فاطمة التي علقتها
عرضاً ، فيا لحوادث الدهر »

ومن الإصلاحات التي نالت المدينة يومها ـ بناء المساجد ، فقد كتب الوليد إلى عامله عليها عمر بن العزيز ما نصه : « مهما صح عندك من المواضع التي صلى فيها النبي ﷺ فابن عليه مسجدا » .

ولهذا فإن معظم المساجد الأثرية ـ ما بقي منها أو اندثر ـ هي من بناء عمر بن عبد العزيز الذي تولى فيها بعد عام ٩٩ هـ الخلافة بعهد من الخليفة سليمان بن عبد الملك ، وقد ولي إمارة المدينة وقضاءها أبو بكر ابن حزم ، وأمره أن يجمع الأحاديث الشريفة ويدونها بالروايات الصحيحة ـ وذلك بالاشتراك مع عالم الحجاز والشام : محمد بن مسلم الزهري الذي ولد عام ٥٠ هـ وتوفي سنة ١٢٤ هـ وقد ألف كتابا في المغازي ، أما ابن حزم فإنه توفي سنة ١٢٠ هـ .

ولقد عرف عهد عمر بن عبد العزيز بالعدالة والإصلاح ، حتى أن رعاة الشاء ، كانوا يسألون : « من هذا الرجل الذي قام على الناس خليفة ؟ عدله كف الذئاب عن شائنا » .

حقا . . فقد أعاد سيرة الحكم الرشيد على عهد الخليفة ابن الخطاب رضي الله عنه ـ الذي روى أنه قال : « من ولدي رجل بوجهه شجة يملأ الأرض عدلا » . . وهذا هو سليل صلبه النقي عمر ابن عبد العزيز ، وكان ورعا تقيا ، حدثت زوجه فاطمة بنت عبد الملك بأنها دخلت عليه ، وهو في مصلاه ، ودموعه تسيل على لحيته ، فقالت يا أمير المؤمنين ألشيء حدث ؟ قال : يا فاطمة إني تقلدت من أمر أمة محمد ﷺ أسودها وأحمرها ، فتفكرت في الفقير الجائع والمريض الضائع والعاري المجهود والمظلوم المقهور والغريب الأسير والشيخ الكبير وذي العيال الكثير والمال القليل وأشباههم في أقطار الأرض

وأطراف البلاد فعلمت أن ربي سائلي عنهم يوم القيامة فخشيت أن لا تثبت لي حجة فبكيت » . . رضي الله عنه ، وقد مات في حمص مسموما في ٢٥ رجب سنة ١٠١ هـ ودفن بها وله من العمر ٣٩ سنة ، ومدة خلافته سنتان وخمسة شهور . .

في هذا العهد كان (مسلم بن جندب الهذلي) هو إمام أهل المدينة وقارئهم ، وكان يدرس العلم في حلقة بالمسجد النبوي ، أما في خلافة أبي جعفر المنصور بين عامي ١٣٧ - ١٥٨ هـ فكان الوالي على المدينة هو (رباح المزني) ، كان قد سجنه ذو النفس الزكية المهدي محمد بن عبد الله المحسن بن الحسن بن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب ، ودعا إلى رفض البيعة للمنصور - وقد بايعه هو أهل المدينة وعلماؤ ها ، وعلى رأسهم الإمام مالك وأبو حنيفة - رضي الله عنهما . .

فبعث إليه المنصور جيشاً بقيادة عيسى . . وجاء إلى المدينة يوم ١٢ رمضان ١٤٥ هـ يحارب أهلها . . . وقد قاد معركة الدفاع عنها محمد نفسه وبيده سيف الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه . . . وقتل يومها سبعين رجلا ، وقتل الوالي رباحا وأخاه ، ثم عاد إلى القتال يوم ١٤ منه فاستُشهد رضي الله عنه - دون مبادئه وكرامة بلاده . .

في سنة ١٦٨ هـ وفي خلافة موسى الهادي ، والأمير للمدينة هو الحسين بن علي بن الحسن المثنى - خرج إلى مكة ، فبايعه أهلها بالإمارة ، ولكن الهادي أرسلِ إليه مَن حاربه فقتل ومعه مائة من رجاله .

مجتمع المدينة:

ولا يفوتنا هنا أن نستعرض ما كانت عليه الحالة الاجتماعية في المدينة ، وما بلغته من ترف في هذا الوقت . وقد كان لها نصيب من الحضارة على العهد الأموي ، هذا بالرغم مما كان يجري عليها من أحوال الحرب والسياسة المضطربة ، وروي أن معاوية - إبان خلافته - كان قد أرسل إلى المدينة نحو أربعة آلاف رقيق من سبي (قيسارية) - بعد أن افتتحها - فكانت الأموال لا تنقطع من خزائن دمشق إلى المدينة ، حتى أكل الكثير من أهلها في أواني الذهب والفضة ، وفرشوا الديباج والاستبرق ، ونعموا بالحياة الرغدة ، وحتى انتشر الغناء ومجلس الشراب وقد أسرف البعض حتى المجون .

وطبيعة الشعر كانت هي الغالبة على نفوس القوم في مشرق الإسلام ، وقد كانت السيدة سكينة بنت الحسين بن علي - رضي الله عنهم ، شاعرة وناقدة حصيفة ، يجتمع عندها كبار شعراء العرب ، بحيث تراهم ولا يرونها ، تناقشهم وتنقد أشعارهم ، وإليها ينسب كتاب (الطرة السكينة) .

هذه الطبيعة الرقيقة وعواطف الناس الجياشة ، لازمت الكثيرين ، واندمج فيها أولئك الذين جاؤوا المدينة من النازحين إليها ومن الموالي الذين كان لهم الدور الكبير في إظهار الشعر الغنائي بالمدينة وفيهم النساء الجميلات من مختلف الأجناس : الشاميات والروميات والفارسيات . . . وغيرهن . ومثلهن من الغلمان والرجال ، وقد افتتح بعضهم الحانات ، واحتضن البعض الآخر ذوي الصوت الجميل ، فاستشرت أسباب اللهو وكثرت سبل الغناء ، ومن أشهر المغنيين في هذا العهد بالشعر : معبد بن عائشة ، وطويس ، ومالك بن أبي

السمح الطائي ، والدلال ، وصائب خاثر ، وعطرد ، ويونس الكاتب ، ودحمان ، ومن النساء : سلامة القس[1] وحبابة ، وعزة الميلاء ، ولذة العيش ، وبلبلة ، وعزة ، وجميلة ، وعقيلة ، والزرقاء ، وفيهن الأديبات والقائلات للشعر.

كل ذلك نتج عما كان قد دبره الخليفة معاوية وأرسله إلى المدينة من الرقيق ، ليشغل الناس بلهوهم وعبثهم حتى يضعف من نشاط الشعور الديني والوطني ويخضع أهل المدينة للمبايعة بالخلافة دون مقاومة إيجابية .

وقد أنشأ الخليفة هارون الرشيد داراً في قصره ببغداد سماها (دار المدنيات) واشترى لابنته من المدينة المغنية (فضل) وصاحبتها (علم) ومثلها في المدينة أيضاً (قلم) وهي فتاة أندلسية جيء بها صبية وتعلمت فيها ، ثم طلبها الرشيد كسابقاتها من المحظيات الأديبات . وهي جميلة حسنة الخط ، وتروي الشعر ، وكان ثابت بن يسار الليثي المتوفى سنة ٦٣ هـ أول من عمل العود وغنى عليه بالمدينة ـ وهو حسن الصوت، وأول صوت غنى به في الإسلام قوله : « لمن الديار رسومها قفر » .

ومن الشعراء في هذه الفترة . . عبد الله بن عمر (الأحوص) لقب به لحوص في عينيه ، وقد أخرجه من المدينة ابن حزم ـ عند ولايته بسبب مجونه ، ثم عاد إليها في عهد يزيد بن عبد الملك ، وولي إمارتها ـ عندئذ ـ عثمان بن حيان .

---

(١) أحبها حبا روحيا : فقيه مكة وقارئها عبد الرحمن بن أبي عمار ، وكان يدعى القس لكثرة عبادته ، ولهما قصة جميلة في كتب التاريخ ـ كما لغيرهما في هذا العهد الحافل بالشعر والحب والغناء .

ومن شعر الأحوص أقواله الرقيقة هذه :

« إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى
فكن حجراً من يابس الصخر جلمداً
ستبقى لها في مضمر القلب والحشا
سريرة حب يوم تبلى السرائر
فما هو إلا أن أراها فجاءة
فأبهت حتى ما أكاد أجيب »

وله أيضاً من قصيدة يمدح بها الخليفة عمر بن عبد العزيز :

« رأيناك لم تعدل عن الحق يمنة
ولا يسرة فعل الظلوم المجادل
ولكن أخذت القصد جهدك كله
وتعفو مثال الصالحين الأوائل »

قال الشعر في أغراض شتى . . يمدح الخلفاء والأمراء ، ويهجو من يناوئه ، كابن حزم والفضل بن العباس . . وقد ألف عنه ابن بسام الحسين بن علي المتوفى سنة ٢١٣ هـ كتاب « أخبار الأحوص » .

وحفل تاريخ المدينة بثروة كبرى من عمالقة العلم والأدب في القرن الأول الهجري ، فكان منهم مثلا : الشاعر العالم أبو الأسود الدؤلي ، وورد الأسود بن سريع ـ أول من كان يقول القصص ، والبارع في قصص الأولين : كعبد الله بن سلام ، الذي أسلم عند الهجرة ، وكعب الأحبار ـ أسلم في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ وتوفي سنة ٣٢ هـ ، ووهب بن منبه المتوفي سنة ١١٤ هـ ،

والـرواة للعلوم : كالخلفـاء الراشـدين الأربعة رضي الله عنهم ، والعباس بن عبد المطلب ، وعمران بن حصين ، وأبي عبيدة عامر بن الجراح ـ القائد المعروف ، وابن دأب ، والسيدة عائشة الصديقة التي قال عنها رسول الله ﷺ : « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » وتوفيت سنة ٦٨ هـ .

والفقهاء : كعروة بن الزبير ، وقبيصة بن ذؤيب ، وعبيد بن مسعود المتوفى سنة ١٠٢ هـ وهو أخو عبد الله بن مسعود العالم المتوفى سنة ٣٢ هـ ، وربيعة الرأي المتوفى في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة .

ورواة الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام كثيرون أيضا من الصحابة الأجلاء ، منهم : أبو هريرة ـ عبد الرحمن صخر الدوسي الذي أسلم في السنة السابعة للهجرة ، وتوفي سنة ٥٩ هـ عن ٧٨ عاما ، وروى ٥٣٧٤ حديثا ، وممن كان يدون الحديث : عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وغيره من أجلاء الصحابة .

أما بداية الحفظ . . فكانت بعبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، فإنه لم يكن يسمع شيئاً إلا وعاه . ومن العلماء المؤلفين : الشيخ علي الجمل الذي وضع أول كتاب في النحو . . ومن كبار المقرئين: نافع ويعقوب بن عبد الرحمن ـ توفي الأول أيام المهدي والثاني في عهد الرشيد ، ثم عيسى بن ميناء بن وردان بن عيسى المدني ـ أبو موسى مولى الأنصار ـ ولد بالمدينة سنة ١١٠ هـ وتوفي بها سنة ٢٢٠ وكان أصم ، يقرأ عليه القرآن ، وهو ينظر إلى شفتي القارىء فيرد عليه الخطأ ـ وكان يعتبر رأس العلوم الدينية والقراءة في الحجاز . .

بقية أمراء المدينة :

في سنة ١٦١ هـ ولي إمارة المدينة إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس - من بني هاشم - وتوفي سنة ١٦٧ هـ وكان القائم بالقضاء فيها محمد بن عمران الطلحي ، وكاتبه نمير المدني - على عهد الخليفة المنصور المتوفى سنة ١٥٨ هـ - ثم ولي الإمارة جعفر بن سليمان ، ولما ولي عليها داود بن عيسى ولي معها إمارة مكة أيضا سنة ١٩٧ هـ - وقبله كان أمير المدينة بكار بن عبد الله بن مصعب الزبيري لمدة ١٢ عاما وتوفي سنة ١٩٥ هـ - ثم ولي مكة والمدينة أيضا عبيد بن الحسن بن عبد الله بن العباس - من قبل الخليفة المأمون - ثم سليمان بن عبد الله بن سليمان علي العباسي - وتوفي في سنة ٢١٣ هـ .

في منتصف القرن الثالث أصبحت الإمارة تشمل المدينة ومكة وحجر واليمامة . . فوليها سنة ٢٥٠ هـ - اسماعيل السفاك بن يوسف الأحيصر ، مات بعد سنتين بالجدري ، فوليها عيسى بن محمد اسماعيل المخزومي ، فعلي بن الحسن الهاشمي . . ثم يتعدد الأمراء : وهم بين عزل وقتل حسبما كانت توجه إليه الخلافة في بغداد ، ثم نعرف فيما بعد أن عبد الله محمد بن يوسف الذي فتح اليمامة سنة ٣١٦ هـ كان أميرا في تلك الفترة ، وفي هذه السنة انتقلت الإمارة إلى محمد بن يوسف الذي حارب القرامطة(١)،وولي بعده الحسن بن إسماعيل ، ثم أبو جعفر محمد بن الحسن ، ثم أبو عبد الله محمد بن أحمد .

---

(١) عدوان القرامطة على مكة بزعامة ابن الطاهر القرمطي له قصة طويلة مؤلمة في التاريخ لما ارتكبوه من سفك دماء المسلمين وانتهاك حرمات بيت الله الحرام وتسلب الحجاج .

في سنة ٣٥٨ هـ على عهد الإخشيديين ـ حكام مصر ـ تولّى الحكم في الحجاز الأشراف الموسويون ، وأوّلهم : جعفر بن محمد بن الحسين ـ من سلالة الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ وكانت قد وقعت بالمدينة فتنة بين أصحابها : بني حسين وبني حسن ، وكان جعفر بن محمد هذا فيها ، فاهتبل الفرصة وتقدم إلى مكة فحكمها ، ثم قام بالدعاء للمعز العبيدي ـ حاكم مصر ـ فكتب له هذا بولاية مكة ، والمدينة تابعة له . .

في ذلك الحين من سنة ٣٦٥ هـ بعث العزيز العبيدي من مصر أميرا علويا لمكة ، فحاصرها واشتد الغلاء بها وبالمدينة من التضييق عليهما ، ولم يدعهما حتى خطبوا له فيهما على المنابر . .

ويمضي أكثر من قرنين ، والولاة الأشراف ، يتعاقبون على إمارة مكة والمدينة وما حولهما ، وهم في حروب ومنازعات لا تكاد تنتهي ، سواء فيما بينهم ، أو مما يؤثّر عليهم ، من الحكام في مصر وفي اليمن . . فكل جانب يناصر فئة على الأخرى ، وهكذا لم يكن هنالك شيء من الاستقرار إزاء ذلك التنافس على حكم بلاد الحرمين بالقوة والعنف . .

في حوالى منتصف القرن السادس ، وليت إمارة المدينة أسرة بني فليتة ، فكان القاسم بن مهنا الحسيني أميرها سنة ٥٧١ هـ ، وتلاه السيد عز الدين أبو فليتة بن مهنا سنة ٥٨٣ هـ وكان قد حارب مع حاكم مصر صلاح الدين الأيوبي عند بيت المقدس ، وفي عهد هذا من سنة ٥٩٧ هـ ألغيت الضريبة التي كان يأخذها سلطان مصر بالاتفاق مع أمير مكة ـ وقدرها سبعة دنانير مصرية . . في مطلع القرن السابع ولي إمارة المدينة الشريف سالم بن أبي فليتة القاسم ، واشتبك

سنة ٦٠١ هـ في حرب مع أمير مكة الشريف قتادة بن إدريس الذي كان أديبا وشاعرا ، وقال في ذلك :

« مصارع آل المصطفى عدن مثل ما
بدأن ، ولكن حرب بين الأقارب »

زلزلة .. ونار الحرة :

في منتصف سنة ٦٥٤ هـ حدث بالمدينة المنورة ، زلزلة ساعة بعد ساعة من يوم ٣ جمادى الأولى إلى اليوم الخامس ، ثم ظهرت نار شديدة بالحرة الشرقية المعروفة قريبا من أمكنة قبائل قريظة ، وسالت على الجبال حتى رؤي ضوؤها في مكة ، واستمرت شهرا . وظل البركان يتحرك بالنار إلى نحو من شهرين آخرين .

في سنة ٦٣٧ هـ كان قد أرسل الملك الصالح - حاكم مصر إلى الشريف شيحة - أمير المدينة - بألف فارس لمحاربة أمير مكة الشريف راجح بن قتادة ، وإعادة ولايتها إلى حكومة مصر ، ولكن ملك اليمن السلطان نور الدين ، قام بمساعدة الشريف راجح ، حتى استرد مكة سنة ٦٣٩ هـ . وهكذا فإن الحروب كانت متصلة بين شريفي مكة والمدينة أكثر من قرنين من الزمان ، وسلطات الحكم فيهما تابعة حيناً لمصر وحيناً لليمن . .

وقد استمرت إمارة الحسنيين على المدينة المنورة حتى سنة ١١٠٠ هـ :فوليها سنة ٦٣٥ هـ جماز بن أبي فليتة ، فابنه منصور بن جماز سنة ٧٠٤ هـ، فابنه عطية بن المنصور سنة ٧٥٧ هـ إلى سنة ٧٦٠ هـ التي ولي فيها أخوه هبة الله نفير بن المنصور ، ثم ابنه محمد في سنة ٧٨٨ هـ ، وكذلك جمال الدين، فثابت ابن أخيه ، فعجلان ابن أخيه أيضاً ، فعزيز بن منازع ، فعجلان ، فالحسن بن جماز سنة ٨٢٥ هـ ،

فعجلان ، فأميان ، فمانع ، فوثيان ، فسليمان بن عزيز ، فاميان الحجازي ، فزهير بن أميان ، فضيم سنة ٨٧٤ هـ ، فقسيطل بن زهير ، فزهير بن أميان ـ للمرة الثانية ، فابنه حسن بن زهير سنة ١١٠٠ هـ .

ومن الأحداث التي جرت في المدينة المنورة بناء السور الضخم حولها في سنة ٩٣٧ هـ وانتهى منه سنة ٩٤٨ هـ على عهد السلطان سليمان بن السلطان سليم العثماني ، وطول السور نحو ٤٠٠٠ ذراع وله أربعة أبواب[1] وفتحت فيه ثلاث أبواب فيما بعد ، الأول (باب المجيدي) أيام عمارة المسجد النبوي التي قام بها السلطان عبد المجيد ، والثاني (باب الحمام) ٠ والثالث (باب القاسمية) ، وقد أزيل هذا السور في عهدنا السعودي في نطاق التنظيمات والتوسعات التي جدت على المدينة المنورة !

في القرن العاشر كان الحكم العثماني التركي ـ قد بسط نفوذه على معظم جزيرة العرب ، وفوض الشريف أبو نمي بن أحمد بن أبي نمي ـ أمير مكة ـ بعد والده ليتولى حكم الحجاز بكل أقطاره سنة ٩٧٤ هـ . وفي عهده استقرت الأمور بعض الشيء ، وخمدت تلك الفتن المتلاحقة برقاب بعضها البعض .

ويومها أصبحت في المدينة ـ مشيخة للحرم النبوي الشريف ، يتولاها مفوض من قبل الحكومة التركية . . فكانت هذه المشيخة سنة ١٠٥٦ هـ لبشير آغا ، والشيخ زفر أفندي ـ قاضي الشرع بالحرم ، وقد قتل القاضي سنة ١٠٥٩ هـ أثناء زيارة أمير مكة الشريف زيد بن محسن للمدينة، فاتهم في تدبير الحادث . ولكنه استطاع أن يقنع أهل

---

(١) هي (باب الشامي) ، (باب الجمعة) و(باب المصري) ، و(الباب الصغير) .

المدينة ببراءته وتولى البحث عن أصحاب المؤامـرة ، فقبض على بعضهم ، في سنة ١٠٨٥ هـ ، وفيها توفي أمير المدينة السيد أحمد محمد الحارث الذي كان قد ولاه عليها حسن باشا ، وفي سنة ١١٠٧ هـ بعث الشريف سعد أمير مكة - بابن أخيه الشريف محسن بن حسين أميراً على المدينة . .

وفي سنة ١١٣٤ هـ أثناء إمارة الشريف مبارك بن أحمد بن زيد - على مكة ، حدثت فتنة بين الأغوات وأهل المدينة ، اقتتلوا فيها ، فأحضرهم الشريف مبارك إلى مكة لمحاكمتهم - بحضور مفتي المدينة المنورة يومها السيد محمد أسعد ، فحكم على الأغوات بـالسجن للبعض ، وبالعزل للبعض الآخر ، فأسرّوها في نفوسهم ، وظلوا يكيدون لبعض أهل المدينة ، حتى تسببوا في قتلهم وتشريدهم ، وكان منهم السيد عبد الكريم البرزنجي الذي قتل في جدة سنة ١١٣٦ هـ - وهو من فضلاء المدينة ، وأسرته من العلماء .

في سنة ١١٩٤ هـ - زار أمير مكة الشريف سرور - المدينة ، وفي الطريق إليها ، تعرض للمحاربة في بدر ، ثم في المدينة وظل يقاوم في قتال مرير ، حتى وصل به الأمر إلى أن رجاله نهبوا القلعة - وكانت فيها ذخائر نفيسة لأهل المدينة ، اعتادوا حفظها بها - ووضع وزيره على القلعة . وقبض على من تسببوا في هذه الفتنة وسجنهم - وكانوا خمسين رجلا - صحبهم معه إلى مكة ، ولكن أهل المدينة لم يسكتوا ، فحاصروا الوزير في القلعة فأرسل له الشريف سرور - سرية في نحو ٨٠٠ من الخيل ، فقاتلهم (بنو حرب) حتى اضطرهم إلى الهرب عن المدينة ، بعد أن قتل الكثير من الطرفين ، وفيما بعد أطلق الشريف - نصف المساجين الخمسين وأرسـل النصف الآخر إلى القنفدة لسجنهم ، ثم أعادهم إلى جدة ولكنه عاد فأطلقهم ، وقام

بزيارة للمدينة سنة ١٢٠١ هـ فاستقبل بالتكريم ولم يتعرض لشيء من شؤونها . .

وفي هذه السنة وصلت في شهور الحج صدقات من سلطان المغرب ومن علي خان بالهند ومن غيرهما ، لتوزع على أهل الحرمين ، كما كانت تصل هذه الصدقات في مثل ذلك الوقت - من سلاطين الدول إلى فقراء بلاد الحرمين الشريفين مساهمة في عون أصحابها والتعبير عن تقديرهم . .

في سنة ١٢٠٢ هـ ، كان الوالي على الحرمين هو الشريف غالب ابن مساعد الذي اشتبك في حرب مع تلامذة الشيخ محمد عبد الوهاب سنة ١٢٠٥ هـ ودامت خمس عشرة سنة وكانت بينهم أكثر من خمسين واقعة .

في سنة ١٢٦١ هـ كان شريف باشا شيخا للحرم النبوي ثم نقل إلى مكة ، وولي بعده عثمان باشا ، وكلاهما من الأتراك . .
وكان في استقباله : شريف مكة - عبد الله بن علي - الذي تولى بعد وفاة والده الشريف محمد بن عون سنة ١٢٠٠ هـ ، وكان الحاكم حينئذ في المدينة - يدعى المحافظ ، وليس الأمير كجاري العادة .

في سنة ١٢٨٤ هـ كانت مشيخة الحرمين الشريفين - لمحمد وجيهي باشا ، عندما كان والياً على مكة - معمر باشا الذي عزل ، وتولى بعده رشيد باشا - سنة ١٢٨٧ هـ ، وقاسم باشا محافظاً على المدينة ، وقد نقل هذا إلى مكة ، بعد عزل خورشيد عنها ، وعين محمد رشيد باشا - محافظاً للمدينة - ثم من بعده تولى الشريف الحسين الذي قتل سنة ١٢٩٧ هـ .

وشهادة حق - فلقد حظيت بلاد الحرمين الشريفين برعاية الدولة

العثمانية ونشطت فيها الحياة العامة . . ولعل أهم واسطة حدثت لربط المدينة المنورة بالعالم الخارجي - هي إنشاء الخط الحديدي الحجازي بين المدينة المنورة ودمشق فتركيا . . وقد انتهى من تنفيذه سنة ١٣٢٦ هـ واستمر يعمل حتى سنة ١٣٣٥ هـ عندما دمر العرب أكثر أجزاء الخط لقيام الثورة العربية ضد الاستعمار آنذاك .

وجرى سنة ١٣٣٥ هـ حصار المدينة المنورة ثم تسفير أهلها من قبل الحكومة العثمانية أكثر من سنتين ، وقد نهبت وسلبت منازلها . . وكان قائد الحملة العسكرية وحاكم المدينة المنورة العسكري فخري باشا الذي قام بإجلاء سكان المدينة إلى الشام ، ومدة حكمه بين عام ١٣٣٤ هـ وعام ١٣٣٧ هـ - وهو العام الذي عاد في أواخره أهل المدينة المنورة من منفاهم بعد أن تعرضوا للكثير من الأهوال من مرض وجوع وعري ، وفني منهم كثيرون بين دمشق وتركيا بحمى التيفوئيد . وقد بذلت لهم الحكومة الهاشمية كل المساعدات ، وكان قد ولي على المدينة المنورة الشريف علي بن الحسين (ملك الحجاز فيما بعد) . . بينما الشريف شحات قائمقام بها آنذاك .

وتتابع الأحداث ، والقدر بالمرصاد ، فإذا بالفناء يكتب للجيش التركي بالمدينة المنورة وما حولها بسبب المرض والجوع في منتصف عام ١٣٣٧ هـ .

وهكذا كانت تمر سنون عديدة والحكومة العثمانية تعين الأمراء على مكة والمدينة - من الأشراف والأتراك ، وقد أصبح أهلهايضيقون ذرعا بالاستبداد العثماني بأيدي عملائه - في أوائل القرن الرابع عشر الهجري ، وحاول كبار أهل المدينة قتل (الزنجي علي باشا مرمحين) الذي عين سنة ١٣٢٤ هـ وكانت وظيفته آنذاك محافظاً وشيخاً

للمسجد النبوي الشريف ، وذلك بسبب صلفه وتجبره بأهل المدينة ، ولكنه هرب إلى عشة المحتسب يومها ـ ولم يخرج إلا بالحراس إلى بيته ، حيث غادر المدينة ، وجاء بعده حسن باشا الذي لم يمكث طويلا ، إذ انضمت مشيخة الحرم والمحافظة ـ إلى عثمان فريد ـ محافظ المدينة في ذلك الحين ، وفي حادثة الاتهام السياسي هذه سجن في قلعة الطائف إثنان وأربعون رجلا ـ نقلوا من أعيان المدينة ـ لمدة سنة ونصف ، وفي هذا يقول الشاعر المدني السيد أنور عشقي المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ ـ وكان من بين هؤلاء السجناء واشترك في محاولة قتل الزنجي علي باشا :

« نساق للسجن لا جرم ندان به
إلا تلافيق زور من ذوي الفتن
كنا نطالب بالعدل الذي حرمت
منه المدينة : دار العدل والمنن
أي الذنوب اللواتي نستحق بها
هذا العقاب سوى الأغراض والإحن ؟
ما ضرنا غير قول الشامتين لنا
ذوقوا جزاءكم في السجن والوهن
قضت علينا الليالي وهي ظالمة
بعداً عن الأهل والإخوان والوطن
قاض تهور في أحكامه فقضى
بما يصوره الواشون من درن
فكيف يقضي بما تملي غباوته
ألا يفرق بين « الخمر واللبن ؟»

* * *

وما أسرع ما انزاحت السلطة التركية بعد ذلك ، وأعقبها حكم الهاشميين[1] الذي لم يدم طويلا أيضا ـ وقد وجد القوم في حكم آل سعود القادم ـ شيئاً من الأمن والسلام ، فرحبوا به ، واستقبلت المدينة المنورة مبعوث الملك الراحل عبد العزيز ابنه (محمد) أميراً عليها فتسلمها في ١٣٤٤/٥/١٩ هـ . واستقرت فيها الحياة بعد عناء وصراع طويلين .

من أعلام المدينة :

نعود إلى سير الأعلام في هذا البلد العظيم . . نستوفي ما ذكرناه ـ من كل قرن ، كأنموذج للحركات العلمية والأدبية والدينية عبر العصور :

● العلامة ربيعة الرأي بن فروخ التميمي . فقيه وحافظ ، صاحب الفتوى في المدينة ، وعليه تفقه الإمام مالك ، وتوفي سنة ١٣٦ هـ ، وهي السنة التي توفي فيها الفقيه المفسر بالمدينة : زيد بن أسلم العدوي العمري ، وكانت لهذا حلقة بالمسجد النبوي يدرس فيها ، وله كتاب في التفسير .

قبل هذين ، وفي نحو سنة ١٣٢ هـ توفي (داود بن سلم) ، المعروف بالأدلم ـ لسواده وطوله ـ وهو شاعر من المدينة ـ كان يتخايل في مشيته مما دعا أمير المدينة يومها ـ سعد بن إبراهيم ـ إلى ضربه تأديباً له . .

---

(١) لا ننسى هنا أن نذكر بأنه كانت توجد بالمدينة على عهد الأشراف أربع مدارس باسم أبناء الشريف الحسين الأربعة : « العلوية ، الفيصلية ، الزيدية ، العبدلية » ، وكان لبس أهل المدينة الجيب الأنقوري ـ نسبة إلى أنقرة ـ والشايات الحزيرية . وفي الأعياد كانت تقام المراجيح ويركبها حتى الرجال . . وتنتشر أنواع الأشربة كالليمون ، والماء الملون بالصباغ .

ـ قبل هذا أيضاً ـ المغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثقفي ـ أبو محمد ـ أسلم زمن الخندق ، وروى الحديث ، وشهد مواقع اليمامة واليرموك والقادسية ، ويعد من كبار المفكرين ، وقد أحصن ألف امرأة ، وتوفي في سنة ٥٠ هـ .

● سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ـ صحابي ـ ولي على المدينة في عهد معاوية ، وهو أحد كتبة المصحف للخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ـ توفي سنة ٥٩ هـ .

● والإمام ـ أبو عبد الله ـ مالك بن أنس الأصبحي ، ينسب إليه المذهب المالكي ـ أحد المذاهب الأربعة ـ ولد سنة ٩٤ هـ بالمدينة ، ونشأ وتعلم بها ، اتصلت أسبابه ـ وهو في الأربعين من عمره ـ بالعلامة ربيعة الرأي ، فدرس عليه وأخذ عنه ، ثم راح يتعمق في العلوم الدينية حتى أصبح إماماً في الفقه وحجة في الحديث ، وقد روي أنه أفتى في زمانه بخلع الخليفة المنصور ، ومبايعة محمد بن عبد الله ـ من آل الإمام علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم ، ووضع كتابه المشهور في الحديث : (الموطأ) وكان علما يقصد ويُستفتى في أمور الدين ، حتى توفاه الله ، وكان يقول عن نفسه : « قلّ رجل كنت أتعلم منه ما مات حتى يجيئني ويستفتيني » . . ومن هنا أخذ المثل المعروف : « لا يفتى ومالك في المدينة » ، توفي سنة ١٧٦ هـ .

● وفي عصره كان سلمة بن دينار المخزومي عالماً وقاضياً بالمدينة وتوفي سنة ١٤٠ هـ .

● ومن الأعلام في هذا القرن ـ الثاني أيضاً ـ يعقوب بن إسحاق الربعي المخزومي ـ من ولد عبد الرحمن بن أبي ربيعة بن المغيرة ـ كان شاعراً ، وفي إحدى قصائده الغزلية يقول :

«هل تعلمين وراء الحب منزلة
تدني إليك، فإن الحب أقصاني»

وله في الرثاء ومواضيع أخرى - شعر كثير، وتوفي حوالي سنة ٢٠٠ هـ وقد توفي سنتها أيضاً: أبو البحتري: وهب بن وهب بن كبير بن عبد الله بن زمعة - من بني عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى - من قريش، وكان قاضياً ومن العلماء بالأخبار والأنساب، ولد ونشأ بالمدينة، ثم انتقل إلى بغداد في خلافة الرشيد، حيث ولي القضاء بها، ثم رجع إلى المدينة وتولَّى قضاءها وحرسها وصلاتها، ولكنه عزل وعاد إلى بغداد حتى توفي بها، وله مؤلفات منها: «فضائل الأنصار، والرايات، وطسم وجديس، ونسب ولد إسماعيل».

● وفي عام ١٣٠ هـ ولد الواقدي محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي المدني - المؤرخ الإسلامي الشهير - ولد ونشأ بالمدينة، واشتغل بتجارة الحنطة، ثم أفلس ورحل إلى العراق سنة ١٦٠ هـ واتصل بالخليفة هارون الرشيد، فولي القضاء ببغداد، وبقي إلى أن توفي سنة ٢٠٧ هـ ومن مؤلفاته المطبوعة: «المغازي النبوية، فتح العجم، فتح مصر والاسكندرية، فتح إفريقية، فتوح العراق، فتوح الشام، أخبار مكة، سيرة أبي بكر ووفاته، مقتل الحسن، تفسير القرآن - وهو خطي» وكان يروي عنه كاتبه العلامة محمد بن سعد صاحب الطبقات الكبرى - من كبار الأعلام المفكرين. وقد قال عنه الخطيب البغدادي: «كان الواقدي كلما ذكرت له واقعة ذهب إلى مكانها فعاينه».

● أما إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة الكناني

القرشي فشاعر غزل ـ من سكان المدينة ، ولد عام ٩٠ هـ وتوفي سنة ١٧٦ هـ وروي عن الأصمعي أنه قال عنه : « ختم الشعر بابن هرمة » .

● وهناك أيضاً الشاعر الفقيه : عروة بن يحيى ـ الملقب بأذينة ـ ابن مالك بن الحارث الليثي ، والذي قال في شعره :

« ولقد علمت ـ وما الإسراف من خلقي ـ
أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى إليه فيعييني تطلّبه
ولو قعدت أتاني لا يعنّيني »

وقد توفي سنة ١٣٠ هـ .

● وأقدم مؤرخي العرب ـ محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء ـ ولد ونشأ بالمدينة ، وسافر إلى الإسكندرية سنة ١١٩ هـ ، ثم إلى بغداد حيث أقام بها إلى أن توفي في سنة ١٥١ هـ ، وقال عنه ابن حيان ـ المؤرخ المعروف ـ : « ولم يكن أحد بالمدينة يقارب ابن إسحاق في علمه أو يوازيه في جمعه ، وهو من أحسن الناس سياقاً للأخبار » ، ومن مؤلفاته : « السيرة النبوية، كتاب المبدأ » .

ومن أعلام القرن الثالث :

● العلامة يحيى بن الحسن بن جعفر (الحجة) بن عبد الله الأعرج ـ بن الحسين الأصفر ، بن الإمام السجاد زين العابدين ـ العبيد بن العقيقي ـ مؤرخ ونسابة ، من أهل المدينة ، بها ولد ونشأ سنة ٢١٤ هـ ، ومن مؤلفاته : « أخبار المدينة ، وأنساب آل أبي طالب » ، توفي بمكة سنة ٢٧٧ هـ .

* * *

وتمضي نحو أربعة قرون هي : الرابع والخامس والسادس والسابع ، فلا ينقل لنا التاريخ نشاطا وافراً - في الفكر والعلوم من أهل هذا البلد الطاهر ، وقد كان الإزدهار الأدبي ، في ذلك الوقت قد انتقل إلى شمال الجزيرة العربية ، وكثرت المنافسات بين الدول على الحكم والخلافة . . .

ولكننا نجد من الأعلام :

في القرن الخامس :

● ظهير الدين بن الحسن بن محمد بن عبد الله - أبو شجاع الروذراوري ، المولود سنة ٤٣٧ هـ ، وهو أديب من - همذان بفارس ، ولي الوزارة للمقتدر العباسي في بغداد سنة ٤٧٦ هـ ، وعزل سنة ٤٨٤ ، ثم حج سنة ٤٨٧ هـ وزار المدينة وأقام بها إلى أن توفي سنة ٤٨٨ هـ ، وله كتاب « ذيل تجارب الأمم - لمسكويه » .

وفي القرن السادس :

● أبو الحسن الأنصاري الجباني - من أهل المدينة ، عالم وأديب ، توفي بها سنة ٥٩٣ هـ ، نظم كتابه : « شذور الذهب في صناعة الكيمياء » . . .

وفي القرن السابع :

● عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر النكزاوي - معين الدين أبو محمد - من أهل المدينة ، كان عالماً ومقرئاً ، ولد سنة ٦١٤ هـ ، وقد رحل إلى الإسكندرية وسكنها ، وبها توفي سنة ٦٨٣ هـ ، ومن كتبه : « الشامل في القراءات السبع ، والاقتضاء في معرفة الوقت والابتداء - وهو خطي » .

وفي القرن الثامن :

تعود الانطلاقة الثقافية الأولى سيرتها . . فنرى من الأعلام :

● نور الدين علي بن محمد بن أبي القاسم بن فرحون اليعمري المدني - أديب ، ولد بالمدينة سنة ٦٩٨ هـ وبها تثقف ، وتوفي سنة ٧٤٦ هـ ،وهو تونسي الأصل ، وقد قام برحلات عديدة إلى الشام ومصر ، له ديوان شعر صغير ، ومن كتبه : « الزاهر في المواعظ والحكايات والذخائر - خطي ، والاعتبار، وتواريخ الاخبار، والتعريف بالنسبة إلى النبي المختار ، ونزهة النظر وتحفة الفكر - في شرح لامية العجم » .

● الشيخ إبراهيم بن عبد الله الحكري - برهان الدين ، من كبار النحويين ، أصله من أهل الحكرة - قرب مدينة الطائف . . سافر إلى مصر وعاد إلى المدينة حيث تولى بها القضاء ، ثم إلى القدس والخليل - حيث ناب بالحكم فيهما ، وله « شرح الألفية » لابن مالك في النحو ، وتوفي سنة ٧٨٠ هـ .

● الشيخ عبد الله بن أحمد بن خلف المطري الخزرجي العبادي - أبو السيادة عفيف الدين - ولد بالمدينةسنة ٦٩٨ هـ ، نسبته إلى المطرية بمصر ، من ذرية سعد بن عبادة الأنصاري ، وهو مؤرخ حافظ للحديث ، كان رئيس المؤذنين بالمسجدالنبوي ، قام برحلات في طلب العلم إلى العراق والشام و مصر ومكة ؛ ومن كتبه : « الإعلام فيمن دخل المدينة من الأعلام » .

● العلامة نور الدين الزرندي : محدِّث بالمسجد النبوي ، قام برحلات كثيرة في طلب العلم ، له كتاب : « المفاخرة بين مكة والمدينة » . بالنظم والنثر ، مخطوط - وقد كتب عن علمه وفضله كبار

العلماء وسجلوا تقاريظ جمة عن كتابه (المفاخرة) هذا ومن هؤلاء العلماء :

- العلامة مفتي الفرق شيخ الإسلام - شرف الدين بن شيخ الحل الحنبلي الدمشقي . . والعلامة شهاب الدين أحمد بن لبي حجلة المغربي . . والعلامة شيخ الصناعاتين ذو البلاغتين - شمس الدين بن نباتة . .

- والعلامة برهان الدين القيطراطي المصري ، والعلامة شمس الدين ابن الصائغ الحنفي ، والعلامة - جامع بلاغتي النظم والنثر - شهاب الدين الشهير (بأبي بالركب) ، والعلامة شرف الدين بن الريان الحلبي .

- والعلامة ناصر الدين بن الشرف يعقوب - صاحب ديوان الإنشا بحلب ودمشق ، والعلامة بدر الدين بن حبيب الحلبي - الذي قال : « ولعمري لقد أوجز قائل هذه المفاخرة فأعجز ، وأظهر من كنوزه لديها إبريز البلاغة وأبرز ، وحاز قصب السبق في ميدان البيان وأعجز ، وعني ببرودها المفوفة - فرقم ورقش وطرّف وطرّز ، و أتى بما لم يسبق إليه من مجاورة الحرمين ، وأعلم أنه للعلم الفرد حيث حلا حين مر بين العلمين . .

ونـونـيـة قـد حـار نـاظـمـهـا فـما
إذا لم تـكـن ألـفـاظـه جـواهـرا فـمـن
حـجـازيـة لـو عـايـن الـصـب لـفـتـة
عـلى الـنـأي منهـا والـتـبـاعـد لافـتـتـن »

- وقد توفي الإمام الزرندي سنة ٧٦٢ هـ - وكان ولده شيخ المحدثين ورث عنه العلم والفضل . .

● الشيخ عبد الله بن محمد فرحون اليعمري المالكي - أبو محمد فقيه ومن العلماء بالحديث ، ولد ونشأ بالمدينة سنة ٦٩٣ هـ أصله من تونس توفي بالمدينة سنة ٧٦٩ هـ وله مؤلفات منها : « الدر المخلص من التقصي والمخلص - في الحديث ، وكشف الغطاء في شرح مختصر الموطأ - ٤ مجلدات ، وإعراب عمدة الأحكام - في الحديث - مجلدان ، والعدة - خطي » .

● الشيخ إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون برهان الدين اليعمري - ولد ونشأ ومات بالمدينة عن سبعين عاما سنة ٧٩٩ هـ - وبها ولي القضاء سنة ٧٩٣ هـ كان عالماً بحاثة ، ومن مؤلفاته المطبوعة : « الديباج المذهب وتبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام » ، والمخطوطات : « طبقات علماء الغرب ، ودرر الغواص في محاضرة الخواص ، وتسهيل المهمات في شرح جامع الأمهات لابن الحاجب في الفقه » . .

● الشيخ محمد بن يوسف بن الحسن شمس الدين الزرندي : من أهل المدينة ، بها ولد سنة ٦٩٣ هـ ، درس فيها زمناً . . وهو محدث من كبار علماء الحنفية ، سافر في سنة ٧٤٣ إلى (شيراز) ولي قضاءها حتى توفي سنة ٧٤٧ هـ ، ومن كتبه : « السمطين في مناقب السبطين، وبغية المرتاح - شرح أربعين حديثاً - وهو خطي » .

ومن أعلام القرن التاسع :

● الشيخ محمد بن أبي بكر بن الحسين أبو الفتح شرف الدين القرشي المراغي - من سلالة الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، أصل والديه من مصر ، وقد ولد بالمدينة سنة ٧٧٥ هـ وبها نشأ أقام ، وكان فقيها عارفا بالحديث واشتغل بالتأليف ، ومن كتبه :

« المشروع المروي في شرح منهاج النووي ـ أربعة مجلدات ، وتلخيص الفتح لمقاصد الفتح ، اختصر به كتاب (فتح الباري) لابن حجر ـ في أربعة أجزاء ، وتوفي بمكة سنة ٨٥٩ هـ .

● ـ السخاوي ـ الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين ـ السخاوي العلامة الشهير والمؤرخ المعروف ـ ولد سنة ٨٣١ هـ ، وتوفي بالمدينة سنة ٩٠٢ هـ وضع كتاباً عن المدينة باسم « التحفة اللطيفة في أخبار المدينة الشريفة » . . وله كتاب « تاريخ المدينتين » ـ يعني مكة والمدينة .

● ـ العلامة المراغي ـ الشيخ أبو الفتح شرف الدين محمد بن زين الدين أبي بكر المدني الشافعي بن الحسين بن عمر بن محمد بن يونس بن أبي الفخر بن عبد الرحمن بن نجم بن طولون العبشمي العثماني ـ ولد سنة ٧٧٥ هـ وتفقه كثيراً علىٰ أبيه والعلامتين : السراج القليني والكمال الدميري ـ وغيرهما ـ اعتزل في أواخر أيامه بالبيت ، وتوفي سنة ٨٥٩ هـ . وأخوه العلامة محمد ناصر الدين أبو الفتوح بن أبي بكر ـ المراغي ـ من أئمة العلم والأدب .

ومن أعلام القرن العاشر :

● الشيخ عبد العزيزبن عبد الواحد بن محمد بن موسى المغربي أصله من المغرب ، هاجر للمدينة وتزود فيها بالعلوم ، واعتبر في زمانه شيخ قرائها ، وبها توفي سنة ٩٦٤ هـ ، ومن مؤلفاته المخطوطة : « منهج الوصول في أصول الدين ، ونظم سور القرآن، ونظم جواهر السيوطي ، ولب لباب المصطلح ، ومنظومة في البلاغة » .

● الشيخ علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمن بن عراق الكناني ـ نور الدين ـ ولد في دمشق وهاجر إلى المدينة وولي بها

الإمامة ، وهو متصوف فقيه ، وناقد للشعر ، من مؤلفاته : « تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة ، ونشر اللطائف في قطر الطائف » .

● الشيخ محمد بدر الدين الرومي الأقحصاري الحنفي : أصله من « آق حصار » من أعمال صارخان ، مفسر وأديب . . ولي مشيخة المسجد النبوي سنة ٩٨٢ هـ . وأقام بالمدينة حتى توفي سنة ١٠٠١ هـ ، ومن مؤلفاته المخطوطة : « المثنى - في اللغة ، والألفاظ - التي وضعت على صيغة الجمع » ، والمطبوع : « التنزيل - في تفسير القرآن » .

● الشيخ فتح الله بن عبد الله الشهير بابن النحاس ، أصله من حلب ، رحل إلى مصر والحجاز ، وهاجر للمدينة وأقام بها حتى توفي سنة ١٠٢٥ هـ، أديب وله ديوان شعر . .

من أعلام القرن الحادي عشر :

● السيد محمد بن عبد الله بن محمد - من أحفاد شرف الدين ابن يحيى الحمزي الحسني - ويعرف بمحمد الكبريت . ولد بالمدينة سنة ١٠١٢ هـ وبها توفي سنة ١٠٧٠ هـ ، كان أديباً . . قام برحلات إلى تركيا ومصر والشام ، ومن مؤلفاته: « رحلة الشتاء والصيف ، وحاطب الليل ، والعقود الفاخرة في أخبار الدنيا والآخرة ، والجواهر الثمينة في محاسن المدينة ، وتراجم الفضلاء من المدينة ، وبسط المال في القيل والقال ، ونصر من الله وفتح قريب » . . كان قد اتهمه بعض معاصريه بالإلحاد لأنه يخالف أساليبهم في البحث .

● الشيخ إبراهيم بن حسين بن أحمد بن بيري ، فقيه ، ولد بالمدينة سنة ١٠٢٣ هـ ، ونشأ بها ثم انتقل إلى مكة المكرمة وولي فيها

الإفتاء ، وبها توفي سنة ١٠٩٩ هـ .

● الشيخ أحمد بن محمد يونس - صفي الدين الدجاني القشاشي - أصله من القدس ، كان قد هاجر جده إلى المدينة ، وهو يفتي بالمذهبين المالكي والشافعي ، واشتغل بالتأليف حتى بلغت مؤلفاته نحو السبعين معظمها في التصوف ومنها : « السمط المجيد ، وشرح الحكم العطائية ، وحاشية على المواهب اللدنية » .

● الشيخ محمد بن عبد الرسول بن عبد السيد الحسني البرزنجي ، ولد سنة ١٠٤٠ هـ وتعلم بشهرزور ، ثم سافر إلى همذان ببغداد ومصر والشام وهاجر إلى المدينة وقام بالتدريس فيها إلى أن توفي سنة ١١٠٣ هـ وله مؤلفات منها المطبوع : « الإشاعة في أشراط الساعة » والمخطوط : « أنهار السلسبيل - في شرح تفسير البيضاوي ، والنواقض للروافض ، وشرح ألفية المصطلح ، وحل مشكلات ابن العربي ترجمه عن الفارسية ، وخالص التخليص - مختصر لكتاب تلخيص المفتاح » .

● الشيخ إبراهيم بن عبدالرحمن بن علي المدني ، أصله من مصر وبها ولد سنة ١٠٣٧ هـ ، هاجر إلى المدينة شاباً وأقام بها إلى أن توفي سنة ١٠٨٣ هـ إشتغل بالأدب ، وله كتاب « تحفة الأدباء وسلوة الغرباء » .

● الشيخ محمد بن محمود بن صالح بن حسن الطربزوني المدني ، أصله من تركيا ، هاجر إلى المدينة . أديب لغوي وفقيه حنفي ، كان مدرساً وقيماً على الكتب بجامع السليمانية في إستانبول ، توفي بالمدينة سنة ١١٠٠ هـ وله مؤلفات منها المطبوع : « السنية في الأحاديث القدسية » والمخطوط : « رسالة في بيان ما في الصحاح من

الأوهام ـ في اللغة ورسالة في المثلثات ـ في اللغة ؛ ورسالة في الأضداد ، وتحفة الإخوان في الحلال والحرام من الحيوان » . .

● الشيخ إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الشهراني الشهرزوري الكوراني ، برهان الدين ، ولد سنة ١٠٢٥ هـ ، بشهران من أعمال شهرزور بجبال الكرد ، درس الحديث بين مصر والشام ، وجاءِ إلى الحجاز يتزود بالعلم وهاجر إلى المدينة سنة ١٠٦٣ هـ حيث استوطن بها ، وفيها اشتهر إلى أن توفي سنة ١١٠١ هـ وهو عالم ، يجيد الفارسية والتركية ، اشتغل بالتأليف حتى بلغت كتبه أكثر من ثمانين كتاباً في علوم اللغة والدين والأدب ـ ومنها المطبوع : « الأمم لإيقاظ الهمم ، وإتحاف الخلف بتحقيق مذهب السلف ، ولوامع الآل في الأربعين العوال » .

ومن أعلام القرن الثاني عشر :

● الشيخ محمد بن إبراهيم بن حسن أبو العطار المدني الشافعي ـ عالم . ولد بالمدينة سنة ١٠٨١ هـ وولي فيها إفتاء الشافعية زمنا ؛ وبها توفي سنة ١١٤٥ هـ وله كتاب « اختصار شرح شواهد الرضي ـ للبغدادي » .

● الشيخ يوسف بن إبراهيم بن محمد ـ أكمل الدين الزهري الشرواني ـ ولد بشروان ، ثم هاجر إلى المدينة وبها اشتهر كعالم فقيه ، وتوفي سنة ١١٢٤ هـ ، ومن كتبه : « شرح ملتقى الأبحر ـ فقه ، وهدية الصبيح شرح مشكلة المصابيح ـ فقه في ٣ مجلدات ، ورسائل أخرى » .

● الشيخ إسماعيل بن عبد الله الإسكندراني الحنفي عالم ولد سنة ١١١٩ هـ ، وهاجر إلى المدينة وألف بها كتبه ، وتوفي سنة ١١٨٢

هـ ، ومن كتبه : « مختصر صحيح مسلم - في الحديث ، ومختصر شرح الشفاء - للشهاب أحمد الخفاجي » .

● الشيخ يوسف بن عبد الكريم الأنصاري الحنفي ، عالم . . ولد بالمدينة سنة ١١٢١ هـ وبها توفي سنة ١١٧٧ هـ ، من مؤلفاته : « منظومة في المناسك نظم فيها (المنسك الصغير) لرحمة الله السندي .

● الشيخ علي بن محمد بن علي الزهري الشرواني المدني ، عالم . . ولد بالمدينة سنة ١١٣٤ هـ ، وبها توفي سنة ١٢٠٠ هـ ، كان رئيس علماء الحنفية ، ويقول الشعر . ومن كتبه : « حاشية على ديباجة الدرر ، هوامش على المختصر » .

● الشيخ جعفر بن محمد باعلوي السقافي ، عالم وشاعر . . ولد بالمدينة سنة ١١١٠ هـ بها توفي سنة ١١٨٢ هـ ، قام برحلات إلى فارس واليمن ، له كتاب مطبوع باسم « مواسم الأدب وآثار العجم والعرب » وله ديوان شعر مخطوط في ١٠٤ صفحات بدار الكتب المصرية . ومن شعره فيه :

« نجاوز عن مرام النطق مني
أراني ما يطاوعني لساني
أخافك أولا إن قلت صدقا
وإن أكذب أخاف الله ثاني
فأسكتُ مطرقا حتى أرجح
مقالا معك فيه صلاح شاني »

وله في مديح الرسول الأعظم ﷺ قوله :

« لي من ذمة الجوار مجيرُ
إن يكن جاري البشير النذير

وبـــظنيَّ إنْ أســأتُ فــعــالا
أن حـــظِّي مـــن جــاهـــه مــوفــور »

● الشيخ محمد حياة بن إبراهيم السندي المدني ، عالم ومحدث ، ولد في السند ، ثم هاجر إلى المدينة . وبها اشتهر وتوفي سنة ١١٦٣ هـ ، وله مؤلفات منها المخطوط : « تحفة المحبين ، وشرح الترغيب والترهيب ـ للمنذري ، ومقدمة في العقائد ، وشرح الحكم العطائية » .

● السيد جعفر بن حسن بن عبد الكريم البرزنجي ـ زين العابدين ، عالم ولد بالمدينة وكان فيها مفتي الشافعية ، وبها توفي سنة ١١٧٧ هـ ، له مؤلفات عديدة ، منها المطبوع : « قصة المولد النبوي ، وقصة المعراج » ، والمخطوط : « جالية الكرب بأصحاب سيد العجم والعرب ، والبرء العاجل بإجابة الشيخ محمد غافل ، ورسالة في أسماء البدريين والأحديين » ـ يعني شهداء بدر وأحد .

● الشيخ محمد بن الطيب محمد بن محمد بن محمد الشرقي الفارسي المالكي ، عالم . ولد بفارس سنة ١١١٠ هـ ، ثم هاجر إلى المدينة ، وبها توفي سنة ١١٧٠ هـ ، له مؤلفات منها : « المسلسلات في الحديث ، وإضاءة الراموس ـ وهو حاشية على قاموس الفيروز آبادي ، وفيض نشر الانشراح ـ وهو حاشية على كتاب (الاقتراح) ـ للسيوطي ـ في النحو ، وموطئة الفصيح لموطأة الفصيح ـ وهو شرح لنظم (فصيح ثعلب) لابن المرحل ، وشرح كفاية المتحفظ ، وشرح كافية ابن مالك ، وشرح شواهد الكشاف » .

● الشيخ محمد بن سليمان الكردي ، عالم . ولد بدمشق سنة ١١٢٧ هـ ، وهاجر صغيرا إلى المدينة حيث تلقى العلم واستوطن

بها ، وتوفي سنة ١١٩٤ هـ ، ولي فيها إفتاء الشافعية ، وله مؤلفات - المطبوع منها : « الفتاوي ، والحواشي المدنية - على شرح ابن حجر - والمقدمة الحضرمية » . والمخطوط منها : « شرح فرائض التحفة ، والفوائد المدنية فيمن يفتي بقوله من أئمة الشافعية ، وفتح الفتاح في شروط الحج ، وجالية الهم والتوان عن الساعي لقضاء حوائج الإنسان ، وزهر الربا في بيان أحكام الربا ، والثغر البسام عن معاني الصور التي يزوج فيها الحكام » .

● الشيخ محمد بن عبد الكريم المدني الشافعي الشهير بالسمان ، عالم ولد بالمدينة سنة ١١٣٠ هـ ، وبها نشأ ، وتوفي سنة ١١٨٩ هـ ، وله كتب مخطوطة ، منها : « الاستغاثة ، والنفحة القدسية ، ومختصر الطريقة المحمدية ، والفتوحات الالهية في التوجيهات الروحية » .

● الشيخ عبد الرحمن بن عبد الكريم بن يوسف الأنصاري الخزرجي مؤرخ المدينة وصاحب القرمية الشهير - ولد سنة ١١٢٤ هـ ، وقد قام برحلات عدة في طلب العلم إلى المغرب واليمن ومكة ومصر والشام . وكانت له حظوة عند الحكام الأتراك ، وله مؤلفات مخطوطة قيمة ، منها : « تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب ، وهو كتاب ترجم فيه لأكثر من ٣٧٠ أسرة من أهل المدينة المنورة من معاصريه . . وهذا كتاب نادر إذ وصف فيه المؤلف أحوال المترجم لهم وأنسابهم وأسماء الشوارع والأماكن والبساتين . . وأسرته كانت أسرة كبيرة في عهده - وتوفي بالمدينة سنة ١١٩٥ هـ .

●السيد أحمد بن علوي بن باحسن باعلوي جمل الليل ، أصل

أهله من حضرموت ، عالم وأديب . . ولد بالمدينة سنة ١١٧٢ هـ وبها توفي سنة ١٢١٦ هـ ـ وله مؤلفات مخطوطة . وهو جد الأسرة العلوية المعروفة اليوم بآل جمل الليل . . ومن شعره قوله :

« وإذا خشيتَ من الحوادث ريبَها
أو خفت وقع صروفه وضراره
فاقصدْ إلهكَ في المقاصد كلها
وحذار أن تقصد سواه حذاره »

* * *

ومن أعلام القرن الثالث عشر :

● الشيخ عبد الله بن غانم الدراجي الهذالي النجاعي ـ أصله من الجزائر ولد بها ، وهاجر إلى المدينة ، وهو عالم متصوف وله كتاب « إرشاد أهل الهمم العالية في الأدعية النبوية » ، توفي بالمدينة سنة ١٢٩٦ هـ .

● الشيخ يوسف شكري بن عثمان الخربوتي ـ رومي الأصل ـ من كبار علماء الحنفية ، كان مدرسا بالمدرسة المحمودية في المدينة إلى أن توفي سنة ١٢٩٢ هـ ، وله كتب منها : « سلسلة الصفا لمحمد المصطفى ﷺ ، ورموز التوحيد ، وناموس الإيقاظ في شرح البرهان ـ في المنطق » .

ومن الأعلام بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر :

● الشيخ عبد الجليل بن عبد السلام بن عبد الله بن عبد السلام برادة ، أديب وشاعر . . ولد بالمدينة سنة ١٢٤٣ هـ ـ وبها تثقف ، ونظم الشعر وهو في الخامسة عشرة من عمره ، ودرَّس في

المسجد النبوي في العشرين من عمره ، ومن أول شعره قوله :

« يطيب لي أن أسهر الليالي
في طلب العلوم والكمال
على سراج واهي الذبال
حتى أرى في العلم (كالغزالي)
وأستمد الشعر من خيالي
بذاك أضحى فارس المجال
وقدوة في فُضَّلِ الرجال »

وله شعر سياسي كثير - ومنه قوله :

« قدر الله أن أعيش غريبا
في بلاد أساق كرها إليها
وبفكري مخدرات معان
نزلت آية الحجاب عليها »

وذلك عندما كان مبعَدا في الآستانة على عهد حكومة الأتراك التي أبعدته عن وطنه لتحريض الشباب عليهم ، ولكنه عاد وتوفي بالمدينة سنة ١٣٢٦ هـ - وقد كان أستاذا لبعض العلماء ممن جاؤ وا بعده . .

● الشيخ محمد فالح بن محمد بن عبد الله بن فالح أبو النجاح المهنوي الظاهري . . عالم ومحدث من أهل المدينة ، ولد سنة ١٢٥٨ هـ وهو ينسب إلى قبيلة (مهنّا) من عرب الظواهر بالحجاز ، وله مؤلفات مطبوعة منها : « صحائف العامل بالشرع الكامل - في الفقه ، والمنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، وحسن الوفا

لإخوان الصفا ، وأنجح المساعي في الجمع بين صفتي السامع والداعي » . وقد توفي بالمدينة سنة ١٣٢٨ هـ ؛ وهو من أجداد الدكتور محمد الظواهري ، الطبيب المصري المعروف الآن والمختص في الأمراض الجلدية .

● الشيخ أحمد بن إبراهيم بن منصور عباس الصديقي ، أديب وعالم ولد بالمدينة سنة ١٢٦٥ هـ ، وبها توفي سنة ١٣٣٧ هـ ، قام برحلة إلى مصر وتزود من جامعة الأزهر ، وكان يدرِّس العلوم الدينية وله بستان في قباء ، فكان ديوانه يعتبر ناديا للأدب والعلم ، يقول الشعر في الفخر والحماسة والمديح ، وله من قصيدة في رسول الله ﷺ :

« يا صاح إن وافيتَ طيبة والحرمْ
حرم المدينة من به خير الأمم
صلِّ بروضتها الشريفة واتجه
لله في ذاك المقام المزدحم
هذي المدينة وهْي أكرم موطن
نزل الرسول بها فقوبل بالكرم
فدعا لها في مدها ولصاعها
وبرفع ضر من وباءٍ أو حمم »

● الشيخ محمد علي بن ظاهر الوتري الحسني المدني - نور الدين أبو الحسن ولد بالمدينة سنة ١٢٦١ هـ وبها توفي سنة ١٣٢٢ هـ ، قام مرتين برحلة إلى المغرب ، فأقبل عليه الناس يتزودون من علمه ، وهو ممن انتعش بهم فن رواية الحديث في المشرق والمغرب ، وله كتب مخطوطة منها ٥٠ حديثا مسلسلا مسماة التحفة المدنية في المسلسلات الوترية ، ورسالة في الكلام على قول الغزالي : ليس في الإمكان أبدع

مما كان ، ورسالة في (الأوائل) مجموعة بها أوائل أربعين كتابا من كتب الحديث .

● الشيخ عثمان بن عبد السلام بن أبي بكر الداغستاني ولد سنة ١٢٦٩ هـ ؛ أديب وعالم ، درس على والده علوم الدين وأخذ الفقه والتفسير عن الشيخ عبد الله المجددي الدهلوي وتحصل من الدراسة أيضا على الشيخ عبد القادر الطرابلسي والشيخ حبيب الرحمن الكاظمي ، وكان مفتيا للحنفية خمسة عشر عاما ، وهذه الفتاوى عني بها إبنه الشيخ محمد وجمعها في مجلدين لديه الآن ، ومن مؤلفاته المخطوطة أيضا : سر الحرف ـ وهو كتاب قيم في هذا الفن البديع ، وفي حياته كان يعنى بمكتبة آبائه ومؤلفاتهم ، وتعد مكتبة الداغستاني في المدينة حاليا من كبار المكتبات الخاصة تضم مؤلفات أسرة واحدة ، وكان يقوم بالإمامة بالمسجد النبوي إلى جانب رفاقه من العلماء الأجلاء بالمدينة كالشيخ إبراهيم الأسكوبي الشاعر، والشيخ مأمون بري ، والشيخ يحيى دفتردار والشيخ عارف بري . . وغيرهم، وقد توفي بالمدينة سنة ١٣٢٥ هـ .

● السيد أنور بن مصطفى بن عمر عشقي (جده السيد عمر ، عالم كبير ، يسمى صاحب النطاق الذهبي ، وقد هاجر إلى مكة سنة ١١٠٠ ثم إلى المدينة سنة ١١٥٠ هـ)، أديب وشاعر ، ولد بالمدينة سنة ١٢٦٤ هـ ، وكان له ناد يجتمع فيه الأدباء والأعيان من أصدقائه ببستانه قرب ثنية الوداع ، وهو من أجمل البساتين ـ حتى لقد أغراه بعض الأثرياء لابتياعه ، ولكنه ضن به اعتزازا ، وقال مضمنا اسمه :

« وروضة ما رضيت عنها
بملك كسرى ولا بقيصر

فكيف وهْي المنى وعشقي

بها زهر الربيع أنور »

وله شعر غزل رقيق .. وفي الفخر والسياسة ، وكانت وظيفته محتسبا للمدينة سنة١٣٠٣ هـ لحفظ الأمن ومراقبة الأسواق ، ثم رئيسا للبلدية بها في أواخر عهد الأتراك ، وقد تجرأ ومنع الشريف عون بن حسين أن يخرج الأرزاق من المدينة . فهدده هذا ، فما كان منه إلا أن استقال وسافر بأهله إلى دمشق حتى توفي بها سنة **١٣٣٦** هـ .

● الشيخ إبراهيم بن حسن بن حسين بن رجب الأسكوبي ، شاعر وطني ، أصله من أسكوب بألبانيا ، ولد بالمدينة سنة **١٢٦٤** هـ وقام برحلات عدة وأقام مدة بمكة حيث كان جليس أميرها الشريف عون الرفيق وأحد شعرائها ، وكان يجيد اللغات التركية والأردية والفارسية ، وله قصائد سياسية أزجى بها النصح للدولة العثمانية ، فسجن بسببها في بلاد الغربة وتوفي سنة **١٣٣١** هـ .

* * *

ومن الأعلام في هذه الفترة أيضا : خطيب المدينة الشيخ عمر زاهد الذي أنشأ بستان الزاهدية المعروف إلى اليوم ، والشيخ عبد القادر شلبي[١] العالم الذي كان وزيرا للمعارف في عهد حكومة الأشراف ، والشيخ محمد العمري العالم والأديب ، والشيخ عمر بري الأديب والعالم والشاعر الذي خلف ديوانا مخطوطا ضخما من الشعر .

وغيرهم .. وغيرهم .. عليهم رحمة الله ورضوانه .

* * *

---

(١) كنت أزوره في منزله للإفادة من علمه وعنه تلقيت علم العروض
(المؤلف)

ومن الأعلام في القرن الرابع عشر :

● محمد الطيب بن اسماعيل بن الزبير بن محمد الأنصاري الخزرجي ينسب إلى الخزرج من الأنصار ، عالم ، ولد بالمغرب سنة ١٢٩٦ هـ وهاجر إلى المدينة سنة ١٣٢٥ هـ ، وكان يدرس بالمسجد النبوي وفي مدرسة العلوم الشرعية ، وله مؤلفات منها : « الدرة الثمينة ـ نظم به شذور الذهب في النحو ، والبراهين الموضحات في نظم كشف الشبهات في التوحيد ، والسراج الوهاج في اختصار صحيح مسلم بن الحجاج ، وتحبير التحرير في اختصار تفسير الامام ابن جرير » . ويروى أن أحد جدوده القدامى نزح من المدينة إلى المغرب ، وتوفي سنة ١٣٦٣هـ، وقد حضرت أنا بعض دروسه في المسجد النبوي قبيل وفاته بعامين . .

● حمزة بن علي بن محمود ملا السندي ـ ينحدر نسبه من الشيخ محمد حياة الذي ذكرناه في أعلام القرن الثاني عشر ، ولد سنة ١٢٩٥ هـ ، وكان يقول الشعر في مختلف أغراضه ، فهو شاعر وعالم متصوف ، وله ديوان شعر ـ يقال : إنه مفقود ـ ومعظمه في مديح رسول الله ﷺ ، ومن شعره هذا الحداء لركب حجاج أهل المدينة ـ كما هي العادة قديما ـ يحجون جماعات برئاسة شيخ يؤمهم :

« إلهي سهل الدرب لنا
قصدنا البيت الحرام
لا تخيب ظننا وردنا
للنبي خير الأنام »

وعند دخولهم مكة ـ نظم هذا الحداء:

« جيران طه المصطفى قد أقبلوا
قصدوا إنجاز المرام

لحماكم سادتي قد يمموا
أهل زمزم والمقام »

وقال عند العودة إلى المدينة :

« أشرقت أنوار طه المصطفى
وبدا باب السلام
وتجلت قبةُ الهادي لنا
بين طيات الغمام »

وقد توفي سنة ١٣٤٤ هـ ، ووالده من أثرياء المدينة على عهد الدولة التركية ، وكان يدير لها بيت المال والأوقاف والخزينة ، كما كان أخوه إبراهيم ثَريا أنفق من الخيرات الكثير وأعتق عشرين رقبة من الرقيق وعمر مائة عام ـ وتوفي سنة ١٣٦٣ هـ .

● الشيخ محمد عبد الله المدني ـ ولد بمدينة السوق العلمية بالمغرب سنة ١٣٢٠ هـ ، وقد هاجر مع والده العلامة المحمود بن محمود السوقي إلى المدينة المنورة سنة ١٣٢٣ هـ ، وبها نشأ وتلقى تعليمه ، وتتلمذ على والده وعلى الشيخ الطيب الأنصاري ، وهو أديب وعالم ، له عدة مؤلفات ومنها مجموعة شعرية يهتم بها الآن ابنه الشاب محمود لمحاولة طبعها باسم (الهاشميات) ، وكان قد قام الشيخ محمد بتصحيح كتاب (أوجز المسالك إلى موطأ مالك) وقدمه بقصيدة مطلعها :

« شأن المحبة أن ترى مخفيا
والدمع يجعله لنا مرئيا »

وقد قام بعدة جولات في الهند وبلدان شمالي إفريقيا ثم عاد إلى مسقط رأسه حيث وافته المنية بها سنة ١٣٧١ هـ .

● الشيخ عمر بري ـ من علماء المدينة وشعرائها الأفاضل . كان قاضيا بالمدينة سنة ١٣٤٠ هـ على عهد حكومة الأشراف ، وقد توفي بالمدينة أيضا ـ وله ديوان لم يطبع ومؤلفات أخرى مثل : « مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التيجاني » ـ وقد توفي بالمدينة سنة ١٣٥٣ هـ .

● الشيخ حميدة بن الطيب بن علال ، ولد بالجزائر ـ وطنه ـ ثم هاجر شابا إلى المدينة فرارا من الاستعمار الغاشم هناك حيث كان يحرض المواطنين على مقاومة الطغيان الفرنسي ، وهو محدث وعالم ـ ومن سلالة الشهيد الحسن بن علي رضي الله عنهما ، يقول الشعر ، وقد حفظ القرآن والموطأ وشعراً كثيراً من أدباء العرب ، وله مؤلفات منها : « الثمر الداني في التوجيه الرباني ـ في القصيدة السلفية ، والمسالك إلى ألفية ابن مالك ، وآراء في أحوال أهالي طيبة ودمشق الفيحاء ، والإثارة في بلدة المختار ، والتمكين في الوصول لطريق سيد المرسلين » ، توفي بالمدينة سنة ١٣٦٢ هـ .

● السيد جعفر هاشم المدني ، أديب وعالم ، ولد ونشأ وتوفي بالمدينة سنة ١٣٤٢ هـ ، وله مؤلفات منها : كتابه « تاريخ المدينة » موجود لدى أسرته الشهيرة في المدينة بأسرة هاشم .

● عمي السيد ـ (عبد القادر) بن عثمان بن علي بن محمود حافظ . . ولد بالمدينة المنورة سنة ١٢٩٩ هـ . . إنسان . إنسان . . رجل دين وأمانة وخلق وفضل ، حياته المتصوفة لم تعرف إلا عمله المعيشي وبيته وأولاده والمسجد النبوي الشريف حيث يؤدي أكثر الصلوات ، وفي مطلع شبابه ، تزوج بفاطمة ابنة الشيخ محمد السعيدي من علماء الجزائر المهاجرين إلى المدينة ، وهي أخت المشائخ محمد الصادق ومحمد الصغير وأحمد صادق ـ معاون مأمور بيت المال بالمدينة حالياً . . وقد خلف عمي

منها من البنين أربعة أولاد هم :

أبو السعود ـ وقد توفي صغيراً إلى رحمة ربه ـ والسادة علي وعثمان وخالد . وبعد وفاة زوجه فاطمة هذه ، تزوج بوالدتي السيدة « ملكة جليدان » ابنة المرحوم الشيخ إبراهيم جليدان ، وخلف منها إخوتي لأمي : زهير وسعود وثريا وبلقيس[1] .

بعد قيام الثورة العربية الكبرى ـ والحكومة التركية ترحِّل الناس عن المدينة ، رحَل عمي بأسرته إلى دمشق وتولى فيها أمانة الصندوق الذي يوزع المخصصات على أهل الحجاز في الشام ، وقد عرفت عنه الأمانة والحرص على أموال الناس . وهذه حادثة طريفة نرويها عن ذلك : إذ أنه ذهب إلى السوق لصرف آلاف من الجنيهات عند أحد اليهود في الشام ، ولما عاد بالمبلغ المصروف إلى الدار وقام بتعداده وجده زائداً بمبلغ ٤٠٠ جنيه ، فكرر التعداد مستعيناً بذوي قرباه ـ حتى تأكد من صحة هذه الزيادة ، فذهب بها إلى اليهودي وأعادها إليه .

وعمي ـ السيد عبد القادر ، شديد التقوى مع طيبة النفس ورقة القلب والخوف من ربه ، والإخلاص في تعامله مع الناس الذين كان يؤتمن على حقوقهم ، وكان يوزع إنتاج بساتين المدينة واشتهرت عنه هذه الأمانة .

وقد خلفه أخي السيد زهير ـ وقام بعبء الأسرة بعده ، وقد تزوج

---

(١) تزوجت ثريا بالأستاذ عبد القادر البكري ـ من أهل المدينة ، وزميل الدراسة الأول لنا ـ والموظف حاليا بوزارة الخارجية في جدة . وتزوجت بلقيس مؤخراً بالأخ إبراهيم كردي ـ من أهل المدينة أيضا والموظف الآن بمكتب الخطوط السعودية بالمدينة . أما أخونا سعود فيواصل دراسته في نجاح متصل ، وقد عين بالخطوط السعودية كموظف كفء أمين ، ثم تزوج من ابنة الشيخ عباس زاهد .

في حياته ـ من ابنة خالتي زوج الشيخ عبد الرحمن أركوبي من علماء وأفاضل أهل المدينة اليوم . .

(وقد رزق أخي زهير بأربعة أبناء وثلاث بنات ، ومن أبنائه الدكتور عمر حافظ ـ أستاذ الاقتصاد العام بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ، والدكتور حمزة حافظ ـ أستاذ اصول الفقه بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

وكثيراً ما كنا نجلس إلى عمي نستمتع بمواعظه وطرائف رواياته التاريخية وحديثه عن أخيه : والدي المرحوم السيد هاشم الذي كان يرتل القرآن كله غيباً ويحفظ الكثير من الأحاديث الشريفة وأوراد التصوف[1] .

وقد توفي عمي لرحمة ربه في ٩ رمضان سنة ١٣٧١ هـ إثر عملية جراحية لاستئصال البروستاتا . . ونشرت جريدة المدينة يومها ـ كلمات وقصائد الرثاء بأقلام الأساتذة : محمد حسن زيدان ، وعلي عامر ، وحسن صيرفي ، وكاتب هذه السطور وأبناء الفقيد ـ عليه الرحمة والغفران .

---

(١) من بني العمومة السيد عبد الكريم حسن حافظ ـ عالم يبشر بالدين في الهند منذ ربع قرن ، وقد عاد للمدينة بأسرته مع أخيه السيد رضا ـ ولكنه يواصل سفره ودعوته للهند . وقد توفي،وكان أخوه السيد عبد الله حافظ من أفاضل الرجال، وقد توفي ـ ومن أبنائه السيد فؤاد حافظ الذي تزوج من ابنة أختي الكبرى لأمي ـ وموظف حاليا بالإذاعة السعودية ـ ولكنه تدرج في الوظائف حتى أصبح قنصلاً في سفارة المملكة بروما .

من الأعلام المعاصرين في بحر القرن الرابع عشر

يحفل عصرنا اليوم بعدد كبير من ذوي العلم والمعرفة والأدب ـ في هذه البلدة المقدسة : « المدينة المنورة » ، وقد ازداد الوعي وتنوعت فنون الثقافة وسبل التعليم .

ونحن هنا عندما نترجم لبعض هؤلاء الأعلام الأفاضل إنما نقدم أمثلة ولا نعني الحصر . . كما أننا أيضاً نأسف على أن تظهر هنا أسماء بعض الزملاء الكرام مجردة دون تراجم لهم . . وذلك لأنهم تخلفوا عن موافاتنا بما طلبناه منهم من معلومات عن أنفسهم ، تساعدنا على ما قصدنا . ولذا يتضح أن التقصير كان منهم وليس منا .

ولنبدأ :

● الشيخ السيد أحمد ياسين الخياري ، ولد بالمدينة سنة ١٣٢١ هـ وبها نشأ وأخذ تعاليمه الأولى . . ثم رحل إلى مصر لاستكمال دراسته بالجامع الأزهر ـ حيث حصل على الشهادة العلمية سنة ١٣٤٤ هـ ـ وعاد للوطن ، وضُم اسمه إلى قائمة علماء المسجد النبوي ، وأصبح معلما بمدرسة النجاح ، ثم مديراً لمكتبة المسجد النبوي والمكتبة المحمودية ، وكان عضواً في أكثر من مصلحة للاستفادة من خبراته وأفكاره ، وأخيراً فهو الآن يدير مدرسة القراءات لتحفيظ القرآن وتجويده ، ويعد من كبار الفضلاء ، وهو كثير الاطلاع واسع الثقافة ، وله مؤلفات مخطوطة

معظمها في فنون القراءات السبع والعشر ، وكتاب في تاريخ المدينة المنورة . . (توفي في رجب سنة ١٣٨٠ هـ)، رحمه الله .

● السيد علي حافظ والسيد عثمان حافظ ، الشقيقان المثاليان في الاخوة والتفاني لبعضهما البعض . . وهما ابنا عمي - (السيد عبد القادر) الذي نشأت في كنفه . .

وتنحدر أسرتنا : (آل حافظ) من سلالة السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها - إبنة سيدنا محمد ﷺ - وكان جدنا - قبل نحو قرنين - سافر إلى تركيا وأقام بها ثم عاد أحفاده إلى المدينة .

ولد السيد علي سنة ١٣٢١ هـ والسيد عثمان سنة١٣٢٢ هـ - وفي المدينة تلقيا التعليم الأولي التحضيري والابتدائي . . ولم يكن بالمدينة غير ذلك ، فاستكملا الدراسة لدى الشيخ عبد القادر شلبي وعلى بعض علماء المسجد النبوي ، وحصلا على شهادة بالتدريس سنة ١٣٥٢ هـ وكانا في أواخر عام ١٣٤٩ هـ قد اشتريا (مطبعة طيبة الفيحاء) ، وجعلا اسمها (مطبعة طيبة ومكتبتها) حيث كونا لها مكتبة حديثة .

وقد بدأ السيد عثمان عمله في استيراد الكتب والمجلات وأدوات الكتابة من الخارج - بعد أن كان موظفاً بهيئة الأمر بالمعروف ثم في التدريس لمدة قصيرة ، بينما السيد علي بدأ موظفاً بالمحكمة الشرعية ، وقد غدا رئيساً لكتابها ، وفي عام ١٣٥٥ هـ أحضرا مطبعة كبيرة بمعداتها ولوازمها من مصر ، واستصدر أمراً بإخراج أول صحيفة في البلد الطاهر - فصدرت باسم (المدينة المنورة) . . في محرم عام ١٣٥٦ هـ أسبوعية - ولا تزال تصدر إلى اليوم ،ولكن مرتين في الأسبوع ، وقد أسسا (مدرسة الصحراء الخيرية) في المسيجيد سنة ١٣٦٥ هـ لتعليم أبناء البادية ، وكانت أول مدرسة تؤسس في الصحراء ، وبعدها أنشأت الحكومة بعض

المدارس ، وقد رأس تحرير الجريدة السيد علي ، ويديرها السيد عثمان ، وقاما بعدة رحلات استطلاعية وصحفية إلى بلدان المملكة والبلدان الخارجية ، واشتركا في كثير من المؤتمرات الصحفية ، وكما يغلب الأسلوب الأدبي على كتابة السيد علي ـ وهو شاعر أيضاً ـ كذلك يغلب الأسلوب الصحفي على كتابة أخيه السيد عثمان ، وقد عين هذا مديراً للجنة شؤون الحج بالمدينة إلى الآن (ثم تقاعد وانتخب رئيساً لتحرير جريدة المدينة المنورة بعد أن انضمت إلى نظام المؤسسات) أما السيد علي فبعد أن عمل مديرا لفرع وزارة الزراعة بالمدينة أحيل للتقاعد كطلبه ليتفرغ للجريدة وأعمالها[١] . .

وللشقيقين شقيق ثالث هو السيد خالد ، تقلب في عدة وظائف وهو مدير لمطبعة جريدة المدينة ـ منذ إنشائها . . ومتزوج من أختي لأمي .

كذلك كان السيد عثمان متزوجا من أختي لأبي ـ وقد توفيت وخلفت له ولداً[٢] ، فتزوج من ابنة لخالي عبد الفتاح ، أما السيد علي ـ فزوجه ابنة المرحوم الشيخ زاهد ـ من كبار أفاضل المدينة ، وللأشقاء الثلاثة الآن بنين وبنات ، فيهم الكبار ، ومنهم المتزوجون والمخلفون أيضاً .

● الأستاذ عبد القدوس الأنصاري ، ولد وتثقف بالمدينة ، وهو صاحب مجلة « المنهل » . أديب بحاثة ، وله عدة مؤلفات طبع منها : « آثار المدينة المنورة ، ورجالات الحجاز ـ الحلقة الأولى » وغيرها . . كان قد انتقل « بالمنهل » إلى مكة فأقام بها حيث عمله الوظيفي بالحكومة .

---

(١) انتخب رئيسا لبلدية المدينة في محرم ١٣٨١ هـ ، ثم تقاعد ، وأصبح يشرف على أعمال (مطبعة المدينة للنشر والطباعة) بجدة .

(٢) هو : مأمون ـ تزوج من ابنة السيد رضا حافظ ـ من بني العمومة .

● الشيخ محمد بن محمد سعيد بن يحيى دفتردار ، ولد سنة ١٣٢٢ هـ بالمدينة وتلقى التعليم الأول ، وقد سافر إلى دمشق وبيروت بقصد التعليم ، ثم التحق بالجامع الأزهر بمصر سنة ١٣٤٨هـ وأكمل دراسته وتخرج عام ١٣٥٩ هـ بالشهادة العالية وقد درس في كليتي اللغة العربية والشريعة وتخرج سنة ١٣٦١ هـ بتخصص للتدريس ، وعاد للوطن بعد عام ـ حيث عين مديراً للمدرسة الثانوية ومعتمدية المعارف ، وقد امتهن الأدب منذ صغره ينظم الشعر ويكتب كثيراً ، وقد طلب اعفاءه من إدارة المدرسة ليعمل مدرساً سنة ١٣٧٤ هـ ثم تقاعد ـ ، وله مؤلفات أهمها : « تاريخ الأدب والبلاغة » وكتابه الضخم « أعلام المدينة المنورة » . . . وقد نشرت حلقات منه في جريدة المدينة المنورة ومجلة (المنهل) وله ديوان شعر لم يطبع ، كما أن له قصص نشر بعضها[١] .

● الشيخ عبد الحق النقشبندي ، ولد سنة ١٣٢٢ هـ بالمدينة ، كان قد هاجر جده إلى مكة ، ثم هاجر والده إلى المدينة ، وبها استقر المقام بالأسرة ، وتلقى فيها تعليمه الابتدائي ثم رحل إلى الهند يستكمل دراسته وعاد إلى المدينة سنة ١٣٤٥ هـ حيث عمل مدرساً بمدرسة العلوم الشرعية ، ثم بالمدرسة الابتدائية السعودية ، واشترك مع السيد أحمد الفيض أبادي ، في تأسيس (مطبعة طيبة الفيحاء) التي اشتراها فيما بعد السيدان علي وعثمان حافظ ، ثم عمل محامياً للمالية ونجح في مهمته ، ولكنه طلب التقاعد ، وهو يقول الشعر ويكتب المقالة ، وذواقة للأدب منذ شبابه وله بنين وبنات في شتى مراحل التعليم .

● السيد أحمد العربي ـ من مواليد المدينة المنورة ـ أديب وشاعر ،

---

(١) ونحن نعد كتابنا هذا للطبعة الثانية ، وافت المنية الأستاذ محمد سعيد دفتردار ، ليلة الجمعة ١٣٩٢/٢/٢٩ هـ عليه رحمة الله .

تنقل في وظائف عدة بالدولة . وهو الآن مدير الأوقاف العامة بمكة المكرمة ولكنه تقاعد عن العمل .

● السيد عبيد مدني ، ولد بالمدينة سنة **١٣٢٤ هـ** ، أديب وشاعر . شغل عدة مناصب في الحكومة ، ثم طلب التقاعد [١] .

● السيد أمين مدني ، من مواليد المدينة أيضاً وهو شقيق السيد عبيد . . أديب - كان قد رأس البلدية سنة **١٣٧٥ هـ** . وهو الآن في التقاعد . (صدر له كتاب ضخم في التاريخ العربي) .

●السيد أسعد طرابزوني ، اشتغل بعض الوقت بالأدب ، وقد حقق بعض الكتب التاريخية المتعلقة بالمدينة ونشرت منذ سنوات ، وهو الآن مدير إدارة الجوازات . (ولكنه تقاعد) .

● السيد حبيب محمود أحمد ، له مكانة كبيرة في المدينة وفي الدولة وبين الناس ، وهو الآن رئيس مجلس ادارة الأوقاف بالمدينة .

وهؤلاء من إخواننا أدباء الشباب في المدينة ؛ حيث ولدوا ونشأوا وتثقفوا - ومعظمهم مقيم بها - .

● الأستاذ عبد الرحمن رفة ، أديب وشاعر ، له ديوان مخطوط ، وبعد أن كان في عمله الحر منذ سنوات قريبة ، دخل سلك الوظيفة الحكومية ، ويرأس مكتب قلم المطبوعات والرقابة بالمدينة حالياً ، ثم تقاعد وهو معروف بوطنيته وتغنيه بها وبالوطن الحبيب المدينة المنورة .

● الأستاذ حسن مصطفى صيرفي ، شاعر وزجال ، يعد الآن ديوانه الآخر بعد الأول الذي طبع باسم « كبرياء ودموع » .

---

(١) توفي إلى رحمة الله تعالى .

● الأستاذ السيد محمد هاشم رشيد الغزي ، شاعر مجيد ، صدر له أول دواوينه ، « وراء السراب » سنة ١٣٧٣ هـ . أصدر له (النادي الأدبي) عدة دواوين .

● الأستاذ السيد ماجد أسعد الحسيني ، شاعر ، صدر له ديوان باسم « حيرة » وله ديوان آخر ، وموظف الآن في مكة ، ثم انتقل الى الاعلام .

● الأستاذ محمد عالم الأفغاني[1] أديب قصاص ، صدرت له عدة مجموعات قصصية خلال العشر سنوات الماضية .

● الأستاذ عبد العزيز الربيع ، جامعي وأديب ناقد ، وهو الآن مدير التعليم بمنطقة المدينة .

● الأستاذ محمد حميدة ، من رجال التعليم وأديب .

● الأستاذ محمد العيد الخطراوي ، أديب وشاعر ، حصل على رسالة الدكتوراة سنة ١٤٠٠ هـ . وهو الآن مدرس بالجامعة الإسلامية .

● الأستاذ عبد الرحيم أبو بكر ، أديب ، حصل على الماجستير عن الأدب الحجازي المعاصر .

وممن ولد أيضاً ونشأ وتثقف بالمدينة ثم اضطرته ظروف الحياة للإقامة خارجها هؤلاء الأدباء :

● الأستاذ محمد حسين زيدان ، كان رئيساً لتحرير جريدة « البلاد » التي تصدر في جدة . .

● الأستاذ محمد حسين زيدان ، كان رئيسا لتحرير جريدة

---

(١) توفي إلى رحمة الله تعالى.

« البلاد » التي تصدر في جدة . .

● الأستاذ محمد عمر توفيق (أصبح وزيراً للمواصلات) ، الأستاذ السيد علي عامر ، الأستاذ عبد الحميد عنبر[1] ، الاستاذ محمد العامر ارميح[2] ، السيد أحمد عبيد ، الأستاذ يسين طه . . وسواهم .

ولا يفوتنا هنا أن نأتي بأسماء بعض رفقاء لنا اليوم في الميدان الأدبي ممن حولنا في الحجاز أو في باقي أجزاء المملكة :

أدباء وشعراء وعلماء يكونون معنا رمز النهضة الفكرية في هذا الجزء الهام من العالم :

● الأساتذة :

أحمد إبراهيم الغزاوي[1] ، ضياء الدين رجب[1] ، عزيز ضياء ، عبد الله عمر بلخير ، حسين عرب ، عبد الله عريف [1] ، علوي مالكي (توفي) ، محمد أمين كتبي[1] ، محمد حسن عواد[1] ، فؤاد شاكر[1] ، أحمد السباعي ، أحمد قنديل[1] ، محمد شطا[1] ، صالح شطا ، فؤاد الخطيب ، محمد سعيد باعشن ، شكيب الأموي ، عبد الفتاح أبومدين ، محمد زيدان ، إبراهيم هاشم فلالي[1] ، حمد الجاسر ، عبد الله عبد الجبار ، أحمد محمد جمال ، صالح محمد جمال ، سيف الدين عاشور ، حسن عبد الله قرشي ، محمد سعيد العامودي ، حسن عبد الحي قزاز ، محمود عارف ، محمد عبد الله مليباري ، عبد العزيز الرفاعي ، علي حسن غسال ، عبد الغني قستي ، عبد العزيز أحمد ساب ، حمزة شحاتة (توفي) ، طاهر زمخشري ، سعد البواردي ، محمد علي السنوسي ، عبد

---

(١) توفي عام ١٣٩٩ هـ .

(٢) كل المشار إليهم بهذا الرقم توفوا إلى رحمة الله تعالى .

الله أحمد شباط، أمين سالم الرويحي (توفي) ، عبد السلام الساسي ، محمد أمين يحيى ، عبد الله الحصين ، حسين سرحان ، محمد أحمد باشميل ، أحمد عبدالغفورغطار ، هاشم علي نحاس ، محمد أحمد فقي ، عبد العزيز مؤمنة ، عبد الله بن خميس ، عبد الكريم بن جهيمان ، محمد بن السليمان الشبل ، محمد حسن كتبي (أصبح وزيرا للحج والأوقاف ثم تقاعد) ، عبد الله خياط ، ثاني المنصور ، محمد علي قطب ، احمد علي ، إبراهيم أمين فودة ، عبد الله جفري ، محمود عبد الوهاب ، ناصر قاسم ، سعيد آدم ، عبد الوهاب آشي ، عمر عبد الجبار ، عبد الحميد الخطيب ، خالد الفرج ، عبد الله بن إدريس ، عبد الرحمن العبيد ، صالح العثيمين ، محمد عمر عرب (توفي) ، احمد زكي يماني (أصبح وزيراً للبترول) ، محمد سعيد عبد المقصود ، عبد الله الغاطي ، سليمان قاضي ، محمد علي مغربي ، أحمد عبد الله القاضي ، إبراهيم العلاف ، عبد الله أحمد الداري ، هاشم عبده هاشم . وغيرهم . . وغيرهم .

* * *

وأخيراً هذه سطور من حياة المؤلف لهذا الكتاب :

● عبد السلام بن هاشم بن عثمان بن علي بن محمود حافظ . . ولدت بالمدينة المنورة ـ الوطن ـ مع أذان العشاء ليوم الاثنين السابع من جمادي الأولى سنة ١٣٤٧ هـ الموافقة لشهر أكتوبر ٢٢ من عام ١٩٢٩ م وكانت ليلة شاتية لعلها حفرت بزمهريرها في أعصابي ما جعل في جسمي الاستعداد لإصابتي بالروماتيزم في سن مبكرة وأنا فتى وأظل أعاني به طيلة عمري . .

توفي والدي السيد هاشم إلى رحمة الله في أوائل سنة ١٣٤٨ هـ وأنا بعد لم أستكمل عامي الأول ، وهو بعد في العقد الخامس من عمره ،

وكان قد تزوج مرات ثلاثاً ، الأولى من بيروت ولها نسب في تركيا وكان هو يتنقل فيما بين الحجاز وأضنة بتركيا ـ في رحلتين كل عام حيث يبيع ما ينقله من الحاجيات منهما وإليهما ، وقد يأتي من هناك ببدل حج يقوم بأدائه لمن يوكلونه به ، وهو في ورعه وتقواه مضرب للأمثال ـ كما حدثني عمي رحمه الله ـ وهو متصوف يحفظ القرآن عن ظهر قلب كما يحفظ الكثير من الأحزاب والدعاء والصلوات لمشائخ الصوفية . . وما كان بحريص ليجمع مالا أو عقاراً . . وخلف من زوجته تلك إخوتي السادة : أحمد وعلوي وأمينة ، وأراد نقلهم إلى المدينة ، فرفضت زوجته لتشبثها بأهلها هناك ، فاضطر بالزواج بالمدينة من أخت الشيخ عليم سنبل ولكنها توفيت ، ثم بوالدتي في منتصف سنة ١٣٤٦ هـ وكانت هي قد توفي عنها زوجها الأول الشيخ حمزة رشيدي مخلفاً لها بنتا ـ هي اليوم زوجة ابن عمي السيد خالد حافظ ـ ولقد جاء والدي بابنه (أحمد) و ابنته (أمينة) إلى المدينة وبقي (علوي) عند والدته في بيروت[١] . . .

ووالدتي السيدة ملكة ابنة الشيخ إبراهيم جليدان الذي كان له في عصره مكانة اجتماعية مرموقة ـ كما لأبنائه اليوم في المدينة .

بعد وفاة والدي بقيت وأمي وأختي لأبي ، في منزل أحد الأخوال ـ وهو الشيخ يوسف جليدان وأرضعتني زوجته كثيرا ، بينما بقيت أختي لأمي في كفالة عمها الشيخ محمد رشيدي الفقيه والفلكي المعروف في المدينة ، رحمة الله عليه ـ وقد سبق أن توفيت زوجة عمي السيد عبد القادر ـ فما لبث أن تزوج بوالدتي وكفلني وأنا في نحو الرابعة من العمر . وفي ذلك الحين أصبت بحمى . . فاستدعي محمد خاشقجي[٢] وكان فيما نعتقد (تمرجيا) يتعلم

---

(١) انتقل أخي علوي إلى العراق ثم إلى أضنة بتركيا وأقام بزوجه التي خلف منها ثلاثة أبناء، (ثم توفي هناك) .

(٢) أصبح فيما بعد مستشاراً لوزارة الصحة ثم مديراً لإحدى الشركات بالمملكة، (وقد توفي) .

الطب في أجسام الناس في عهد لم تكن لدينا فيه الوسائل الطبية متوافرة ، فأعطاني حقنة في العضل الأيمن ثم بالعضل الأيسر ، ولما أصبحت في اليوم الثالث كان النصف السفلي لا يتحرك . . أو ليست هذه جناية ومأساة ؟! ولكنهم اعتبروها قضاء محتوما على الطفل في غير لوم أو محاكمة لمن تسبب في ذلك ، وكان علاجا بدائيا: من تدليك ودهانات وكيّ ، كرروه علي وأنا في سن الثانية عشرة أيضاً . . وقد لطف الله بي ، وحمدته والدتي كثيراً على نجاتي ، وقد بقي أثر بين من ذلك ، هو ضعف في عضلات الساقين وقصر بسيط في اليسرى .

في السادسة من عمري أي سنة ١٣٥٣ هـ ـ أدخلت (الكتّاب) وكان مجاورا لمسكننا ـ حيث حفظت نحو نصف القرآن ،ومنه انتقلت سنة ١٣٥٥ إلى المدرسة التحضيرية ، وفي سنة ١٣٥٨ هـ كان النجاح إلى المدرسة الناصرية الابتدائية ، حيث درسنا بنظام[١] الابتدائي القديم ، أربع سنوات ، تلقينا فيها دروس اللغة الانجليزية أيضا . . ونلت الشهادة الابتدائية العالية سنة ١٣٦١ هـ بتفوق[٢] ، وفي هذه السنة تعرضت لأزمات الخفق الشديد في القلب ثم إلى آلام في المفاصل الأمر الذي حال دون مواصلتي للدراسة الجامعية ، وكنت تحت تجارب الأطباء الذين قالوا فيما بعد بأن الروماتيزم وجد القلب ضعيفاً فاستقر فيه ، ورحت أرضي هواياتي في المطالعة والبحث ، ومن يومها وأنا في شبه عزلة للدراسة والتحصيل ، وترددت على بعض علماء المسجد النبوي آخذاً

---

(١) يعادل هذا النظام السابق دراسة النظام الثانوي في أيامنا هذه وكانت السنة التي تخرجنا فيها هي السنة التي انتهى فيها ذلك النظام القوي للتعليم .

(٢) من زملائنا في التخرج ـ آنذاك ـ الأساتذة حمزة عابد وأحمد ملا وعبد الله الصهيل وعلي الشاعر ، وسواهم ممن واصلوا الدراسات الجامعية واختار كل منهم اتجاهه في الحياة و أصبح يشغل مركزا في الدولة أوفى المجتمع .

منهم وأسأل عما يشكل عليّ في قراءاتي ، كما لازمت بعض الوقت التردد على (الكتبخانة) ـ مكتبة عارف حكمت ـ باحثاً ودارساً لفنون الأدب في أصوله ومراجعه الكبرى ، وما كان يعنيني شيء في أمور الحياة المعيشية ، إذ كان عمي ـ رحمه الله ـ موفراً لي وسائل الراحة التامة ، بل وينصحني أن لا أفكر في الإشتغال بشيء ، وأن أنصرف إلى قراءاتي ودراستي ـ إذ ربما يكون لي بها شأن في المستقبل . . وكان مخصصا لي بضعة قروش يوميا ، فأقتصدها وأشتري بها ما يستهويني من الكتب الأدبية قديمها وحديثها في الشعر والقصة والبحوث المختلفة . . وهكذا كان قد تهيأ لي الجو المناسب للدراسة ، وإن كانت أزمات القلب تعاودني بين كل فترة وأخرى ، ولقد تأثرت كثيراً بحياة عمي المتصوفة ، ونشأت في ظل تقاليدنا الشرقية السامية ، وأنا قوي الإيمان أحرص ما أكون على مقوماتنا الروحية في الأخلاق الفاضلة وفي المثل العليا التي نبعت من هذه البلاد المطهرة ، وما أحرانا بأن نقدسها ونحرص عليها و نشيعها وندعو لها في كل وقت ومكان .

في أوائل عام ١٣٦٢ أردت أن أسلك في ميدان الوظيفة ، وبقيت أعمل سكرتيراً لمعتمدية المعارف عاما كاملا بدون أجر ، إذ كان ينتظر الموافقة على هذه الوظيفة اعتبارا من الشهر الذي عملت فيه . . وطال الانتظار ، وتركتها بصدمة نفسية للوظائف .

في ربيع ١٣٦٣هـ رفرف القلب في هيكل حب حالم لطفلة لم تكن قد جاوزت الثامنة إلا قليلا ، فاستمد اليراع إلهامه ، والفكر خواطره ، وظل هذا الحب البريء بين وهم وأحلام وأماني ـ سبع سنوات ، سجلتها في مذكرات كتابي (الحب القدسي) . . هذا عدا ديوانين من الشعر ، ولكن أثر تلك العاطفة لا تنفك تصاحب الخيال كلما مرت بي التجارب في

الهوى العفيف وفي الغزل والنجوى ، وقد اتجهت إلى الشعر القومي منذ أكثر من عشر سنوات . .

وما كان شيء ما ليثنيني عما أنا منصرف إليه في دراسة الأدب بعمق ، سواء في متونه القديمة أم في ألوان الثقافة الحية أم في المذاهب الأدبية الحديثة التي تأثرنا بها ومارسناها ، فكما درست المعري والمتنبي وابن الرومي وسواهم ، كذلك درست جبران ومصطفى الرافعي وطاغور والشابي وعمر بن أبي ريشة وغيرهم . فإن ما كان هواية واستطلاعا ، أصبح رسالة ومسؤولية . وهكذا فإن كل حلقات أيامي بين الاطلاع والتثقيف والتركيز والإنتاج . . حركة فكرية دائبة في كل وقت . . في السفر والحضر . . ألم أقل إنها رسالة ومسؤولية ؟! .

في منتصف عام ١٣٦٩ هـ قمت بأول رحلة خارج مسقط رأسي المدينة ، حيث قمت باتصالات ببعض المسؤولين في الحكومة في مكة وجدة ؛ وسافرت إلى مصر لمدة شهرين بقصد العلاج وأجريت لي عملية استئصال اللوزتين .

في عام ١٣٧٠ هـ عملت محاسبا في مكتب تجاري ، ثم تركته حيث اشتركت مع أخي زهير في افتتاح دكان للبقالة ـ وذلك في منتصف عام ١٣٧١ هـ ـ على أمل واستعداد للزواج بصاحبة ذلك الحب الحالم ؛ ولكن مشروع الزواج يفشل ، وأشعر بنوع من اليأس . . والفكر في اضطرام . فنظمت يومها ديوان « مذبح الأشواق » وبعثت به إلى صديق بمصر[١]

---

(١) هذا الصديق هو الأستاذ فهمي عويس الذي كان موظفا بوزارة الأوقاف بمصر ، وأحيل إلى المعاش ؛ وقد عرفت فيه مثال الصداقة الحقة والمحبة الأخوية الخالصة ؛ وهو أديب ومكافح ظهر له كتاب « شهيد كربلاء » وكانت كبرى أمانيه حج بيت الله الحرام والزيارة ، ولكن توفي فجأة في رمضان سنة ١٣٧٨ هـ .

لطبعه كأول أثر يظهر من إنتاجي .

وإنني لفي لج من الوهم والحيرة ، يتوفى عمي السيد عبد القادر في رمضان سنة ١٣٧١ هـ . وأجد نفسي في حالة قلقة ، ويستبد بي الإحساس لأترك وطني ، وأسافر بعيداً عن الأمكنة التي تثير فيَّ الحزن والأشجان ، فتركت العمل مع أخي زهير، وبعت مكتبتي وتهيأت للهجرة إلى مصر ، وبعد أن أديت فريضة الحج ، رحلت في أوائل شهر ربيع الأول سنة ١٣٧٢ هـ . حيث أقمت ثلاثة عشر شهراً في القاهرة ، بين العلاج والاتصال بالنوادي الأدبية والتعرف على عدد من الأدباء ، ثم محاولة إيجاد عمل أتعيش منه ، وكنت أنفق بحساب دقيق من المبلغ الذي كونته قبل رحيلي ، ولأول مرة آخذ أجراً على ما أكتب حيث اتفقت مع صاحب مجلة (الفصول) ونشرت بها ثلاث مقالات ، ويومها أكملت قصة « سمراء الحجازية » وسعيت عبثاً لإخراجها سينمائيا ، بالرغم من الحكم لها بصلاحيتها وجدية موضوعها ومكانتها ، وكنت قد حققت في دار الكتب المصرية كتاب (الأحكام النبوية في الصناعة الطبية) للإمام الحموي ، واشتراه مني بثمن بخس صاحب مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي ونشره في عام ١٣٧٤ هـ .

في أوائل سنة ١٣٧٣هـ . اتصل بي ابنا عمي : صاحبا الجريدة لأعود إلى الوطن والعمل معهما في تحرير الصحيفة بالمدينة ، فأعود في أواخر شهر ربيع الثاني ١٣٧٣ ، ولكن العمل لم يتيسر لي بالجريدة ، فعملت كأمين لمكتبة مشروع توسعة المسجد النبوي الشريف ـ اعتبارا من شهر جمادى الثانية ١٣٦٣ هـ وبمرتب ضئيل .

في تلك السنة بدأت والإخوة من الأدباء بالمدينة ، ندعو لتكوين رابطة أدبية أسميناها (رابطة الأدب الجديد) وحاولنا أن ننتج بها ـ ولكنها

ظلت إسما فقط ، حتى عندما سعينا لتطويرها وأردنا النشاط والخروج بها إلى حيز العمل ودعوناها (المجمع الأدبي) ـ ودعوت أنا لها في أواخر سنة ١٣٧٧ هـ في صحيفة المدينة وفي غيرها ، ودعت الصحف وبعض الأدباءلمناصرتها . . ولكن الأوضاع حولنا لم تشجعنا . . وحالت ظروفها دون العمل ، وظلت الرابطة اسما إلى الآن ، وإنني لأرجو الله ، أن يأتي اليوم القريب ، ليؤدي (المجمع الأدبي) عن المدينة عملا نفخر به ، ولا ندخر وسعا حتى يتحقق ذلك بمشيئة الله .

في منتصف عام ١٣٧٤هـ سافرت إلى مصر للمرة الثانية ـ التماساً أيضا لما يجد من علاج ـ وكنت قد اتفقت مع الزملاء الأدباء بالمدينة لنصدر مؤلفاتنا في سلسلة كتب شهرية ، يساهم كلنا في إصدارها ، بالإتفاق مع شركة توزيع ، ولكنهم لم ينفذوا الاتفاق . . فأخرجت أنا ثلاثة من كتبي ، هي : مجموعة قصص « قلوب كليمة » وتاريخ « ثورة الجزيرة » وملحمة « راهب الفكر » الشعرية . . وفي هذه الرحلة قدر لي أن أتزوج في شهر ذي القعدة سنة ١٣٧٤ هـ ، من ابنة الأستاذ حسين فريد محمد[١] ـ وهو من أسرة مصرية محافظة من أهالي بور سعيد أصلا ـ والفتاة مثقفة متدينة مخلصة .

وعدنا إلى المدينة في محرم سنة ١٣٧٥ هـ ، ولم يمض عام حتى رزقنا بالزهراء ثم بشقيقها (عبد الناصر) في منتصف سنة ١٣٧٨ هـ ، ثم رزقنا بأربعة أبناء غيرهما .

كنت في أوائل ربيع الثاني سنة ١٣٧٥ هـ قد دخلت في سلك الوظيفة الحكومية ـ محرراً لقسم المباحث والتحقيقات ، ثم محققا لقسم التنفيذ بالشرطة ، وقد تيسر لي أمر العلاج لحساب الحكومة ، كموظف

---

(١) موظف الآن باشكاتب في مصلحة المناجم والوقود بالدقي (ولكنه تقاعد) .

بها ـ بعد أن خابت كل المساعي السابقة ـ ولم يمض عام حتى تقدمت للكشف الطبي على أثر أزمة صدرية في منتصف عام ١٣٧٦ هـ وجاءت الموافقة لسفري إلى مصر لإجراء عملية جراحية لفتح الصمام الميترالي بالقلب ومعالجتي لحساب الدولة ، وكانت العملية دقيقة وخطيرة ، وقد أراد الله نجاتي ، ولكن ضربات القلب بقيت على حالها من الاختلاط ، وبقي الروماتيزم في مفاصل الكتفين يتحرك علي كلما وجد إلى النشاط سبيلا . فيتمدد على عضلات الصدر بينما يشتعل الجسم بالحماء ، وتتكرر بذلك الأزمات العنيفة التي كأنما قدرت لجسمي تلازمه كنبضات الحياة . . وبسببها سافرت إلى مصر مرات ثلاثا بعد ذلك ، التماساً للعلاج وفي هذه المرة الثالثة اضطررت إلى طلب التقاعد عن العمل وأقمت بمصر منذ شعبان سنة ١٣٧٨ هـ حتى يتهيأ الوقت المناسب لصحتي وظروفي ونعود إلى الوطن المقدس ، وكلي حنين إليه وإلى ربوعه الحبيبة وأجوائه الطاهرة . . وقد شملني العطف الملكي حيث أصبح يصرف لي الراتب البسيط كاملا .

في جمادي الثانية سنة ١٣٧٧ هـ التزمت تحرير الصفحة الأدبية بجريدة المدينة المنورة . . وذلك استجابة لرجاء بعض الناشئة والقراء[1] . ومنذ بداية عام ١٣٨٠ هذا ـ أصبحت أكتب صفحة ، الحركة الأدبية في العالم العربي » لمجلة (قافلة الزيت)[2] الشهرية التي تصدر في الظهران .

هذا وفي نهاية كتابنا هذا ثبت بمؤلفاتنا المطبوع منها والمخطوط .

وأخيرا (صفحات من حياتي) ، وهي مذكراتي الخاصة التي أكتبها

---

(١) و(٢) توقفت عن تحرير هذه الصفحة في حوالى منتصف هذه السنة ١٣٨٠ لأن ظروف الجريدة أرادت ذلك، ثم توقفت عن القافلة في أواخر سنة ١٣٨٣ هـ بإرادتها .

بين كل حين وآخر ، وستبقى أسجل فيها من خواطري وشؤوني وما يحيط بي حتى اليوم الأخير من حياتي . . ولعل أهم ما تجدر الإشارة إليه هنا هو قيامي بتأليف موسوعة عن جميع المذاهب دعوتها : (المعلمة العربية للمذاهب العالمية) وقد تأخذ وقتا أطول مما كنت أقدر ، والله أسأله العون والتوفيق .

وهكذا فإن الأيام سوف تمضي ، وستولد مؤلفات أخرى في شتى هذه الفنون الأدبية التي أزاولها وأتابعها بالدراسة والإنتاج في إيمان كبير بهذه الرسالة ـ وحتى على حساب صحتي ـ بل وإن كنت في قلق وحيرة متصلين ولا يكادان يسلواني ، وإنني لبينهما وبين الألم الخالد أحيا الحياة بآمال كبار، وبعزاء عليّ واجده في يوم ما . . فعندما قلت عن هذا الفنان في ملحمتي الشعرية « راهب الفكر » :

هو قمة شماء تضرمها الفنون
لتضيء للناس الطريق وتحترق

قلت أيضا :

عشق الحياة لفنه وعذابه
وهل الحياة سوى عذاب دائر ؟

وقلت في ختام قصيدة الفجر الراقص :

ظل فجرا حالم الإشعاع . . معطار الندى زاهي المرائي
ظل حلما في خيالي . . عاش أشواقا يناجيها رجائي
عدت أحيا . . واللظى سكرى وما أجنيه من ذكرى بقائي
عدت أشدو واهما . . واللهب المشبوب يكوي في دمائي
قسوة الأيام ما أبقت على حلمي ولا ردت عزائي

يـرقص الفجـر عليهـا . . شهقـة المفجـوع في ليـل الشتـاء !

ومن الشعر الوطني قلت في قصيدة « سنعود يا وطني الحبيب » قلتها عن فلسطين :

أنـا لم أنـم أبـدا ولا عـاقـني
عـن تـضـحـيـاتي حـكـم قـوم عـتـاة
عـاشـوا على ظـلمـي فـما هـابـني
سـيـف ولا نـار تـذل الجـبـاه
أنا يا فلسطين الحبيبة لن أهون
أنـا ثـورة الـشـعـب الأبيِّ المـجـيـد
وصـراع إخـوان لـنـا في الـنـضـال
سـنـوحـد الأمـل الـسـنيّ الـعـتـيـد
ونـزيـل أحـقـاد الـورى والـلـيـال
ونثير بركانا يريع الطامعين

وفي قصيدة (الثائر الأعظم) سيدنا محمد ﷺ قلت :

يـا لـيـلة المـيـلاد عـودي بـالجـهـاد
عـودي عـلـيـنـا بـالـكـرامـة والـوداد
وهـدى الـبـشـير محـمـد يـسـمـو بـنـا
ويـوحـد الأهـداف في نـيـل المـراد
ويـطـهـر الأوطـان مـن شـر الـعـدا
فـتـنـير أضـواء الهـدى سـبـل الـعـبـاد
ونعود قوما ناقمين على الرقاد

وفي قصيدة (أخلد حب) المهداة لأبطال الجزائر المجاهدة قلت :

عـيـدنـا الـقـوميُّ أن نُـجلي عـدانـا
مـن طـغـاة الحـكـم عـاثـوا في ربـانـا
عـيـدنـا نـصـر الأمـاني في حمـانـا
وحـيـاة الـعـز والـعـليـا هـوانـا

في ديـار الـعـرب والـشـعـب الـذي صـاغ الحـسـام
نـفـتـديهـا بـالـدم الـزاكـي ونـسـقـيـهـا هـيـام
حـبـنـا المـعـبـود يـبـقـى بـيـنهـا أغـلى وسـام
فـهي حـلمي .. وهـي عشـقي .. وهْـي عـزٌ في للسـلام

وفي نشيد « صرخة البعث » المهدى إلى الجامعة العربية قلت :

سـنـعـلنهـا ثـورة لـلزمـان
ونـرخص أرواحـنـا الـطاهـرة
ونمـشـي عـلى الـدم في عـزة
نـشـيـد بـآمـالـنـا الـزاهـرة
ونـبـعـث في الـكـون طـهـر الحـيـاة
لـنـرفـع في الخـلد أسـمـى عـمـاد
فنحن شعوب الهدى والرشاد

والشواهد كثيرة في دواويني التي أرجو أن أوفق لإظهارها إلى دنيا النور مع المؤلفات الأخرى قبل أن يحم القضاء ويتوقف النبض ، ومن ثم يتوقف هذا القلم ويرتاح صاحبه .

* * *

(١) طبعت العديد من المؤلفات والدواوين ولا تزال تصدر .

المدينة المنورة في العصر الحديث

قبل نحو من نصف قرن ، كانت بعض ألوان الفوضى والاهمال - لا تزال سائدة في الحجاز ، وكان الحجاج إلى الديار المقدسة معرضين لقطاع الطرق فيما بين مكة والمدينة وجدة . . . ومعظم هؤلاء كانوا من أهل البادية الشرسين ، حتى أن الأهالي كانوا يتعرضون لغاراتهم وسلبهم .

وهناك من الشواهد حتى في أدب أعلام تلك الفترة . . ومنها قول العالم والأديب المدني الشيخ محمد العمري - من قصيدته سنة ١٢٣٠ هـ في قبيلة (بني حرب) الذين كانوا يعتدون على أطراف القبيلة -

« رويدا بني حرب تغاديكم الحرب
ويجتاح ما خولتم الطعن والضرب
فأنتم قدحتمْ بالزناد شرارها
فأضحتْ سعيرا لا يبوخ ولا يخبو »

كان ذلك والسلطات الهاشمية الحاكمة منشغلة عنها بالمنازعات سواء مع ركيزتها المتمثلة في الدولة الانجليزية ، أو مع تلك الحركة القادمة من شرقي الجزيرة العربية - لآل سعود سنة ١٣٤٣ هـ للتوسع في سلطانهم ، وضم بلاد الحرمين الشريفين إلى حكمهم . . وقد كان الحظ حليفهم ، وأراد لهم الله النصرة ليتولوا أمر هذه المنطقة الطاهرة . . ومنذ

هذا العهد عاد الأمن إلى الحجاز يضرب أطنابه ، وقد قضى عل كل تلك الأيدي العابثة التي ظلت سنين طويلة تروع وتهدد سلامة المواطنين والحجاج .

ولا ننسى أن نشير إلى ما أصاب حياة المدينة من تغير ـ في تلك الفترة ـ بسبب ما قامت به السلطات التركية الحاكمة ، بإرغام جميع أهالي المدينة على السفر إلى الشام . . حيث خلت المدينة ، ولم تبق بها أية عناصر للمقاومة . . لقد خلت إلا من نفر قليل ، وتتكرر نفس السيرة التي كانت عليها المدينة منذ أكثر من ألف عام ـ أيام العالم الجليل سعيد بن المسيب الذي رفض البيعة لبني أمية وكان ما كان من قصته المعروفة .

وقد بقي أهل المدينة في الشام قرابة عامين عادوا بعدهما إلى هذا الوطن المقدس ، والبعض منهم بقي في الشام يزاول عملا وفق إليه . . وكان أن أثرت هذه التصرفات في كافة أوضاع المدينة التي نهبت مساكنها ونفقت حيواناتها وأمحلت أرضها . . وكأنما هي موعودة بهذه المصائب ومتاعب الحكام ، ولكن هذا هو وضعها الاستراتيجي لمن كانوا يطمعون في السيطرة على حكم الحجاز . . ومرت الأيام والمدينة تأخذ بنصيبها من التطور ولكن في إطار ضيق ، كنصيب بعض المدن الهامة في المملكة السعودية المترامية الأطراف اليوم . .

ولعل الحركة التعليمية تعتبر أبرز نشاط يسود البلاد اليوم . . وقد عمت في المدينة وضواحيها المدارس الابتدائية والثانوية ، وفيها معاهد المعلمين ومدارس للأيتام وتعليم البنات ثم أخيراً « الجامعة الإسلامية » التي اعتمدت الحكومة إنشاءها قريباً في مهد الهدى بالمدينة المنورة كمنارة لنشر العلوم والثقافة الدينية ، ونأمل أن تتحقق بها الرسالة التي وجدت

---

(١) بمرور الزمن وتزايد الذهب الاسود ، نشطت ميادين الحياة بكافة مدن المملكة وشمل التطور الكثير من المرافق .

من أجلها ، وهناك أيضاًمدرسة العلوم الشرعية التي كان قد أسسها في عام ١٣٤١ هـ المرحوم السيد أحمد الفيض آبادي ، وتولى إدارتها بعد وفاته ابن أخيه الوجيه السيد حبيب محمود التاجر المعروف بالمدينة، ثم (مدرسة الصحراء الخيرية) التي أنشأها إبنا عمي السيدان علي وعثمان حافظ في منطقة المسيجيد عام ١٣٦٥ هـ لتعليم أبناء البادية هناك[1] ، ثم (مدرسة التهذيب الخيرية) التي أسسها ويقوم بشؤ ونها الأديب الأستاذ السيد عبد الرحمن محمد المدني ، وهو الناظر على وقفها، وقد تطورت كثيرا .

ونشط العمران حتى عاد امتداد المباني إلى سابق عهده خارج المدينة وبوسائل البناء الحديثة الأنيقة .

كذلك ترى بعض الطرق الرئيسية مسفلتة ، وشوارع جديدة تفتح ، ومستشفيات تستقبل المرضى ، وساحات الرياضة وألعاب الكرة تستوعب نشاط النشء، والحركة التجارية تغمر الأسواق المكتظة بألوان الواردات الخارجية من ملابس وأدوية وكماليات وأدوات منزلية ومكتبات وغيرها .

والكهرباء تضيء في كل مكان ، كما تسير المياه النقية إلى كل منطقة ، والجدير بالذكر أن أول من أدخل الكهرباء منذ نحو عشر سنوات إلى المدينة هو الشيخ بكري السمكري[2] التاجر المعروف بها، وصاحب أوتيل (قصر المدينة) الذي يعد اليوم من أفخم فنادقها الحديثة .

كما أسس السيد محمود أحمد مصانع الثلج ويعتبر أول من أنشأها وأقام مطاحن الحنطة الميكانيكية منذ بضع سنوات .

---

(١) إنضمت مدرسة الصحراء هذه إلى ملاك وزارة المعارف فأصبحت تابعة للحكومة في أوائل هذا العام ١٣٨٠ هـ .

(٢) انتقل إلى رحمة الله تعالى ، وأصبح صاحب الفندق إبنه الشاب أحمد بكري وقد أنشأ فندقا آخر باسم (الحجاز) .

وهناك أيضاً أعمال بسيطة نموذجية . . سواء في حقل الدواجن وتوابعها أو في الزراعة ، أو تعبئة التمور ، أو صنع السجاد ، ولكنا نرجو أن تمتد إليها وإلى غيرها الخيرات الواسعة والتشجيع المادي والعملي ، لتصبح مناطق إنتاج تزودنا بما نحتاجه لحياتنا ، وتفيد منها البلاد اقتصادياً على الأقل[1] .

أما عن النهضة الفكرية ، فإن العلم والأدب المتوارثين طبيعة أولى أو هي الطبيعة المميزة ، في أهل هذه البلدة الطيبة الكريمة .

وظهرت فيها أول مجلة أدبية تحمل إسم « المنهل » أنشأها الأستاذ عبد القدوس الأنصاري سنة ١٣٥٥ هـ . وانتقل بها إلى مكة فيما بعد ، وقد احتفل في هذا الشهر ببلوغها خمسة وعشرين عاماً ، وأصدر عنها كتابا فضياً ، يعتبر موسوعة للنهضة في المملكة وفي انتاج المنهل في جهاده الثقافي المستمر .

ولم يمض عام ـ أي في سنة ١٣٥٦ هـ ـ حتى كان الشقيقان السيدان علي وعثمان حافظ ـ قد أصدرا جريدة « المدينة المنورة » بعد أن استوردا لها مطبعة كاملة من مصر ـ وتعنى الجريدة بشؤون المجتمع والأدب والسياسة ، وهي تصدر منذ عام مرتين في الأسبوع بعد أن كانت أسبوعية . (أصبحت يومية منظورة) .

وهنا لا ننسى أن نشيد بدور تلك (الندوة الأدبية) التي كان يقيمها الرواد الأوائل من أدباء المدينة ـ بساحة المدرسة الناصرية ، لإلقاء المحاضرات التوجيهية القيمة وبث الوعي الثقافي في الجماهير ، ومن

---

(١) لا بد أن نشير الى الانشاءات الحديثة في مختلف مجالات الحياة ، فقد أقيمت مؤسسات عديدة عن كل ما تحدثنا عنه في هذه السطور وبشكل مشرِّف . كما عممت وسائل التقدم العصري معظم احتياجاتنا .

أعضاء هذه الندوة المبرزين ، أصحاب جريدة المدينة المنورة ، وصاحب مجلة المنهل . والأساتذة : ضياء الدين رجب ، وحسين زيدان ، وأحمد العربي ، وعبد الحميد عنبر ، وسواهم من حملة القلم والنهضة الأدبية الحديثة .

ونبغ أدباء الشبيبة ، وحاول ـ فيما بعد ـ بعضهم ، كما حاول معهم كاتب هذه السطور ، إصدار مجلات أدبية ، وحالت الظروف دون وجودها في ركب الوعي ، ويُبتعث من استكمل تعليمه إلى التعليم الجامعي في الخارج ويتخصص آخرون في مجالات مختلفة وهكذا .

وتأثرنا نحن الشباب في دراستنا بالآداب الحديثة والمذاهب الأدبية المختلفة ، ومما نطالعه في كنوز الأدب القديم ، ومما تحمله لنا مؤلفات إخواننا أدباء العرب والمهجر . . من مصر إلى العراق وإلى ما جاورهما . وما يترجمونه من فنون ودراسات وثقافات منوعة[1] .

وهنا نشء يتثقف ، وبراعم تشارك في المعرفة ، لتثبت وجودها قريباً أو بعيداً ، وقد حفل هذا القرن بالأعلام من العلماء والأدباء المجيدين ما حقق للنهضة الفكرية عندنا أن تزدهر ، متعاونين مع زملائنا أرباب القلم في سائر أنحاء المملكة ، وقد ظهرت لنا ولهم ألوان من المؤلفات القيمة في الشعر والقصص وفي البحوث الدينية والاجتماعية والسياسية وفي المقالات والنقد وغيرها . وحفلت صحفنا ومجلاتنا في سائر أنحاء المملكة بإنتاج الأقلام المحلية النابضة بالمعرفة والأفكار الواعية الموجهة ـ

---

(١) لا ننسى أن نشير إلى ما أصبحت تديره وتقوم به الرئاسة العامة لرعاية الشباب بالرياض من انشاء الأندية الأدبية ، في كل مدينة من مدن المملكة ، ومكتب خاص لرعاية الشباب لمختلف الأنشطة الثقافية . والاشراف على الجمعية العربية السعودية للفنون والثقافة ، هذا والرئيس العام لرعاية الشباب هو الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز كما أن مدير ادارة الأندية الأدبية هو الشاعر الأستاذ أحمد فرح عقيلان .

حتى لقد زحفت هذه الأقلام إلى صحافة البلاد العربية المختلفة . . . ذلك عن الثقافة .

أما عن المجتمع وأوضاعه . . فإنه على عادته الطيبة من سمو الخلق والمحافظة وكرم الجوار وحسن الثقة والتفاهم . هو هذا المجتمع العربي السليم . . الذي يبغي النهوض ويتطلع إلى العزة ولا يقبل التواكل والضيم ـ سواء في المدينة أو في معظم بلدان المملكة ـ

ولقد سبق أن كتبت فصلا وافياً بعنوان « صورة من المجتمع » ضمن كتابي « ثورة الجزيرة » وتحدثت فيه عن عادات الزواج والأعياد والحب والمرأة والتأبين والحياة اليومية كما كانت عليه قبل عشرة أعوام[1] . . إلا أن الفهم الواعي في الأسرة قد تطور ، وأخذت البلاد بكثير من أسباب التقدم بما يتفق وأوضاعها الشرقية وجلال الروحية التي تتنفسها هذه البقعة المقدسة من مدينة رسول الله ﷺ ـ منار الحق والهدى ـ ويستطيب بها أهلها وقصادها الأكرمون . . وحسبك من دليل ما تتركه المدينة في نفوس الحجاج والزوار من تقدير لبنيها وأهلها وإعجاب بأخلاقهم العالية وبالتعامل الودي في الترحيب والتكريم ، وهم يكادون يشكلون أسرة واحدة لتزاوجهم واتصالهم بأنساب بعضهم البعض .

فالمدينة المنورة اليوم على عهدها من الجلال والقدسية . . . وأهلوها على عهدهم أيضاً من التقوى وإخلاص الضمير والسمو النفسي . .

أما التقدم الحضاري فإنما يمتد في أسباب المعيشة وتكييف وسائلها ،

---

(١) من أجمل العادات القديمة والمعمول بها حتى الآن في زيارات عيد الفطر بالمدينة المنورة ـ أن أهلها قد خصصوا كل يوم من أيام العيد لمعايدة الناس في حواري معينة : فاليوم الأول يتزاور فيه الأهل والأقارب ، وفي اليوم الثاني لمحلة الساحة ، والثالث للمناخة ، والرابع لمحلة الأغوات . وقد نشأت مناطق سكنية جديدة انضمت كل منطقة الى ما كان قريبا منها من الحواري .

وما يوجد في المدينة من مصانع إنما يعتبر صناعات يدوية وآلية . . فنجد منها ثلاثة مصانع للتمور ، أحدها عام . . ومصنع الشينكو ـ للقدور والصحون وخلافها . . ومصنع السبح ـ وهو ينتج أصناف السبح ، وله فروع للمطاط والبلاستيك . . ثم مصنع السجاد الفردي الذي نأمل أن يلاقي من التشجيع ليستطيع تقديم إنتاج أفضل وأنفع[1] .

كلمة أخيرة :

كنا ذكرنا في الطبعة الأولى من كتابنا هذا أسماء مديري الإدارات الحكومية في ذلك الحين ، ولأنهم يستبدلون بين كل حين وآخر لظروف الحياة الطبيعية ، فإننا نكتفي بتسجيل أسماء الإدارات كأجهزة بناءة لاحتياجات البلد والمواطن ، على أن نذكر من الشخصيات المؤثرة على سبيل المثال وليس الحصر . .

ففي المدينة المنورة كالمدن الكبرى ـ جميع المصالح ودوائر الحكومة وفي مقدمتها الإمارة بجهازها المنظم ، ثم الشرطة والدفاع العسكري والدفاع المدني، والمباحث العامة والاستخبارات ، والمحكمة الشرعية والمحكمة المستعجلة، وكاتب عدل ، وبيت المال ، وادارة الحرم النبوي الشريف ، وهيئة الأدلاء ، ولجنة الحج ، وإدارة الأوقاف ، وإدارة المطبوعات ، والتليفزيون ، والجمرك والمالية ومؤسسات النقد ، ومؤسسة الخطوط الجوية ومصلحة الطيران المدني ، ومندوبية وزارة الصحة ، والمستشفيات والمستوصفات والإسعاف ، ومنطقة المدينة التعليمية ، والبلدية والبريد والهاتف[1] واللاسلكي للمواصلات ،

---

(١) انتشرت عدة مشاريع حيوية مع التوسع العمراني والسكاني التقدمي .

(١) عمل الهاتف الآلي مع بداية السنة المالية في شهر رجب سنة ١٣٩٢ هـ بعد أن تم تجهيزه على كافة أرجاء المدينة المنورة ، وأصبح الاتصال ممكنا بجميع بلدان العالم عن طريقه .

والجوازات ، والجنسية ، والشؤون الزراعية ، والبنك الزراعي ، ولجنة العين الزرقاء ، ومناهل المياه ، ومصلحة المجاري ، ومندوبية مدارس البنات ، ثم بنك الرياض والبنك الأهلي التجاري وغيرهما .

واليوم تزداد الحركة التجارية وتمتلىء الأسواق بمختلف الحاجيات المعيشية الوطنية والكمالية المستوردة وتعمر الفنادق العديدة بالضيوف وخاصة أيام موسم الحج وأداء العمرة والزيارة الرجبية . . وتتوافر كافة الخدمات للمواطنين والزائرين .

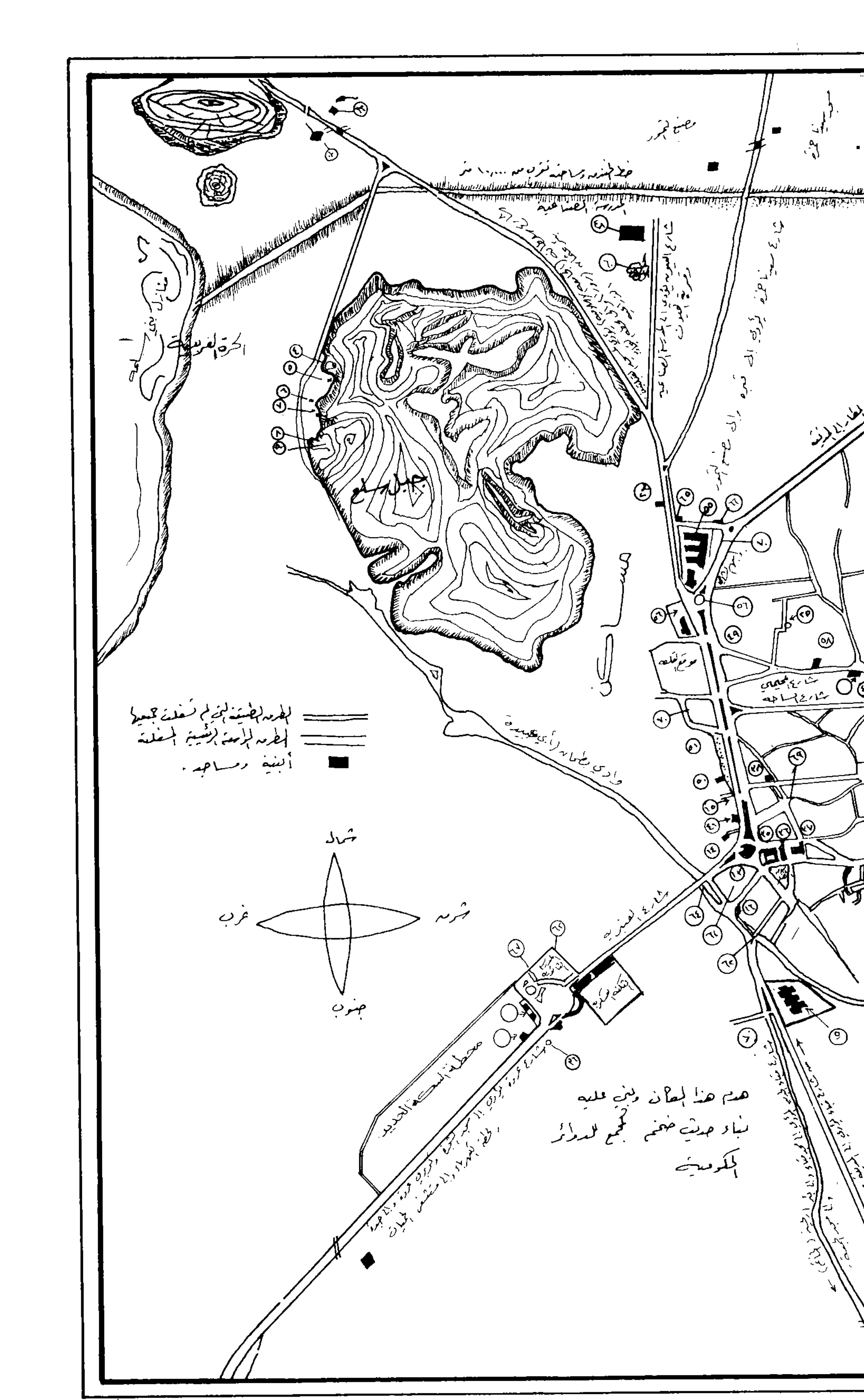
وهكذا وبمرور الأيام يزداد الانتعاش الاقتصادي والمعيشي في هذه البلدة الطيبة الحبيبة إلى قلوب ملايين المسلمين من مختلف أرجاء العالم .

والرجاء الأكبر أن تجد هذه المدينة المباركة دائماً من أولي الأمر ـ لمكانتها العظيمة ـ تلك العناية المأمولة لها والحرية بها ، لتنال حظها الأوفر من الزحف التقدمي الجديرة به في كل ألوان الحياة : من العناية بمآثرها ومعالمها إلى تنسيق المباني والأسواق . . وإلى تجميل الأحياء والشوارع المتسعة .

ثم إلى تشجيع الروابط الثقافية وتنشيط الشؤون المعيشية والعمالية على وجه العموم ، والله الموفق لما فيه الخير والإصلاح .

فس

١ المسجد النبوي الشريف
٢ مسجد قبا في شارع قبا
٣ مسجد القبلتين في شارع سلطانه (الجامعة الاسلامية)
٤ مسجد الفتح (الاحزاب) الخندق
٥ مسجد سلمان الفارسي
٦ مسجد علي بن أبي طالب
٧ مسجد أبي بكر الصديق
٨ مسجد من مساجد الفتح
٩ مسجد من مساجد الفتح
١٠ مسجد الجمعة في شارع قبا
١١ مسجد الشجرة في شارع هروة المؤدي إلى جدة
١٢ مسجد القبا في شارع هروة
١٣ مسجد المصلى (الغمامة)
١٤ مسجد أبي بكر الصديق
١٥ مسجد علي بن أبي طالب
١٦ مسجد عمر بن الخطاب
١٧ مسجد الفضيح (الشمس) في شارع العوالي
١٨ مسجد أبي ذر في نهاية شارع أبي ذر
١٩ مسجد بني ساعدة وسقيفة بني ساعدة في مثلث السلطانية
٢٠ بقيع الفرقد
٢١ قبر اسماعيل بن جعفر الصادق
٢٢ قبر أبي سعيد الخدري
٢٣ قبر النفس الزكية (محمد بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن ابن جاد ابن أبي طالب)
٢٤ قبر سيدنا حمزة عم رسول الله وشهداء أحد في شارع سيدنا حمزة
٢٥ بئر بضاعة
٢٦ بئر جاد
٢٧ بئر البصة الجنوبية المرجحة
٢٧ بئر البصة الشمالية التي ذكر بعضها المؤرخين
٢٩ بئر اريس (الخاتم) وتسمى بئر النبي
٣٠ بئر العرس
٣١ بئر السقيا
٣٢ بئر عثمان (روما)
٣٣ بئر العهن
٣٤ عمارة البنك الأهلي التجاري وفيها : امارة منطقة المدينة/الجوازات والجنسية ، العين الزرقاء ، الضمان الاجتماعي العمل والعمال وغيرهم .
٣٥ الشرطة
٣٦ المواصلات والبرق والبريد والهاتف
٣٧ البلدية حتى نهاية عام ١٢٩٢ هـ
٣٨ نقابة السيارات
٣٩ مكتب الخطوط الجوية السعودية
٤٠ ادارة مصلحة الموق
٤١ الهلال الأحمر السعودي
٤٢ هيئة الأمر بالمعروف
٤٣ مديرية أوقاف المسجد النبوي الشريف
٤٤ المحكمة الشرعية
٤٥ المكتبة العامة للمدينة المنورة
٤٦ مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت
٤٧ مصنع التمور
٤٨ المدرسة الصناعية
٤٩ مؤسسة النقد السعودي
٥٠ البنك الأهلي التجاري
٥١ بنك الرياض ٥٢ فندق بهاء الدين
٥٣ فندق التيسير وفروعه
٥٤ فندق قصر المدينة
٥٥ مستشفى الملك
٥٦ مستشفى الولادة وموقع النافورة المتوسطة ميدان باب الشامي
٥٧ مستوصف باب السلام
٥٨ مديرية التعليم في شارع السحيمي
٥٩ مكتب الرئاسة العامة لتعليم البنات في شارع المطار
٦٠ جبل رباب ويسمى اليوم جبل الراية وعلى متنه مسجد يسمى مسجد الراية
٦١ وكانت سارية مكررة سابقاً وهدف لتكون مبنى للتلفون الاوتوماتيك
٦٢ المدرسة الثانوية
٦٣ ميدان العنبرية وحدائقه ويتوسطه موقع النافورة الكبرى
٦٤ كوبري المدرج
٦٥ كوبري حوش المنصور
٦٦ مخفر شرطة باب الشامي
٦٧ مبنى الجمرك
٦٨ مخفر شرطة شارع العوالي
٦٩ باب المصري أثري قديم وهو باب المدينة وباب سويقة
٧٠ حديقة باب الشامي العامة والحديقة الكبرى وحديقة تبا



الطرق الضيقة التي لم تسفلت جميعها
الطرق الرئيسية المسفلتة
أبنية ومساجد
شمال
جنوب
شرق
غرب
جبل سلع
الحرة الغربية
مصنع التمور
موقع القلعة
شارع الساحة
شارع العنبرية
محطة السكة الحديد
هدم هذا الخان وبني عليه
بناء حديث ضخم لمجمع الدوائر
الحكومية

حديث بالأرقام

الجامعة الإسلامية :

تأسست الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة في سنة ١٣٨١ هـ ولها مبان واسعة خاصة خارج المدينة في المنطقة المسماة سلطانة .

وتعتبر من معالم النهضة العلمية الحديثة هنا . . وخلال العام الدراسي الماضي سنة ١٣٩١ هـ كانت المنح الدراسية التي أعطيت لطلبة العالم العربي والإسلامي قد بلغت ١٠٥ منح وزعت على خمسين دولة إلى جانب الطلبة السعوديين .

وأقسام الجامعة : كلية الشريعة ، كلية الدعوة وأصول الدين ، المعهد الثانوي ، معهد الدراسة المتوسطة ، شعبة تعليم اللغة العربية لغير العرب . (وأقسام أخرى) .

وقد بلغ عدد الخريجين الحاصلين على الشهادة العالمية (الليسانس) حتى العام الدراسي الماضي ٩٠ ـ ٩١ هـ (٥٠٨) جامعيين .

وللجامعة مكتبة تضم نحو عشرين ألف كتاب تتزايد مع كر الأيام ، وبها صالة خاصة للمطالعة والمراجعة .

---

(١) هذا الفصل مستحدث للطبعة الثانية في كتابنا هذا .

وتصدر الجامعة مجلة باسمها أربع مرات في العام تبرز نشاط أساتذتها وطلبتها وتنشر أخبارها بصفة دورية .

ويتبع الجامعة مدرسة « دار الحديث » القريبة من المسجد النبوي . . وأساتذتها من ذوي المؤهلات العالية . . كما أن أساتذة الجامعة الاسلامية كلهم علماء أجلاء ودكاترة ومعلمون ذوو اختصاص أكفاء ، برئاسة رئيسها المفضال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز[1] .

* * * *

في مجال التطور الحادث بالمدينة المنورة في جيلنا المعاصر لا بد لنا من أن نستوفي هذه الناحية الهامة من مختلف النشاطات العامة فيها بالإحصاء ونسجل هنا بالأرقام ما قد بلغه التوسع في الخدمات الضرورية حتى منتصف عامنا ١٣٩٢ هـ كرمز للحركة الدائبة التي تعم كافة أرجاء مدن المملكة المترامية الأطراف .

المدارس والمعاهد للبنين :

في داخل المدينة المنورة بلغت مدارس البنين الابتدائية (٢٩) مدرسة بما فيها معهد النور ، وهناك (٨٥) مدرسة ابتدائية أخرى تابعة لمنطقة المدينة المنورة التعليمية وموزعة على البلدان القريبة منها وما حولها والممتدة إلى بدر فينبع ، فالمسيجيد ، فابيار علي ، فالمهد ، فالعلا ، وعلى خطوط ممهدة المدينة الرياض ، والمدينة جدة ، والمدينة تبوك ، فأملج ، فخيبر ، وأمثالها .

أما المدارس الثانوية داخل المدينة المنورة : فاثنتان ، والثالثة معهد

---

(١) انتقل الشيخ عبد العزيز بن باز إلى رئاسة دار الافتاء والبحوث والدعوة والإرشاد بالرياض ورئيس الجامعة الحالي بالنيابة هو الدكتور عبد الله الزايد .

المعلمين ، والرابعة : المهنية الثانوية ، ويتبع لها ثانويتان : إحداهما في ينبع والثانية في العلا .

وبالنسبة للمدارس المتوسطة فقد وصل تعدادها إلى تسع مدارس داخل المدينة ، أما خارجها ، والتي تتبع لها فإنها (١١) مدرسة متوسطة .

هذا وقد بلغ عدد طلبة هذه المدارس المتوسطة عموماً ما يقرب من أربعة آلاف طالب معظمهم من المتوسطات داخل المدينة المنورة ، أما طلبة الثانوية فإنهم يزيدون على ألف وخمسمائة طالب ، وبالنسبة لطلبة الابتدائية فقد بلغ تعدادهم (١٨١٠٠) طالب ـ منهم أكثر من (١٠٥٠٠) طالب في مدارس داخل المدينة المنورة وحدها[١] .

* * *

ثم لا ننسى أن نذكر عن إنشاء (كلية التربية) بالمدينة كفرع لجامعة الملك عبد العزيز ، والحرص على التقدم العلمي عاما بعد آخر ـ كما هو ملموس ومشاهد .

---

(١) اعتمدنا في هذا الإحصاء على البيانات التي أصدرتها منطقة المدينة المنورة التعليمية لعام ٩١ ـ ٩٢ هـ .

مدارس تعليم البنات :

تعتبر سنة ١٣٨٠ هـ أول سنة افتتحت فيها مدارس لتعليم البنات من قبل الدولة ، وبين كل عام وآخر يتزايد عدد المدارس والمراحل التعليمية حتى لقد افتتح في العام الماضي سنة١٣٩٢هـبالرياض كلية للمرحلة الجامعية للبنات . وللمدارس هذه رئاسة خاصة يطلق عليها (رئاسة تعليم البنات) تشرف وتقوم بمتطلبات المدارس والمعلمات على غرار إدارة التعليم بالنسبة لمدارس الطلبة .

هذا وقد وصل عدد مدارس البنات بالمدينة المنورة (١٥) مدرسة ابتدائية ، ويتبع لها (١٩) مدرسة ابتدائية أخرى في البلدان التابعة لمنطقة المدينة المنورة . كما أن بالمدينة عدد ٢ مدرسة متوسطة . ومعهد فني ، ومعهد معلمات متوسط ، ومعهد معلمات ثانوي ، ومدرسة ثانوية . كما أن هناك أربعة معاهد معلمات ، وخمس مدارس متوسطة ، ومدرسة ثانوية ـ بالبلدان التابعة لمنطقة المدينة المنورة[١] .

البريد ، الهاتف ، اللاسلكي :

إدارة البريد تضاعفت أعمالها وأجهزتها بالمدينة المنورة كذلك . فمثلا كانت قبل نحو ٢٥ سنة قائمة على ستة موظفين ، وهي الآن تستوعب ٦٥ موظفا ، وقد افتتحت لها فروعا ثلاثة في كل من : باب المجيدي ، شارع سعود ، شارع المطار . كما أن صناديق البريد بلغت (٨٥) صندوقا ويستعمل بعض موظفي البريد في التوزيع ، الدراجات النارية والعادية والسيارات لحمل الطرود . ويسير نظام البريد اليومي

---

(١) أنشئت في المدينة فروع لبعض الجامعات ـ كجامعة الملك عبد العزيز بجدة .

السيار خلال الأسبوع بمعدل كل يوم بريد . . يوم جوي ويوم بري . فيما عدا يوم الجمعة (الإجازة) . هذا ويستطيع جهاز البريد أن يجند موظفيه خلال موسم الحج ليؤدي خدماته بشكل مرض ، وتدل آخر إحصائية بأنه خلال الموسم الحالي سنة ١٣٩٢ هـ بلغ وزن الرسائل اليومية أكثر من مائة كيلو ؛ هذا وينتقل حديثا جهاز البريد إلى المبنى الجديد الذي ابتنى له خصيصا ليضم أجهزة المواصلات البريدية واللاسلكي والهاتفية . . والجدير بالذكر أن الهاتف الآلي يبدأ أعماله بالمدينة المنورة مع بداية السنة المالية ٩١ ـ ١٣٩٢ ـ هـ ويغطي معظم مناطق المدينة الداخلية . .

* * *

مؤلفات عن المدينة المنورة

كثيرة هي تلك الكتب التي أُلفت عن البلد الحبيب المدينة المنورة ، في كثير من شؤونها وأحوالها وتواريخها وأعلامها ومآثرها ، ومعظمها قد طبع ، وترجم بعضها إلى اللغت الأجنبية .

ونستعرض هنا مثلا من هذه المؤلفات التي كتبت منذ القرن الثاني للهجرة حتى اليوم :

١ ـ « كتاب الأوس والخزرج » ، وضعه أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري ، المتوفي في سنة ٢١١ هـ .

٢ ـ « فضائل المدينة » للعلامة ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ .

٣ ـ « الإنارة في الزيارة » للحافظ ابن حجر العسقلاني .

٤ ـ « فضائل المدينة » لابن عساكر المتوفى سنة ٦٠٠ هـ .

٥ ـ « عروة التوفيق في النار والحريق » ، وضعه عن حريق المسجد النبوي العلامة قطب الدين أبي بكر محمد بن أحمد الملكي القسطلاني وقد توفي سنة ٦٨٦ هـ .

٦ ـ « ذروة الوفاء » و« خلاصة الوفاء » و« الوفاء » و« وفاء الوفاء » ، أربعة كتب للعلامة نور الدين علي بن السمهودي المتوفى

سنة ٩١١ هـ وله أيضا كتاب « الوفا بأخبار دار المصطفى » ، احترق ضمن الحريق الذي حدث بالمسجد النبوي - في حياة المؤلف .

٧ - « التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة » للشيخ ابن خلف حمال المطوي المدني المتوفى سنة ٧٤١ هـ .

٨ - « تاريخ المدينة » لأبي عبد الله الزبير بن بكار .

٩ - « التحفة اللطيفة في أخبار المدينة الشريفة » للعلامة الحافظ السخاوي .

١٠ - « الجواهر الثمينة في محاسن المدينة » ، في ٩٨ صفحة للأديب محمد كبريت المدني المتوفى سنة ١٠٧٠ هـ .

١١ - « تنزيل السكينة على قناديل المدينة » ، ألفه الشيخ تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي - المتوفى سنة ٧٢٦ هـ .

١٢ - « اقتفاء الوفا بأخبار دار المصطفى » ألفه الشيخ صالح السمهودي .

١٣ - « الدرة الثمينة في أخبار المدينة » السيد محق الدين محمد بن محمود النجار - توفي سنة ٦٤٣ هـ .

١٤ - « زهر الربا في فضائل قبا » للسيد ابن علي المكي .

١٥ - « الجواهر الثمينة فيما يتعلق بالمدينة » ، وضعه الشيخ أحمد القشاشي المدني .

١٦ - « الجامع الأموي في المدينة المنورة » ، للمستشرق الفرنسي سوهاج ، نشر باللغة الفرنسية .

١٧ - « تاريخ المدينة » للسيد عمر بن شبة .

١٨ ـ « بهجة الأسرار في تاريخ دار هجرة النبي المختار » ، للعلامة المرجاني .

١٩ ـ « تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة » ، وضعه زين الدين العثماني المراغي المدني المتوفى سنة ٨١٦ هـ . طبعه حديثا صاحب المكتبة العلمية بالمدينة الشيخ محمد نمنكاني الذي اتجه في طبع بعض المخطوطات المؤلفة عن المدينة .

٢٠ ـ « التحفة اللطيفة في وصف مسجد المدينة الشريفة » لنصر الدين الرومي الحلبي المتوفي سنة ٩٤٨ هـ .

٢١ ـ « المحاسن اللطيفة في معاهد المدينة الشريفة » ، للعلامة صاحب المؤلفات العديدة : ابن طولون المتوفى سنة ٩٥٣ هـ .

٢٢ ـ « روضة الصفا في آداب زيارة المصطفى » ، ألفه ابن علان المكي المتوفى في سنة ١٠٥٧ هـ .

٢٣ ـ « تاريخ المدينة » ، وضعه أبو الحسن محمد بن الحسن بن زبالة المدني ، من أعلام القرن الثاني الهجري .

٣٤ ـ « شفاء السقام » للشيخ السبكي .

٢٥ ـ « الجوهر المنظم في زيارة قبر النبي المكرم » للعلامة ابن حجر الهيثمي المكي .

٢٦ ـ « نتيجة الفكر في خبر مدينة سيد البشر » ، للسيد محمد بن عبد الله الخليفي العباسي المدني ، توفي سنة ١١٧١ هـ .

٢٧ ـ « دليل السائرين » للشيخ حسن البسنوي المدني .

٢٨ ـ « حسن التوسل في زيارة أفضل الرسل » ، للسيد عبد

القادر بن أحمد الفاكهاني ، من أعلام القرن العاشر .

٢٩ ـ « فضائل المدينة » للشيخ الجندي .

٣٠ ـ « عمدة الأخبار في مدينة المختار » ، للعلامة أحمد بن عبد الحميد العباسي .

٣١ ـ « فضائل تمر المدينة وترابها » ، للشيخ جمال الدين بن حمزة الحجار العمري .

٣٢ ـ « المغانم المطابة في معالم طابة » ، للعلامة الفيروز آبادي ، صاحب القاموس .

٣٣ ـ « نزهة الناظرين في تاريخ مسجد سيد الأولين والآخرين » ، للسيد جعفر بن اسماعيل البرزنجي المدني .

٣٤ ـ « نغمات الرضا والقبول في زيارة المدينة وسيدنا الرسول » ، للشيخ أحمد الحضراوي المكي المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ .

٣٥ ـ « معالم دار الهجرة » ، للشيخ يوسف عبد الرزاق ، من القرن الرابع عشر .

٣٦ ـ « آثار المدينة المنورة » ، للأستاذ عبد القدوس الأنصاري الأديب المعاصر ،

٣٧ ـ « فصول من تاريخ المدينة المنورة » ، للأستاذ السيد علي حافظ ، وقد طبع سنة ١٣٨٤ هـ .

٣٨ ـ « المدينة بين الماضي والحاضر » ، للشيخ ابراهيم العياشي .

وهناك أيضا عدة مؤلفات عن المدينة باللغات الهندية والتركية

والفرنسية وغيرها ، تتناول هذه البلاد الطاهرة بالتحبب والتعريف وتنشر أفضالها وأخبارها وآثارها . .

وهذا لا شك من العظمة الخالدة لها ولساكنها عليه أفضل الصلاة والتسليم . .

خاتمة :

تم وضع هذا الكتاب وتأليفه في شهر أوائل سنة ١٣٧٩ هجرية بالمدينة المنورة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، و انتهينا من طبعه في منتصف سنة ١٣٨١ هـ ، والحمد لله أولا وآخراً .

عبد السلام هاشم حافظ

« تمت الطبعة الثانية في منتصف عام ١٣٩٢ هـ »

* * *

فهرس

كتب المؤلف المطبوعة

١ ـ المدينة المنورة في التاريخ
٢ ـ الصيام عبر التاريخ
٣ ـ نحو مجتمع أفضل
٤ ـ ثورة الجزيرة
٥ ـ الامام إبن تيمية
٦ ـ الرافعي وميّ
٧ ـ مذبح الاشواق « شعر »
٨ ! صواريخ ضد الظلم والاستعمار « شعر »
٩ ـ أضواء ونغم « شعر »
١٠ ـ راهب الفكر « شعر »
١١ ـ الفجر الراقص « شعر »
١٢ ـ عودة الفيضان « شعر »
١٣ ـ أغنيات الدم والسلام « شعر »
١٤ ـ ترانيم الصباح « شعر »
١٥ ـ كلمات حب الى المدينة المنورة « شعر »
١٦ ـ العذراء السجينة « شعر وقصة »
١٧ ـ تلميذتي « شعر وقصة »
١٨ ـ سمراء مأساة شعرية

٢٠ ـ قلوب كليمة مجموعة قصص
٢١ ـ إهرب من المرأة مجموعة قصص
٢٢ ـ فاطمة وقصص أخرى مجموعة قصص
٢٣ ـ سمراء الحجازية قصة طويلة
٢٤ ـ حواء عارية بحث . .
٢٥ ـ الاحكام النبوية في الصناعة الطبية ـ تحقيق

كتب المؤلف المخطوطة

١ ـ الاربعون « شعر »
٢ ـ رباعيات حافظ « شعر »
٣ ـ ألحان الامل « شعر »
٤ ـ وحي الهاجرة « شعر »
٥ ـ قلبي المناضل « شعر »
٦ ـ أنوار ذهبية « شعر »
٧ ـ أنوار ذهبية « شعر »
٧ ـ أغاريد الضحى « شعر »
٨ ـ سيرة نبي الهدى والرحمة (تحت الطبع)
٩ ـ نحو الغد « مقالات قصيرة »
١٠ ـ كيف تكون انسانا مثالياً ؟
١١ ـ الحب القدسي (مذكرات الصبا)
١٢ ـ في المحراب « مقالات طويلة ـ ٣ أجزاء »
١٣ ـ أفضل الدعاء (مختارات مركزة)
١٤ ـ الأم قصة طويلة
١٥ ـ رجع الصدى ـ مجموعة قصص

١٦ ـ بين عهدين مجموعة قصص
١٧ ـ من الحياة مجموعة قصص
١٨ ـ المعلمة العربية للمذاهب العالمية
١٩ ـ أم أبيها سيدة النساء . .
٢٠ ـ الشريرة (قصة طويلة)
٢١ ـ المرأة في أقوال المشاهير
٢٢ ـ الجنس الثالث (دراسة اجتماعية)
٢٣ ـ شذى النسرين « شعر »

أهم مراجع الكتاب

السيرة النبوية ـ لابن هشام
خلاصة الكلام ـ لابن دحلان
الأعلام ـ لخير الدين الزركلي
وفاء الوفاء ـ للعلامة علي بن السمهودي
بعض أعداد من مجلة المنهل الأدبية

فهرس